

شرح منازل السائرين

لعبد المعطى اللخمى الاسكندرى



مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة بإشراف سنت فرجرنو مدير المعهد
نصوص وترجمات ، المجلد ١٨



أنصاريّات

(السلسلة الأولى — الكتاب الثانى)

شَرح منازل السائرين

للشيخ الإمام العالم العلامه الحبر البحر الفهـامة شيخ المحققين
سديد الدين أبى محمد عبد المعطى بن أبى الثناء محمود بن عبد المعطى اللخمى الاسكندرى
عفا الله عنه بمنه ونفعنا به آمين

(أُلف فى أول القرن السابع الهجرى)

حققه وقدم له

الأب س. دى لوجييه دى بوركى الدومنكى



مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة

١٩٥٤

مقدمة

الكتاب الذى نقدمه اليوم إلى القراء الكرام هو المجلد الثانى من مجموعة «الأنصاريات» . وهذا المجلد هو أقدم شرح لكتاب «منازل السائرين» وصل إلينا . لقد قيل إن شرح يوسف الهمدانى أقدم من هذا ، ولكننا لا نعلم شيئاً عن هذا الشرح إذ لم نجد له أثراً فى أية مكتبة وزين الدين لا يذكره قط . ثم إن زين الدين الخوافى يقول عن عفيف الدين التلمسانى إنه «أقدم من عرفناه من شراح كلام الشيخ» ، ولكننى أؤكد أنه مخطىء إذ إنه ولد سنة ٦١٣ ﻫ . وكان عمره لا يتجاوز خمس وعشرين سنة لما نسخ محمد بن عبد الله الصنهاجى الشرح الذى نقدمه ، وربما كان أُلف هذا الشرح منذ سنين .

وفوق أن المخطوط قديم فإنا نجد فيه شرحاً بليغاً مختصراً واضحاً منزهاً عن كل غرض شخصى . والمؤلف يبدى عجزه فى تواضع أمام العبارات الصعبة ، ولا يمتنع عند الحاجة عن أن ينتقد الأنصارى فى بعض الأحيان . كل هذه الميزات تدعونا إلى أن نقدر تصنيف عبد المعطى حق التقدير وأن نجعل له منزلة رفيعة فى تاريخ كتاب «منازل السائرين» .

١ — وصف المخطوط .

لا يُعرف لشرح عبد المعطى إلا مخطوط واحد فى المكتبة الظاهرية بدمشق (تصوف ٣٦) ، ويشمل ١٤٥ ورقة ، فى كل صفحة منها ١٩ سطراً مكتوبة بالخط النسخى الواضح ، ما عدا الفقرة الثالثة (§ 3) فقد كتبت فى عجلة ولم توضع عليها علامات . وهذه العلامات تتناقص رويداً رويداً حتى آخر الكتاب . والناسخ قد وقع اسمه فى ثلاثة مواضع ، ويدعى محمد بن عبد الله بن يوسف بن حماد الصنهاجى ، مما يدل على أصله المغربى ؛ كتبه لنفسه بإملاء المؤلف إذ كان من تلاميذه الأخصاء وقد

وهبه المؤلف جميع مؤلفاته وأجازه أن يروى كل أقواله . ولقد انتهى من نسخ الكتاب فى الثامن من شعبان سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وما فى هامش المخطوط من التقييدات يدلنا على أنه قرئ على المؤلف ؛ وبذلك استطاع الناسخ أن يفرغ من مقابلته على مؤلفه وإجازته به وبغيره فى الثالث عشر من شعبان أى خمسة أيام من انتهائه من نسخه . فقد أثبت فى صدر الصفحة الأولى ما يثبت علاقته بالمؤلف وإجازته له بهذا الشرح وبغيره (انظر § 3) .

٢ — المؤلف .

يخبرنا الناسخ نفسه عن أصل المؤلف ونسبه فى الفقرة الثالثة : هو «سديد الدين أبو محمد عبد المعطى بن أبى الثناء محمود بن عبد المعطى اللخمى الاسكندرى» . تدلنا هاتان الصفحتان على أن المؤلف مغربى الأصل أقام فى الاسكندرية بعد عودته من الحج المبارك ؛ أما الناسخ الذى تكلمنا عنه ، فربما كان رفيق سفره وقد أحب المكث معه . وقد بحثنا دون جدوى فى تصانيف الطبقات ، آملا فى الحصول على معلومات أخرى عن حياة المؤلف ، فخاب مسعانا فيجب أن نقف هنا فى هذا الموضوع . ونتمنى للدكتور أبى العلاء عفيفى ، الذى شرع فى نشر شرح عبد المعطى الواسع على الرسالة القشيرية ، أن يصل إلى نتائج أكمل . ولربما وصل إلى ذلك إذا استطاع معرفة الأشخاص الذين اتصل بهم المؤلف والذين يتكلم عنهم فى شرح الرسالة ، فبواسطتهم قد نعرف المؤلف معرفة أوسع .

أما الألقاب الفخمة التى منحت له فى الفقرات الثانية والثالثة (§ 2b, 3b) ، فانها تبين جلياً أن مؤلفنا كان عالما جليلا ذا مؤلفات عديدة طال عمره . فيمكننا القول دون تأكيد أن عبد المعطى ولد حوالى سنة ٥٧٥ هـ. وتوفى فى منتصف القرن السابع .

أما مؤلفاته ، فالفقرة الثالثة (§ 3c) تدلنا على ثلاثة مؤلفات عدا الشرح الذى

نطبعه اليوم وهى : شرح الرسالة القشيرية وشرح الرعاية للمحاسبى وكتاب الحدود الذى نجهله . ولقد وصل إلينا فقط شرح الرسالة القشيرية الذى يهتم بطبعه الدكتور أبو العلاء عفيفى الأستاذ بجامعة الاسكندرية ويوجد أيضا مخطوط لكتاب رابع عنوانه : «إرشاد السالكين إلى الجمع بين طرق المحققين من الفقهاء والمريدين» . وهذا المخطوط عرضته للبيع «مكتبة دار الكتب للجميع» فى طنجة ، ويقع فى مجلدين ضخمين مكتوبين بالخط الشرقى : ولكننا مع الأسف لم نستطع الإطلاع عليه .

٣ — غرض الشرح وطريقته .

إن الفقرتين الخامسة والسادسة (§ 5, 6) تتحدثان عن الظروف التى دعت إلى هذا الشرح . فقد كتبه المؤلف نزولاً على طلب صديق أو تلميذ له كان قد دخل فى طريق التصوف ووجد صعوبة فى فهم كتاب «منازل السائرين» ، فأراد عبد المعطى أن يشرح الإشارات الموجودة فى تصنيف الأنصارى ويوضح الفروق بين الدرجات فى المقامات . وعلاوةً على الإيضاح ، نجد أيضاً اهتماما بالدفاع عن الأنصارى ضد من يعتبرونه «من ذوى الأحلام» لأنهم نظروا إلى عقيدته فى الفناء من الوجهة المادية فقط . ولكى يصل إلى غايته هذه ، أخذ عبد المعطى يشرح كتاب المنازل درجة درجة كما يقول : «ووقفت على كلامه حسب الإمكان وقوف من يريد أن يفهم ويتكلم ليُفهم ولا يتكلم فيما لا يعلم» (§ 6a) . ويلاحظ أخيراً تواضع المؤلف الذى يستعمل كلمة «الله أعلم» حين لا يكون متيقناً من شرحه (راجع § 8a)

٤ — موقف الشارح فى السلوك .

شرح المقدمة يحتوى على بعض ملحوظات مهمة فى شمول المقامات والدخول فى الواحدة تلو الأخرى . أما فى الفقرة التاسعة والعشرين (§ 29) فالمؤلف يبين لنا شرحه الشخصى فى السلوك حسب كتاب «منازل السائرين» : كل إنسان يدخل فى

طريق التصوف حسب دعوته ومزاجه الخاص ويختبر بذاته العشرة أجزاء المذكورة عند الأنصارى ، ولكنه ربما لا يمر بكل مقام فى كل جزء فاذا كانت تلك هى النسبة بين الأجزاء والمقامات ، كان من الواجب أيضاً أن يوضع التمييز جلياً بين الدرجات الثلاث المذكورة عند عبد الله الأنصارى فى كل باب من أبوابه . ويبذل عبد المعطى جهده فى ذلك وهذا المهم فى شرحه . فانه يظهر كيف تكون كل درجة أسمى من التى سبقتها ، وذلك فى رجوعه إلى مبادىء مختلفة أهمها من جهة التعلق والقرب إلى الجمع والنسبة إلى الفناء . فهذه الملحوظات تمكننا أن نرى كيف يتصور عبد المعطى الكمال الروحى ومعنى التقدم الذى يوصل إلى ذلك . فهى تقوم خاصةً فى الولاية التى يضعها الله تعالى فى النفس والتى تدفع الإنسان أن يغنى فيه بجمع قواها عليه ويفقد إدراكها لكل ما سواه . وللحصول على هذا الغرض ، كان بعض العلم بالأشياء الروحية ضرورى ليولد العمل ويوجهه ، ثم يترك نفسه لله تعالى عند ما يصبح «مراداً» . وفى كل منزل من الطريق إلى الله تعبر النفس تدريجياً النتائج العرضية غير الثابتة ، المكتسبة منها والموهبة ، إلى التمكن الكامل فى مقام ثابت من المقامات .

٥ — شرحه فى المنـازل .

فى المقدمة الفرنسية نعرض بالتفصيل النقط الأساسية لشرح عبد المعطى . أما فى هذا المختصر فنكتفى أن نلفت نظر القارىء إلى بعض النقط حتى يستفيد من قراءة النص العربى .

١ — آيات القرآن التى يذكرها الأنصارى فى كتاب المنازل ، يهتم بها عبد المعطى فيحكم فى كل مرة بأن تفسير الآية المنصوصة مفيد أو إنه يبين العلاقة التى بين الآية المذكورة والمقام الذى تتعلق به . ويجتهد أن يبعد التأويلات الخاطئة أو الزائغة . وأحيانا يجتهد أن يبين أن الآية محكمة الانتخاب وأن الأنصارى استعملها أحسن استعمالها . وحين لا تظهر النسبة واضحة بين الآية والمقام ، يجتهد أن يوضحها ؛ وفى غير

موضع يذكر عبد المعطى أن الأنصارى لا يستعملها فى معنى التفسير ، وذلك فى باب الذكر وباب التجريد .

٢ — ويبذل عبد المعطى مجهوده فى شرح تحديد كل مقام . فالتحديد الموافق يشرحه باعجاب ، ولكن يحصل أيضاً أنه ينتقد التحديد أحيانا كما هو فى الإنابة والحرمة والشكر والصدق والذكر والبصيرة والمعرفة . ونجد أيضاً فى سير الشرح بعض تحديدات خاصة للشارح ، وهى لبعض الاصطلاحات ؛ والقارىء اللبيب يدرك قيمتها بسهولة .

٣ — عند ما يشرح عبد المعطى درجات كل باب من الأبواب ، يجتهد أن يفسر بأمانة وإحكام فكرة الأنصارى ويقربها إلى إدراك التلاميذ . ثم يقف عند العبارات العصية فيشرحها مستعيناً بعض الأحيان بالتشبيهات والاستعارات . وضمن شرحه هذا نجد آراءه فى الكلام والتصوف . ومما هو جدير بالانتباه تلك البيانات التى يعطيها فى باب الزهد والرضى والتفويض والبصيرة حتى ينزع كل موقف مبعد عن الشرع . وكما لاحظنا فى التحديدات بعض الانتقادات ، كذلك نجد فى الشرح انتقادات أخرى خاصةً فى باب الرجاء والإخلاص والشوق والسرور وفى الشرح نفسه نلاحظ بعض الإسهاب الذى يدلنا على فكرة عبد المعطى فى عدة نقط كالذات وصفات الله تعالى ، والعقل والشرع ، والروح والقلب الخ . ونلاحظ أيضاً أنه ينكر كل هيئة حلول وأنه يعترف بأن الرسول هو المعلم الوحيد فى المعاملات بين العبد ومولاه .

٤ — موقف عبد المعطى فى الفناء : يجتهد الشارح مرات عديدة أن يدافع عن عبارات الأنصارى ضد تأويلات مخطئة خصوصاً فى الفناء فانه يطول فى الشرح ليجدد فكرة شيخ الإسلام نسبةً لأعدائه . ونجد تحديد الفناء فى شرح الدرجة الثالثة للقصد وفى باب الفناء ، فيعتبر أن بين الفناء والجمع صلة قوية وأنهما هيئة سلبية وايجابية لحقيقة واحدة ، ويبين هذا بأمثلة يختبرها كل إنسان عند اشتداد عواطفه النفسانية .

الخاتمة : تلك الملحوظات التى قدمناها بالايجاز تساعد على تقدير شرح عبد المعطى حق قدره . فانه حقيقةً من أكمل وأجمل الشروح التى نعرفها لكتاب «منازل السائرين» .

ونشكر فى الختام الأستاذ نور الدين شريبة من علماء الأزهر ، ناشر كتاب الطبقات للسلمى ، الذى قبل ودياً أن يراجع تنقيح طبعتنا وكانت ملاحظاته لنا خير معين .

س. دى لوجييه دى بوركى الدومنكى

1 كتاب شرح منازل السائرين للهروى

للشيخ الإمام ، العالم العلامة ٭ الحبر البحر الفهامة ٭ شيخ المحققين

سديد الدين أبى محمد عبد المعطى 〈بن〉 أبى الثناء

محمود بن عبد المعطى اللخمى الاسكندرى

عفا الله عنه بمنه ونفعنا به

آمين

*fol. 1 a

2 [a] كتاب الإعلام بشرح فوائد كلام الإمام شيخ الإسلام إمام الأئمة شيخ الشيوخ ناصر السنة أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي رحمه الله . [b] مما عنى بشرحه وإيضاح عباراته وحل مشكلاته الشيخ الفقيه الإمام العالم الورع الزاهد ، لسان المتكلمين * وشيخ المحبين * قدوة السالكين * الجامع بين علمي الظاهر والباطن * العارف بمقام السائر والقاطن * السيد الأجل الأوحد * العلامة سديد الدين أبو محمد * عبد المعطى بن الشيخ الإمام الموفق أبي الثناء محمود بن عبد المعطى اللخمي الاسكندري . [c] نفعنا الله به وجميع المسلمين * وأعاد علينا . . . . . . للمؤمنين * ورحم الله من قال بقريحة « اللهم آمين » * صلى ⟨ الله ⟩ على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما .

3 [a] كتبه لنفسه العبد الفقير إلى رحمة ⟨ الجواد * محمد بن ⟩ عبد الله بن يوسف بن حماد * الصنهاجي ، غفر ⟨ الله له ولوا ⟩ لديه . قال : [b] سمعت جميع هذا الكتاب من ⟨ أوله إلى آخره ⟩ على سيدنا الشيخ الفقه الإمام العالم الورع الزاهد العارف شارح هذا الكتاب ، وهو المسمى المذكور . . .وناولينه . [c] وناولني أيضاً جميع تواليفه ، وله شرح كتاب الرسالة وشرح كتاب الرعاية وكتاب الحدود . [d] وكاتب هذه الأحرف هو الذى كتبها عن الشيخ المذكور إملاءً عليه ، فنفعنا الله به فى الدارين . [e] وأجاز لى رواية جميع ما رواه أو سمعه أو أجيز له أو عنه . [f] وكتب محمد بن عبد الله بن يوسف بن حماد فى الثالث عشر من شعبان سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

2 : c. للموحدين : للمؤمنين incert.
3 : c. وله : incert. — e. له أو عنه : incert.

*fol. 1 b

4 [a] بسم الله الرحمن الرحيم

عونك اللهم !

[a] الحمد لله الواحد فى ذاته وصفات الكمال * القدوس المنزه عن النقص والزوال * الفاعل بقدرته ما يشاء من الأفعال * المخصص بإرادته مَن شاء بما شاء من سَنِيّ الأحوال * العالم بخفيات السرائر وما يكون فى المآل * الذى ⟨ أفعم قلو ⟩ب أوليائه بلطائف مننه والإقبال * وأطلق ألسنتهم بمجامع الكلم المحتوية على غرائب الحكم بالإشارات والأمثال * [b] والصلاة على سيد المرسلين المخصوص بمحبته وعلى آله خير آل * صلاة دائمة مستمرّة من غير فتور ولا إخلال * وسلم كثيراً .

5 [a] أما بعد ، فقد تكرر من بعض الإخوان * السالكين لطريق الرحمن * ممن أرجو بإسعافه بطلبته إسعاف المتفضل المنان * وإصلاح الدين والنقلة فى رتب الإيمان والإحسان * السؤال منه إلىّ فى شرح كلام هذا الحبر الإمام * المنعوت بشيخ الإسلام * وتقريب ما تضمنه من الإشارات إلى الأفهام * والتنبيه على المعانى التى أشار إليها من الفرق بين مراتب العامة والخاصة فى مقامات السالكين ورتب المقربين والأعلام * [b] فاستخرت الله سبحانه وسألته * ورغبت إليه فى الإعانة والتوفيق ودعوته * وإن كنت لا أرى نفسى أهلا لشرح كلام هذا الحبر * الكبير * المحتوى من علوم العقل والنقل على الكثير * والمتصف بجميل *fol. 2 a الأحوال ثمرات الجد فى السلوك والتشمير * [c] ولكنى دعوت الله سبحانه بتقريبي معانيه لأفهام المريدين المجتهدين من السالكين * وبيان ما أشار إليه من مقامات

5 : c. دعوت : add. من ; بتقريبى : بتقربنى (sic).

المتقين فى الدين ∗ ودرجات المقربين ∗ أن يتحرك بذلك للسلوك ذو جد لما يراه من التسهيل والتقريب ∗ فيأخذ من همته وبركته بنصيب ∗ فان الدال على الخير كفاعله . [d] ويكون ذلك إن شاء الله سبباً للنهوض إليه مع الإخوان ∗ والتعلّق بأذيال أهل التوحيد وكمال العرفان ∗ والله سبحانه هو المسؤول فى الحفظ من الزلل ∗ والتوفيق فى القول والعمل .

6 [a] فصل . ووقفت على كلامه رضى الله عنه على حسب الإمكان وقوف من يريد أن يَفهم ∗ ويتكلم ليُفهم ولا يتكلم فيما لا يعلم ∗ [b] والمقصود من شرحنا كلام هذا الإمام ∗ تقريب ما أشار إليه من الأحوال لأفهام بعض المنكرين ممن يزعم أنه من ذوى الأحلام ∗ ويستبعد وصول العبد إلى ما ذكره من الأحوال ، فانه لا يفهم من الفناء إلا انحلال الأجرام ∗ وانفصال أجزاء الأجسام ∗ [c] ويقول : «كيف يمكن ذهاب الإدراك عن العبد للعلوم شغلا بالمعلوم ∗ أو يغفل عن الإدراك لنفسه والرسوم ∗ مع بقائه مدركاً لجلال ﴿الحى القيوم﴾ ؟ وكيف يفنى عن إدراكه لنفسه ∗ وهو مدرك لغيره ∗ ولا يفنى لإدراكه ∗ إلا بقيام الإدراك * به ∗ *fol. 2 b
وكيف يقوم به ما لا يدركه ؟ » [d] ونحن بعون الله تعالى نبين ذلك ونقربه بالأمثال ∗ ليقرب ممّا يجرى على أكثر أرباب الاستغراق فى الأشغال ∗ ونرشد إليه إن شاء الله بأحسن مقال وأوضح بيان ∗ ﴿والله المستعان﴾ .

7 [a] فصل . وقد رأيت (والله الموفق) أن أذكر كلام هذا الإمام من أول خطبته إلى آخره ∗ ونتتبعه بالشرح والتنبيه على مراتبه ∗ وعلى تقارب درجاته فى كل باب ∗ والله الموفق للصواب ∗ بمنه وكرمه . [b] وما كان من توفيق للصواب

6 : *c.* C II 256/255, III 1/2, XX 110/111; قيام : بقيام — *d.* C XII 18.
7 : *b.* مسديه : s. p.

فالله سبحانه هو المتفضل بذلك ومسديه ∗ وما كان من خطأ فنسأله أن يصرفنا عنه ويزويه ∗ فهو أهل الإحسان ∗ والجود والامتنان ∗ آمين رب العالمين .

8 [a] وأنا أقول : أول كل شرح لى : « الله أعلم » ∗ لاحتمال أن يكون مراده ما لم أفهم ∗ والله المسلم بمنه وكرمه .

9 [a] هذا أول كلام هذا الإمام ∗ المنعوت بشيخ الإسلام ∗ رضى الله عنه :
[b] بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين .

قال الشيخ العارف الكامل الموحد المحقق الإمام السيد الأجل شيخ الإسلام إمام الأئمة شيخ الشيوخ ناصر السنة أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى الهروى قدس الله روحه :

10 [a] الحمد لله الواحد الأحد القيوم الصمد اللطيف القريب ، الذى أمطر سرائر العارفين كرائم الكلم ∗ من غمائم الحكم ∗ وألاح لهم لوائح القدم ∗ من صفائح العدم ∗ * ودلهم على أقرب السبل إلى المنهج الأول ∗ وردهم من تفرق *fol. 3 a
العلل إلى عين الأزل ∗ وبث فيهم ذخائره ∗ وأودعهم سرائره . [b] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأول الآخر الظاهر الباطن ، الذى مد ظل التلوين على الخليقة مداً طويلا ∗ [c] ثم جعل شمس التمكين لصفوته عليه دليلا ∗ ثم قبض ظل التفرقة عنهم إليه قبضاً يسيراً ∗ [d] وصلواته وسلامه على صفيه الذى أقسم به فى إقامة حقه محمد وآله كثيراً .

10 : *a.* المنهج : المنهاج (corr. marg.) — *b.* التلوين : التكوين; v. C XXV 47/45 — *c.* v. C XXV 47/45 et 48/46.

11 [a] قلت : فأما قوله فى خطبته رضى الله عنه أمطر سرائر العارفين كرائم الكلم يعنى أحسن معانى الكلم من الحكمة البالغة ، وألاح لهم أى أراهم آيات ما سبق فى قدمه بجريانه على خلقه من تصريفهم فيما أجراه عليهم . [b] ونعتهم بالعدم الذى إليه مصيرهم وزوالهم من الدنيا كما قال تعالى : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ لما يؤول إليه أمرهم . [c] وقوله : ودلهم على أقرب السبل إلى المنهاج الأول يعنى الطرق إلى المنهاج الأول ، أى عرفهم بحقيقة أنفسهم وأن أصلهم العدم ومآلهم إليه . [d] وقوله : وردهم من تفرّق العلل إلى عين الأزل أى جمع هممهم عن الأسباب ◦ إلى ما سبق لهم عند رب الأرباب . [e] وقوله وبث فيهم أى فى قلوبهم ، ألتى فيها ذخائره أى ما يشرف عنده ويكرم لديه ممّا ستره عن غيرهم ولا يخلقه لهم . * [f] وقوله : الذى مد ظل التلوين على الخليقة مداً طويلا ◦ ثم جعل شمس التمكين لصفوته عليه دليلا ◦ ثم قبض ظل التفرقة عنهم إليه قبضاً يسيراً معناه أنه سبحانه شغل أكثر الخلق بالوقوف مع الأسباب وتوحيدهم لا يجذبهم إلى الحق ، وهذه الحال هى المعبر عنها بالتلوين لتغييرها ؛ [g] ثم جعل شمس التمكين فى التوحيد على الحق دليلا ، وقبض بهذا التمكين ظل التفرقة عنهم قبضاً يسيراً ؛ وأضاف الظل إلى التفرقة لأن الظل ساتر ضوء الشمس قليلا قليلا رفقاً بالعباد ◦ وسلوكاً بهم على وجه السداد . *fol. 3 b

12 [a] قال الشيخ وفقه الله تعالى : وبعد فان جماعة من الراغبين فى الوقوف على منازل السائرين إلى الحق عز اسمه ، من الفقراء ◦ من أهل هراة والغرباء ◦ طال علىّ مسألتهم إياى زماناً ◦ أن أبين لهم فى معرفتها بياناً ◦ يكون على معالمها

11 : *b.* C xxxix 31/30.
12 : *a.* بذلك : لذلك.

عنواناً ◦ فأجبتهم بذلك بعد استخارتى الله واستعانتى به . [b] وسألونى أن أرتبها لهم ترتيباً يشير إلى تواليها ◦ ويدل على الفروع التى تليها ◦ وأن أخليه من كلام غيرى وأختصره ليكون ألطف فى اللفظ وأخف للحفظ .

13 [a] قال الشيخ وفقه الله تعالى : وإنى خفت أنى إن أخذت فى شرح قول أبى بكر الكتانى « إن بين العبد والحق ألف مقام من نور وظلمة » طولت علىّ وعليهم ، فذكرت أبنية تلك المقامات التى تشير إلى تمامها ◦ وتدل على مرامها . * [b] قلت : وقوله : « إن بين العبد والحق ألف مقام من نور وظلمة » كيف يكون فيها ظلمة مع أنها كلها مقامات فى الطاعات ◦ ودرجات فى القربات ؟ [c] ووجه ذلك أن الظلمة عبارة عن شىء ساتر مانع عن الإدراك ، ومن وقف مع مقام أو حال وقوف سكون إليه أو استحسان أو اعتماد قد يكون حجبه ذلك عن رؤية ما هو أرفع منه فضلا عن طلبه والسعى فى الاتصاف به . [d] فهذا وجه كلام أبى بكر الكتانى (والله أعلم) . *fol. 4 a

14 [a] قال الشيخ وفقه الله . وأرجو لهم بعد صدق قصدهم ما قال أبو عبيد البُسْرى : إن لله عباداً يريهم فى بداياتهم ما فى نهاياتهم . [b] قلت : لأنه رضى الله عنه ذكر فى كل مقام ثلاث مقامات : أهل البداية والأوساط والنهاية ؛ فاذا صحّ قصد السالك فى فهم ما أشار إليه من المقامات العالية (و) تعلقت همته به مع صحة قصده وكمال صدقه وجدّه ، نال منها الغايات إن شاء الله تعالى .

15 [a] قال الشيخ وفقه الله : ثم إنى رتبت لهم فصولا وأبوابا يغنى ذلك الترتيب عن التطويل المؤدى إلى الملال ◦ ويكون مندوحة عن التسآل ◦ فجعلته مائة مقام

14 : *a.* عبيد : عبد الله ; البسرى : التسترى.
15 : *d.* v. C v 52/48.

مقسومة على عشرة أقسام . [b] قلت : وقد أتى الشيخ وفقه الله بنوع مما نقله عن الكتانى ، وذلك أن المائة * مقام المقسومة على عشرة أقسام ، إذا قسم كل مقام منها إلى ثلاثة أقسام ، قاربت ألفاً . [c] بل زاد هذا الإمام على ذلك وقسم كل باب من العشرة على ثلاث درجات وجعل فى أكثر الدرجات مراتب ، فيكون على هذا أكثر من ألف مقام بين العبد وبين الحق . [d] وإذا انقطعت عنه هذه الحجُب وصل إلى مقام التوحيد والمشاهدة ، ولكل من الخلق جعل الله شرعة ومنهاجاً موصلاً إليه . *fol. 4b

16 [a] قال الشيخ وفقه الله : وقد قال الجنيد : قد يُنقل العبد من حال إلى حال هو أرفع منه وقد يبقى عليه من التى نُقل عنها بقية فيُشرف عليها من الحالة الثانية فيصلحها ه . [b] وعندى أن العبد لا يصح له مقام حتى يرتفع عنه ثم يُشرف عليه فيصححه . [c] قلت : ووجه ما قاله الشيخ الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد رضى الله عنه ظاهر ، فانه ليس بمُحال عقلاً أن يصحح العبد المقام الأول ويمكنه الله فيه قبل أن ينقله إلى ما هو فوقه . [d] نعم قد ينقله إلى ما فوقه وقد بقيت عليه من الأول بقية فيطلع عليها بانتقاله إلى ما هو أرفع وأتم فيُشرف على ما كان مستتراً عنه فيه من آفات الأعمال وخدع النفوس . [e] ومثاله أن مقام القناعة باليسير من الدنيا محمود ولكنه ما دام شره العبد قوياً وحدّة نفسه باقية فهو منعوت . [f] فان تعالت همته وأمده الله بملاحظة الورع وعلق همته به ، تمكن فى مقام القناعة لتعود نفسه * الإعراض عن كثير من المشكل والمتشابه واطلع منه على *fol. 5a
خبايا نفسه وما كانت تزعم أنها غير ملتفتة إليه بالقناعة . [g] وكذلك إن نقله الله إلى مقام الزهد فى الحلال أشرف منه على خدع نفسه فى مقام الورع وما كانت

16 : a. منه : منها (corr. marg.)

تزعم أنه لا شىء فيه يتورع عنه ، فلما بلغت إلى مقام الزهد فى الحلال انكشف لها ضعفها فى مقام الورع فصححته لإشرافها عليه . [h] وكذلك إذا نقل الحق سبحانه عبده إلى مقام التوكل عليه وأعرضت نفسه عن أسباب دنياه مشكلها وحلالها ، أشرف من هذه الحال على آفات مقام الزهد وما كانت النفس متعلقة به من الفضول وهى تزعم أنه مما لا بد لها منه لضرورتها وليس بمتعلق الزهد فيعرض عنه . [i] وكذلك إذا أوصله مولاه إلى مقام الرضى والتسليم ، تمكن فى مقام التوكل لعدم الاختيار على مولاه ٭ فيما صرفه عنه وزواه ٭ أو تفضل به عليه وأسداه . [j] فهذا هو الذى أشار إليه الشيخ فى قوله : وعندى أن العبد لا يصح له مقام حتى يرتفع عنه ثم يشرف عليه فيصححه ؛ وقد بينا أن قول الإمام أبى القاسم الجنيد أليق وأولى ، فان ذلك ليس من قسم المحال حتى لا يصح وقوعه أعنى تصحيح المقام قبل الانتقال عنه ، وما ذكره الشيخ وفقه الله هو الجارى عادة على أكثر السالكين .

17 [a] قال الشيخ وفقه الله : واعلم أن السائرين فى هذه * المقامات على *fol. 5b
اختلاف عظيم مفظع ٭ لا يجمعهم ترتيب قاطع ٭ ولا يقفوهم منتهى جامع . [b] قلت : وهذا صحيح فان القدرة الأزلية صالحة لكل ممكن وما يمكن فعله لا حصر له ؛ فكيف يجمعه ترتيب قاطع أو يقفوه أى يتتبعه قصداً لحصره منتهى جامع .

18 [a] قال الشيخ وفقه الله : وقد صنف جماعة من المتقدمين والمتأخرين فى هذا الباب تصانيف عساك لا تراها أو أكثرها على حسنها مغنية كافية . [b] قلت : يعنى أنه لا يحصل للطالب بها استغناء ولا تكفيه فى مقصوده . [c] ثم بين وجه ذلك فقال : منهم من أشار إلى الأصول ولم يشف بالتفصيل ، يعنى أنه تكلم فى

17 : a. يقفوهم : يقفهم (corr. marg.) — b. يقفوه : يقفه (corr.).

القواعد ولم يفرع عليها ليعرف السالك الآفات الداخلة على العمال وعلل الأعمال وتفاوت الدرجات فى المقامات .

19 [a] قال الشيخ : ومنهم من جمع الحكايات ولم يلخصها تلخيصاً ، ولم يخصص النكتة بها تخصيصاً . [b] قلت : يعنى أنه اعتنى بجمع الحكايات خاصة ولم يوردها مطابقة لمعان تدل عليها ولم ينبه على فوائدها ، وهذا قليل الفائدة فى التأليف .

20 [a] قال الشيخ : ومنهم من لم يميز بين مقامات الخاصة وضرورات العامة .
[b] قلت : وإذا كان التأليف كذلك لم يحصل به كثير انتفاع ، ولم يعرف الناظر * *fol. 6a
فيه أرفع المقامات فيقصدها ، ولا أدونها فيبعدها ، ولا يعرف فضل الفاضل فيعظمه ، ولا نزول المقصر فيحركه .

21 [a] قال : ومنهم من عد شطح المغلوب مقاماً ، وجعل بوح الواجد ورمز المتمكن شيئاً عاماً . [b] قلت : والشطح عند القوم كلمات تجرى على ألسنة بعضهم فى وقت غلبة الحال فيكون مغلوباً معذوراً ، فلا يعد ذلك له منزلا ولا مقاماً . [c] وبوح الواجد يعنى نطقه ببعض ما يجده ، وإشارة المتمكن إلى طرف مما فُتح عليه به . [d] فمن جعل ذلك شيئاً عاماً وطريقاً للناس كافة وندبهم إليها كان غالطاً ، فان هذه المعانى مخصوصة بواجدها مقصورة عليه . [e] وأكثرهم لم ينطق عن الدرجات يعنى فى المقامات وهى المحتاج إليها .

22 [a] قال الشيخ : واعلم أن العامة من علماء هذه الطائفة والمشيرين إلى هذه الطريقة اتفقوا على أن النهايات لا تصح إلا بتصحيح البدايات كما أن الأبنية

19 : a. النكتة : النكت (corr. marg.).

لا تقوم إلا على الأساس . [b] قلت : يعنى بالعامة الأكثر كما يقال : « جاء القوم عامتهم من بنى فلان . » [c] وقوله وتصحيح البدايات هو إقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص ومتابعة السنة ، وتعظيم النهى على مشاهدة الخوف ورعاية الحرمة ،
والشفقة على الغير ببذل النصيحة وكف المؤنة ، ومجانبة كل صاحب يفسد الوقت * *fol. 6b
وكل سبب يفتن القلب . [d] قلت : وما ذكره صحيح ، فان البدايات كالأساس بالإضافة إلى النهايات ، ومن لم يبن أمره على أصل صحيح لم يقم له بناء . [e] وتصحيح البدايات إنما يتم بمراعاة الله سبحانه فى أمره ونهيه وحرمة المسلمين والشفقة عليهم وكف الأذى عنهم . [f] فأما مراعاة أوامره تعالى فهى إيقاعها على وجوهها وبشروطها ومن شرطها الإخلاص ، ولذلك قال رضى الله عنه : إقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص ومتابعة السنة . [g] وأما مراعاة النهىٰ فهى مجانبة المنهى عنه خوفاً من الله تعالى ، ولذلك قال : على مشاهدة الخوف ؛ وليس هذا شرطاً فى الخلاص من الإثم فانه لو ترك العبد المعاصى غفلة عنها أو لمانع منعه منها لسلم من ضررها ، ولكنه لا يثاب على تركها إلا إذا تركها لنهى الله أو لخوف عقابه تعالى . [h] ومن جملة أوامره رعاية حرمة المسلمين والشفقة على الخلق ، فان البر لا يؤذى الذر ؛ ومع هذا يقيم الحدود ويقاتل الكفار ، وذلك لمحض أمر الله خاصة . [i] ويبذل النصيحة للمسلمين وغيرهم ممن استنصحه من أهل الذمة والمعاهدين ويحمل المؤنة عنهم ، ويكون مؤونته وثقل أموره على نفسه . [j] ثم إذا تراقى فى الخير جانب كل صاحب يفسد الوقت أى يذهب فى البطالات ، وكل سبب يشغل القلب
بالفتنة والتشويش والشغل * بغير المقصود . *fol. 7a

23 [a] قال الشيخ : على أن الناس فى هذا الشأن ثلاثة نفر : رجل يعمل بين الخوف والرجاء شاخصاً إلى الحب مع صحبة الحياء ، فهذا الذى يسمى المريد ؛

ورجل مختطف من وادى التفرق إلى وادى الجمع ، وهو الذى يقال له المراد ؛
ومن سواهما مدع مفتون مخدوع . [b] قلت : وما ذكره الشيخ وفقه الله صحيح
لانحصاره بين النفى والإثبات : فان مدعى هذه المقامات لا يخلو من أن يكون
سالكاً صادقاً أم لا ، فغير السالك بالصدق هو المدعى المفتون ؛ [c] والسالك الصادق
لا يخلو من أن يكون متكلفاً مجاهداً لنفسه أم لا ، فالمتكلف المجاهد لنفسه فى
السلوك هو المنعوت بالمريد والمحمول المعان فى سلوكه هو المعبر عنه بالمراد . [d] وكلاهما
مراد للحق بما هو فيه إذ لا يخرج مراد عن إرادته .

24 [a] قال الشيخ رحمه الله : وجميع هذه المقامات تجمعها رتب ثلاث :
الرتبة الأولى أخذ القاصد فى السير ، والرتبة الثانية دخوله من الغربة ، والرتبة الثالثة
حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد فى طريق الفناء . [b] قلت : وهذه
الرتب الثلاث هى التى يذكرها فى كل باب يأتى . [c] فان الرتبة الأولى أسباب ،
والرتبة الثانية سلوك ، والرتبة الثالثة وصول .

*fol. 7b 25 *[a] قال الشيخ رحمه الله : وقد أخبرنا فى معنى الرتبة الأولى الحسين بن
محمد بن على الفرائضى قال : أنا أحمد بن محمد بن حسنويه قال : أنا الحسين
ابن إدريس الأنصارى قال : ثنا عثمان بن أبى شيبة قال : ثنا محمد بن بشر هو
العبدى قال : ثنا عمر بن راشد عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة
قال : [b] ﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيروا فقد سبق المفردون . قالوا :
يا رسول الله وما المفردون ؟ قال : المهتّرون الذين يهتّرون فى ذكر الله ، يضع
الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافاً .﴾ [c] وهذا حديث حسن لم يروه
عن يحيى بن أبى كثير إلا عمر بن راشد اليمامى ؛ وخالف محمد بن يوسف الفريابى

24 : a. المقامات : marg. المقاصد.

فيه محمد بن بشر العبدى ، فرواه عن عمر عن راشد عن يحيى عن أبى سلمة عن
أبى الدرداء مرفوعاً . [d] والحديث إنما هو لأبى هريرة رواه بندار بن بشار عن صفوان
بن عيسى عن بشر بن رافع اليمانى إمام أهل نجران ومفتيهم عن أبى عبد الله (بن) عم
أبى هريرة عن أبى هريرة مرفوعاً . [e] وأحسنها طريقاً وأجودها سنداً حديث العلاء
بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو
مخرج فى صحيح مسلم ؛ وروى هذا الحديث أهل الشام عن أبى أمامة مرفوعاً ،
قال فى كلها : ﴿سبق المفردون .﴾

26 [a] وأخبرنا فى معنى الدخول فى الغربة حمزة بن محمد بن عبد الله الحسينى
قال : ثنا أبو القاسم عبد الواحد بن أحمد الهاشمى الصوفى قال : سمعت * *fol. 8a
أبا عبد الله علان بن زيد الدينورى الصوفى بالبصرة قال : سمعت جعفر الخلدى
الصوفى قال : سمعت الجنيد قال : سمعت السرى عن معروف الكرخى عن
جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : ﴿طلب الحق غربة .﴾ [b] وهذا حديث غريب ما كتبته عالياً إلا من
رواية علان .

27 [a] وأخبرنا فى معنى الحصول على المشاهدة محمد بن على بن الحسين
الباسانى قال : ثنا محمد بن اسحاق القرشى قال : ثنا عثمان بن سعيد الدارمى
قال : ثنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن مطر الوراق عن أبى بريدة
عن يحيى بن يعمر عن عبد الله بن عمر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى
حديث سؤال جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ما الإحسان ؟ قال :
أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك .﴾ [b] وهذا حديث صحيح غريب
أخرجه مسلم فى الصحاح ، وفى هذا الحديث إشارة جامعة لمذهب هذه الطائفة .

[e] قلت : وقوله إشارة جامعة لمذهب هذه الطائفة صحيح ، لأن أصل هذه الطريقة الخاصة كمال المعرفة ودوام المراقبة للحق سبحانه فى الحركات والسكنات ، بل فى الأنفاس واللحظات ، حتى يستولى سلطان الحق على القلوب ، فيضمحل ما تعلقت به النفس وسكنت إليه من الأحوال والخطوب .

28 [a] قال الشيخ وفقه الله : وإنى مفصل لك درجات * كل مقام منها لتعرف درجة العامة منه ثم درجة السالك ثم درجة المحقق ، ولكل منها شرعة ومنهاج ووجهة هو موليها ، قد نُصب له عَـلَم هو إليه مبعوث ، وأتيح له غاية هو إليها محثوث . [b] وأنا أسأل الله أن يجعلنى فى قصدى مصحوباً لا محجوباً ، وأن يجعل لى سلطاناً مبيناً ، ﴿ إنه سميع قريب . ﴾ [c] قلت : قوله رضى الله عنه : لتعرف درجة العامة ثم درجة السالك ثم درجة المحقق يعنى بالعامة العامة من المريدين فانه إنما تكلم فى مقامات السالكين . [d] وقوله : ثم درجة السالك يعنى السالك لتحصيل مقامات الخاصة . [e] وقوله : ثم درجة المحقق يعنى المتصف بأحسن الأخلاق ، والمحقق فى أعالى الدرجات . [f] وقوله : ولكل منهم شرعة ومنهاج أى طريق يسلكه فى مقامه ، وعَـلَم أى حد وغاية سبقت له فى علم الله هو إليها محثوث مبعوث . [g] ودعاؤه رضى الله عنه أن يجعله فى مقصده مصحوباً يعنى بالمعونة واللطف من الله بحبه لا محجوباً عنه وأن يجعل له سلطاناً مبيناً أى دليلا واضحاً قاطعاً دابر المخالفين . [h] قلت : وأنا أسأل الله أن يحفظنى فيما قصدته ، وأن يعيننى على ما رمته ، بمنه وكرمه . * fol. 8 b

29 [a] قال الشيخ وفقه الله : واعلم أن الأقسام العشرة التى ذكرتها فى صدر

28 : *a.* v. C v 52/48 — *b.* C xxxiv 49/50 — *g.* بحبه : ponct. incert.
29 : *g.* C lv 27, 28.

هذا الكتاب هى : قسم البدايات ، * ثم قسم الأبواب ، ثم قسم المعاملات ، ثم * fol. 9 a قسم الأخلاق ، ثم قسم الأصول ، ثم قسم الأودية ، ثم قسم الأحوال ، ثم قسم الولايات ، ثم قسم الحقائق ، ثم قسم النهايات . [b] فأما قسم البدايات فهو عشرة أبواب، وهى : اليقظة ، والتوبة ، والمحاسبة ، والإنابة ، والتفكر ، والتذكر ، والاعتصام والفرار ، والرياضة ، والسماع . [c] قلت : ويظهر للأقسام العشرة التى ذكرها أولاً وجه فى الترتيب ، وذلك أن السالكين لطريق الحق سبحانه مختلفة أحوالهم وطباعهم ، فلكل واحد بداية وهى رتبة أولى له ، ولا بد له من باب يدخل منه وهى رتبة ثانية ؛ وإذا دخل من ذلك الباب احتاج إلى معاملة لائقة به فى سلوكه فهى رتبة ثالثة . [d] وإذا عامل مولاه بصدق ، تخلق بأخلاق محمودة وهى رتبة رابعة ؛ وإذا تهيأ بحسن التخلق الذى هو ثمرة المعاملة ، اشتاق إلى التعلق ولا بد له من أصول يبنى عليها سلوكه فتحققه فيها رتبة خامسة . [e] ولا بد أن تلقاه فى طريقه شدائد وأهوال فسماها أودية وهى رتبة سادسة ، ثم تعتوره أحوال وهى رتبة سابعة ؛ ثم يتصف بجميل الصفات ويجتمع همه بعد الشتات * وهى رتبة ثامنة . [f] ثم يغفل * fol. 9 b عن نفسه لكمال الشغل بربه ودوام نظره إليه فى سائر تصرفه وهى رتبة تاسعة ، ثم يبلغ إلى النهايات ويصل إلى الغايات وهى العاشرة . [g] وعلى هذه الأقسام يكون الكلام ، وبتمامها يكون الختام ، والله الموفق ﴿ ذو الجلال والإكرام . ﴾

[I - قسم البدايات]

30 [a] قال الشيخ وفقه الله : فأما قسم البدايات فهو عشرة أبواب ، وقد ذكرتها . [b] قلت : ووجه هذا الترتيب أن العبد المسترسل فى غفلته وتخليطه ٭ أول سعادته تيقظ من غفلته ٭ ثم رجوع عن حوبته ٭ ثم محاسبة على ما فرط من تقصيره ٭ ثم إنابة إلى الله سبحانه بالندم والاستغفار والاعتذار ٭ ثم التفكر والتذكر ليتدارك ما فات للخلاص من خفى الأقدار ٭ ثم الاعتصام بالتقوى حذراً من الرجوع إلى ما كان عليه من صفات الأشرار ٭ ثم الفرار من مواطن الهلكة ومعاطن الرياء والقرار ٭ ثم رياضة نفسه وسياستها ليستقيم على عبادة الجبار ٭ ثم حسن السماع لما يجريه الله تعالى من المواعظ فى الكتاب العزيز وصحيح الأخبار ٭ وجميل الآثار عن الصالحين والأخيار.

قال الشيخ وفقه الله :

[١]. باب اليقظة

31 [a] قال الله تعالى : ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى * ثم تتفكروا .﴾ [b] القومة لله تعالى هى اليقظة من سنة الغفلة والنهوض عن ورطة الفترة ، وهى أول ما يستنير قلب العبد بالحياة لرؤية نور التنبيه . [c] قلت : أما ما استدل به من الآية فوجهه أن المراد بالقيام فى الآية القيام بأوامر الله تعالى لسبب *fol. 10 a

30 : *b*. معاطن : موطن; الرياء : المربا (*sic*).
31 : *a*. C xxxiv 45/46 — *b*. التنبيه : add. واليقظة.

الموعظة لقوله تعالى : ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله﴾ ، ولا يقوم لله بأمر الله إلا المتيقظ له بالموعظة ورقة القلب لقبولها .

32 [a] قال الشيخ : وهى على ثلاثة أشياء : لحظ القلب إلى النعمة على الإياس من عدها ٭ والوقوف على حدها ٭ والتفرغ إلى معرفة المنة بها ٭ والعلم بالتقصير فى حقها . [b] قلت : يعنى أن أسباب اليقظة ثلاثة ، وهى نظر القلب إلى النعم مقروناً باستكثارها استكثاراً يحصل للقلب الإياس من عدها أو الوصول إلى غاياتها وحدودها . [c] بل يفرغ القلب عند ذلك إلى معرفة المنة من الله تعالى والعجز عن القيام بحق شكرها . [d] فيعيش القلب بهذا النظر عن موت الفتور إلى عزم الإقبال على الله والبعد عمن سواه .

33 [a] قال الشيخ وفقه الله : والثانى مطالعة الجناية والوقوف على الخطر فيها ٭ والتشمير لتداركها ٭ *والتخلص من ربقتها ٭ وطلب النجاة بتمحيصها . [b] قلت : *fol. 10 b
وكما أن القلوب تعيش وتنشط للخير بملاحظة النعم ، فكذلك بمطالعة الجناية والآثام القديمة وخوف خطرها فى الدنيا والعقبى . [c] فيحمله ذلك على التشمير فى التدارك لما سلف وإصلاح ما قارب التلف ، فيتخلص من ربقة الهلاك ويجدّ فى طلب النجاة .

34 [a] قال الشيخ وفقه الله : والثالث الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان فى الأيام والتنصل عن تضييعها ٭ والنظر إلى الضن بها ٭ ليتدارك فائتها ٭ ويعمر باقيها . [b] قلت : ومما يحمل على إصلاح الشأن ٭ والتنقل فى رتب الإيمان ٭ معرفة زيادة حال الإنسان ٭ ونقصه بواضح البرهان ٭ فان رأى نقصاً بادر إلى الإصلاح ٭ وإن رأى صلاحاً وزيادة انتهضت نفسه لما رأى من علامات الفلاح . [c] وإذا حاسب أوقاته هذه المحاسبة ، ضن بها أى بخل بها ولم يضيعها وتدارك ما فات منها بأفعال محمودة عوضاً عنها .

35 [a] قال الشيخ رحمه الله : فأما معرفة النعمة فانها تصفو بثلاثة أشياء : بنور العقل ، وشيم برق المنة ، والاعتبار بأهل البلاء . [b] قلت : وما ذكره الشيخ من شروط صفاء معرفة النعمة فصحيح ، فان العقل إذا لم يكن مستنيراً بالبعد من الشهوات المظلمات * لم يمكنه أن يتنسم روائح المنة ويشيم برقها ويتفرغ قلبه للاعتبار بأهل البلاء حتى يعرف نعمة الله عنده فيما صرفه عنه . * fol. 11 a

36 [a] قال الشيخ رحمه الله : وأما مطالعة الجناية فانها تصح بثلاثة أشياء : بتعظيم الحق ، ومعرفة النفس ، وتصديق الوعيد . [b] قلت : وهذا صحيح ، فان العبد إنما يقوى خوفه من الذنب على حسب عظمة من خالفه فى قلبه ، فمن هان أمره عليك لم تبال بمخالفته فى أوامره ونواهيه . [c] وكذلك من عرف نفسه وضعفها عن مقاساة العذاب ، اشتد هربه منه ومن أسبابه ولا سيما إذا كان قوى اليقين بالوعيد الثابت من الله تعالى للمخالفين .

37 [a] قال الشيخ رحمه الله : وأما معرفة الزيادة من النقصان فى الأيام فانها تستقيم بثلاثة أشياء : بسماع العلم ، وإجابة دواعى الحرمة ، وصحبة الصالحين . [b] قلت : وهذا صحيح ، فان الميزان الذى يعرف العبد به زيادته من نقصانه فى أيامه العلم بالأحكام وتفصيل الحلال والحرام ، وبمقدار كماله فيه يتمكن من قدر نفسه والنفس إذا عرفت الخير اشتاقت إليه وخطر لها فعله . [c] فمن أسباب الانتقال ﴿ سرعة الإجابة لخواطر الأعمال ﴿ وكذلك من المعينات ﴿ على فعل الخير ودوام الطاعات ﴿ * صحبة من يعمل ذلك فى عموم الأوقات ﴿ فان النفس إلى الاقتداء بالأحوال ﴿ أسرع منها إلى الاقتداء بالأقوال . * fol. 11 b

35 : b. يشيم : يشم.
37 : a. الصالحين : marg. السالكين. — c. وكذلك : وذلك ; المعيانات : المستعينات.

38 [a] قال الشيخ : وملاك ذلك كله خلع العادات . [b] قلت : وهذا صحيح ، فان العبد متى استرسل مع عوائده ﴿ لم يتمكن من شىء من مقاصده الدينية وفوائده .

[٢] . باب التوبة

39 [a] قال الله تعالى : ﴿ ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . ﴾ فأسقط اسم الظلم عن التائب . [b] قلت : ووجه الاستدلال بالآية ذم الله تعالى لمن لم يتب بعد أمره بذلك ونسبته إلى الظلم . [c] وقول الشيخ رحمه الله : فأسقط اسم الظلم عن التائب سلك بالآية مسلك المدح للتائب خاصة ، وهذا خاصية المندوب ﴿ والذى يدل على الوجوب ﴿ الذم على ترك الفعل المطلوب .

40 [a] قال الشيخ رحمه الله : والتوبة لا تصح إلا بعد معرفة الذنب ، وهى أن تنظر فى الذنب إلى ثلاثة أشياء : إلى انخلاعك من العصمة حين إتيانه ، وفرحك عند الظفر به ، وقعودك على الإصرار عن تداركه مع يقينك بنظر الحق إليك . [b] قلت : وهذا ‹ صحيح › ، فان من الحوامل على الإقلاع عن الذنوب علم العبد بنظر الحق إليه على حالته * التى نهاه عن الكون عليها ، وعلمه أيضاً بأنه فى هذه الحالة غير معصوم ولا محفوظ من مواقع سخطه عليه . [c] وأشد من ذلك فرحه بمواقعة المعصية وتيسر أسبابها ، ثم غفلته بعد ذكره لكونه ارتكبها عن الإقلاع والمبادرة بحل الإصرار . [d] فعلم العبد بقبح ما ارتكبه من هذه الأخلاق والأفعال ﴿ يحمله على التوبة والرجوع إلى طاعة ﴿ الكبير المتعال . ﴾ * fol. 12 a

38 : a. كله : marg. add. وجوب.
39 : a. C XLIX 11.
40 : a. على : عن — d. C XIII 10/9.

41 [a] قال الشيخ رحمه الله : وشرائط التوبة ثلاثة : الندم ، والاعتذار ، والإقلاع . [b] قلت : وهذا صحيح ، فان التوبة الشرعية التى يوقعها العبد خوفاً من الله تعالى إنما تكون بعد المعرفة بقبح الذنب وشدة المطالبة عليه من الرب . [c] ومن عرف قبح حاله عند ربه أقلع عنه فرجع إلى إصلاح شأنه ◦ وندم على ما فرط فى ماضى زمانه ◦ واعتذر إلى ربه بقلبه ولسانه . [d] وهذه أمور متلازمة لا تفارق التائب لله ، نعم التوبة فى حدها الرجوع عن الذنب مطلقاً ؛ فمتى رجع عن نقص أو إلى جهة كان تائباً . [e] ومقصودنا هاهنا التوبة التى هى امتثال لأمر الله ورجوع إلى الله تعالى .

42 [a] قال الشيخ رحمه الله : وحقائق التوبة ثلاثة أشياء : تعظيم الجناية ، * fol. 12 b واتهام التوبة ، * وطلب أعذار الخليقة . [b] قلت : وهذا بيّن ، فان حقيقة الشىء عند أهل هذا الشأن علاماته الدالة عليه . [c] ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لحارثة : ﴿ « كيف أصبحت ؟ » فقال : « أصبحت مؤمناً حقاً » فقال : « إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ » فقال : « عزفتْ نفسى عن الدنيا فاستوى عندى ذهبها ومدرها . » الحديث ﴾ فأخبره بعلامات صحة الإيمان بحقارة الدنيا وجمال الأخرى . [d] فكذلك من حقت له توبته فعلامته أن تعظم فى قلبه جنايته حتى تضيق عليه الأرض بما رحبت ◦ وتقوى لنفسه تهمته لمعرفته بخدعها وتلبيسها فى كثير مما زعمت وادعت ◦ وتكمل رحمته للخلق ويقدر لهم المعاذير لما يعرف من عجز نفسه عن القيام بما التزمت ثم أخلفت .

43 [a] قال الشيخ رحمه الله : وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة أشياء : تمييز الثقة من الغرة ، ونسيان الجناية ، والتوبة من التوبة أبداً ، لأن التائب داخل فى الجميع

43 : *a*. C xxiv 31 — *g*. . . . . : illisible — *h*. معناه : incert.

من قوله : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون ﴾ فأمر التائب بالتوبة . [b] قلت : وما ذكره بالغ ، فان من تمكن فى مقام التوبة واتصف بحقيقتها كما ذكرناه ، تخلق واتصف بسرائرها أى خفاياها ودقائقها ، وهى أن يفرق بين الثقة والغرة ، وذلك أن الثقة بالله عز وجل هو حسن الظن به . [c] وإنما يصح * ذلك مع جريان * fol. 13 a أعمال البر على العبد وجريان أسباب السلامة من الشر ، فحينئذ يغلب على ظنه الرجاء . [d] وإذا كان بضد ذلك وهو إن قصد إلى خير لم يتيسر له أو رام النقلة عن سوء ثـقُـل عليه ونفسه ساكنة معتمدة على عفو الله سبحانه بزعمها ، كان مغروراً . [e] وكذلك قوله ونسيان الجناية ، فان من استقام فى توبته ◦ وتمكن فى سنى حالته ◦ شغله ذلك عن ذكر حوبته . [f] وكذلك قال السرى للجنيد رضى الله عنهما وكان السرى مغموماً : « دخل على الساعة شاب فسألنى عن التوبة فقلت : التوبة ألا تنسى ذنبك . فعارضنى وقال : بل التوبة أن تنسى ذنبك . » قال الجنيد : « فقلت : الحق ما قاله الشاب ، فان العبد إذا كان فى حال الجفاء ◦ ونقله الله إلى حال الصفاء ◦ فذكر الجفاء فى حال الصفاء جفاء . » [g] قلت : وهو صحيح ، فان المقصود من ذكر الذنب الندم والإقلاع والجد فى الطاعات طمعاً فى كمال الانتفاع ؛ فاذا كان العبد متصفاً بكريم هذه الأخلاق لم يكن له بذكر الذنب فائدة ويجوز بإطلاق اسم الجفاء عليه إذ كماله فى ذكر النعمة . . . . .

[h] وأما قوله : والتوبة من التوبة أبداً معناه أن العبد إذا كمل فى رجوعه إلى الله لم يلتفت إلى أعماله ‹ ولم يسكن › إليها توبة كانت أو غيرها ، فيتوب من سكونه إلى توبته * . * fol. 13 b

44 [a] قال الشيخ رحمه الله : ولطائف سرائر التوبة ثلاثة أشياء : أولها أن تنظر بين الجناية والقضية فتعرف مراد الله عز وجل فيها إذ خلاك وإتيانها ؛ فان

الله عز وجل إنما يخلى العبد والذنب لأحد معنيين : أحدهما أن يعرف عزته فى قضائه وبره فى ستره وحلمه فى إمهاله راكبه وكرمه فى قبول العذر منه وفضله فى مغفرته . [b] قلت : واللطائف أدق من السرائر ولذلك أضافها إليها ، ومعناه أن نظره أخفى وأدق فى الأعمال إذا كمل فى درجات التوبة وتطلع على أسرار الأعمال وتفطن لكون مولاه أجرى عليه المعصية ثم وفقه بعدها للتوبة مع قدرته تعالى على حفظه عن الوقوع فيها . [c] فيعلم أن سره فى حق من سبقت له منه الحسنى أن يعرف العبد عزة الحق فى قضائه وأنه يفعل ما يشاء من أسباب الهلاك أو السعادة ، ويعلم بره وإحسانه فى ستره عليه وحلمه عنه وقت ملابستها مع اقتداره وإمهاله ، ويعرف كرمه فى قبول العذر من عبده ومغفرته لزلته .

45 [a] قال الشيخ رحمه الله : والثانى ليقيم على العبد حجة عدله فيعاقبه على ذنبه بحجته . [b] قلت : ونعوذ بالله من هذا القسم الأخير ، فانه من أمارات أهل التشغر (فى) المعاصى والدوام على الإصرار * وترك التوبة للكريم الغفار .

46 [a] قال الشيخ رحمه الله : واللطيفة الثانية أن تعلم أن طلب البصير الصادق لم يسبق له حسنة بحال لأنه يسير بين مشاهدة المنة وتطلب عيب النفس والعمل . [b] قلت : وهذا أيضاً من لطائف أحوال التائبين ، وهو أن طلب العبد الصادق فى طلبه لله تعالى * إذا تحقق فيه لا يرى لنفسه حسنة بحال لما غلب على قلبه *fol. 14 a
من رؤية المنة لمولاه وكثرة عيوب نفسه وغلبة هواه فنفسه تطيعها نافرة عن الطاعات * ومائلة إلى حب الثناء والمدح على الأعمال الصالحات * فان سلم له عمل من الآفات * فبمنة مولاه * وتفضله عليه فى دنياه وأخراه .

47 [a] قال الشيخ رحمه الله : واللطيفة الثالثة أن مشاهدة العبد الحكم لم يدع

45 : b. التشغر : الشعر (sic).

له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة لصعوده عن جميع المعانى إلى معنى الحكم . [b] قلت : وهذا الكلام يحتاج إلى بسط وشرح ، فانه لا بد من استحسان ما حسن الله واستقباح ما قبح ، والطاعات جميعها مستحسنة والسيئات مستقبحة . [c] فاذا تقرر ذلك قلنا مراده أن العبد إذا غلب على قلبه معنى من المعانى شغله عما سواه ، فمن غلب على قلبه النظر إلى ما سبقت له به المقادير وهو مغيب عنه ، لم تسكن نفسه لحسنة لاحتمال التغيير والتبديل ولم يقنط لوقوعه فى معصية لاحتمال العفو والتسهيل . [d] فهذا وجه ثانٍ أن مَن نظر إلى ما سبق الحكم به من تفضل مولاه عليه وإدراجه فى سلك من قربه لديه وإبعاده عن طريق من هان عليه ، لم يستحسن من نفسه حسنة لعجزها عن تحصيل ذلك بها ، ولم يستقبح سيئة أى لم يستنكرها منها لكون ذلك شأنها وخلقها . [e] وهذا كله لا يمنع من معرفة الحسنة والفرق بينها وبين السيئة .

48 [a] قال الشيخ رحمه الله : فتوبة العامة لاستكثار الطاعة فانه يدعو إلى ثلاثة أشياء : إلى جحود نعمة الستر والإمهال ، ورؤية الحق على الله تعالى والاستغناء الذى هو عين الجبروت والتوثب على الله . [b] قلت : * وقوله لاستكثار *fol. 14 b
الطاعة يعنى رجوعهم لاستكثار الطاعة ، فان استكثارها مقرون بآفات منها نسيانه نعمة الله تعالى فى ستره على العبد وقت معصيته إياه ، وإمهاله له ولم يعاجله بالعقوبة ؛ فعبر الشيخ عن غفلته بالجحود . [c] والآفة الثانية رؤية العبد أن له حقاً على ربه بعمله ، وهو عين الجهل فان سائر أعماله فضل من ربه عليه . [d] والآفة الثالثة رؤية العبد استغناءه بعمله واجتهاده فى عباداته ، وسماه الشيخ عين الجبروت والتوثب على الله . [e] قلت : وهذا صحيح ، فان الفقير الذى لا يملك شيئاً ولا يقدر

48 : e. C xvi 62/60.

على سد جوعه ولا شربه من ماء ، ثم رآه ملك عظيم كريم فأنعم عليه فى وقت ببعض نعمه ، فنسى فقره الماضى إليه وأظهر استغناءه عنه ، فكفى بهذه الحالة عتواً وتوثباً عليه ، ﴿ولله المثل الأعلى .﴾

49 “ قال الشيخ رحمه الله : وتوبة الأوساط من استقلال المعصية وهو عين الجرأة والمبارزة ، ومحض التزين بالحمية ، والاسترسال للقطيعة . ” قلت : وفرق ما بين هذه الدرجة والتى قبلها أن ما قبلها توبة عن عمل وله آفات ، وهذه توبة عن استقلال ما وقع فيه من المعصية وكان غير معظم للنهى عنها ؛ فالأول يرى عمله جرأة ومعصية ، والثانى سهل عنده ما وقع فيه من الإثم واستقلال الجرم . وهو عين الجرأة على الله والمبارزة ومحض *التزين بالحمية ، ومعنى الجرأة الإقدام على الأمور الهائلة المخوفة من غير تثبت ؛ والمبارزة إظهار القبائح التى ينبغى سترها وإخفاؤها ؛ ومن فعل هذه الأفعال مع مولاه فقد تزين بالحمية أى تحلى بنصرة هواه ❊ وترك أمر مولاه ❊ واسترسل بهذه الأفعال للقطيعة عمن تولاه . * fol. 15 a

50 “ قال الشيخ رحمه الله : وتوبة الخاصة من تضييع الوقت فانه يدعو إلى إدراك النقيصة ، ويطفىء نور المراقبة ، ويكدر عين الصحبة . ” قلت : وهذه الرتبة أرفع مما قبلها ، فان من تاب عن تضييع أوقاته ❊ ليس كمن تاب عن استقلال زلاته ❊ ومن لم يتب عن تضييع الأوقات أدركته النقائص ولم ينتقل فى درجات القرب لكدورة قلبه وهو طفىء نوره وتضيق عليه حاله مع الله وهو تكدر عين الصحبة ، وذلك أن من لم يعرف زيادته من نقصانه بعد عليه انتقاله فى أحواله مع الله .

50 : *a*. إدراك : درك.

51 “ قال الشيخ رحمه الله : ولا يتم مقام التوبة إلا بالانتهاء إلى التوبة مما دون الحق ، ثم رؤية علة تلك التوبة ، ثم التوبة من رؤية تلك العلة . ” قلت : وهذا صحيح ، فان غاية المقامات كلها الوصول إلى مقام التوحيد وهو غلبة النظر بالقلب إلى الحق من العبد بالخلاص من سائر الأسباب الدنيوية والدينية توبة أو غيرها . فيرجع العبد أولا عما دون الله من الأسباب الدنيوية والأشخاص . . . *ثم يرجع عن رؤية رجوعه خوفاً من سكون نفسه إلى كمال توبته وهو علة التوبة ، ثم يتوب من رؤية العلة خوفاً من استرواح نفسه إلى معرفة العلة ، حتى يتبرأ مما سوى مولاه ❊ ولا يسكن بقلبه لسواه . * fol. 15 *b*

[٣]. باب المحاسبة

52 “ قال الله تعالى : ﴿اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ وإنما يُسلك طريق المحاسبة بعد العزيمة على عقد التوبة . ” قلت : وجه الاستدلال بالآية الأمر منه تعالى للعبد بالنظر فيما يقدم من الأفعال هل وقعت على وجهها المشروع أم لا . وهذا لا يكون إلا بعد صحة العزيمة من العبد على الخلاص مما هو فيه .

53 “ قال الشيخ رحمه الله : والمحاسبة لها ثلاثة أركان ، أحدها أن تقيس بين نعمته وجنايتك ، وهذا يشق على من ليس له ثلاثة أشياء : نور الحكمة ، وسوء الظن بالنفس ، وتمييز النعمة من الفتنة . ” قلت : إنما كانت هذه أركان المحاسبة من حيث أن النظر . . . بالمنظور فيه ؛ وركن يعنى ما يكون به قوامه ؛

51 : *c*. . . . : illisible; وهو : وهى.

52 : *a*. C LIX 18.

53 : *b*. . . . : illisible — *c*. الأمارة بالسوء : v. C XII 53; خفيت عنه : عميت عليه (corr. marg.).

والمنظور . . . . نفسه . . . . بمعرفتها بنعم الله عليها المتوالية مع جناياتها . . . . بركوب معصيتها ، وهل يليق بالمنعم عليه مجازاته إياها للمنعم بالمخالفة فى الأوامر وارتكاب المناهى ، وهل هذا إلا كفران النعم وكفران الإحسان . [c] ولكن لا يقوم العبد بهذه المحاسبة * إلا بنور الحكمة النبوية والمواهب الربانية مع سوء الظن بنفسه الأمارة بالسوء ، فان العبد متى حسُن ظنه بنفسه عميت عليه نقائصها ومتى اتهمها فتش عن عيوبها . [d] وإذا ميز بين خواطره بالعلم وفرق بين المحمود منها والمذموم ، حصل له الفرق فى حاله بين النعمة والفتنة .

*fol. 16 a

54 [a] قال الشيخ رحمه الله : والثانى تمييز ما للحق عما لك أو منك ، فتعلم أن الجناية عليك حجة والطاعة عليك منة والحكم عليك حجة ما هو لك معذرة . [b] قلت : ويحاسب العبد نفسه ويميز بين لطف ربه به وحلمه عنه وقت عصيانه وتوفيقه إياه للتوبة والطاعة مع ما سبق من مخالفته وإجرامه وبين قبح أفعاله . [c] فيتبين له من ذلك أن معصيته حجة لله عز وجل عليه فى العقاب ◦ وطاعته لربه منة عليه فى تيسير أسباب الثواب ◦ وأن حلم الحق عنه وإمهاله إياه وكونه لم يؤاخذه على الفور حجة لله تعالى فى إمهاله ليرجع ويتوب وليس ذلك عذراً للعبد عند ربه تعالى .

55 [a] قال الشيخ رحمه الله تعالى : والثالث أن تعرف أن كل طاعة رضيتها منك فهى عليك ◦ وكل معصية عيرت بها أخاك فهى إليك ◦ فلا تضع ميزان وقتك من يديك . [b] قلت : وهذه رتبة أرفع فى النظر مما قبلها ، وذلك أنه ما من مقام بلغه العبد إلا وفوقه ما هو * أكمل منه . [c] فاذا رضى العبد عن نفسه بحاله

*fol. 16 b

54 : a. والحكم : والحلم (corr. marg.).

وقنع به لم يطلب ما هو أرفع منه ، فبهذا الوجه كان رضى النفس بالطاعة عليها لا لها . [d] وكذلك متى تفرغ العبد لعيوب غيره دل ذلك على قلة شغله بنفسه ، وبهذا الاعتبار رجع النقص إلى من عير أخاه بذنب . [e] ولا يكمل العبد فى هذا النظر الجليل إلا بدوام التثبت عند كل حركة وسكنة بقلب أو بجارحة أو خاطر داع إلى عمل قليل أو كثير ما . [f] وبهذا لم يدع ميزان وقته من يديه لما هو فيه من اليقظة وإدراك الزيادة والنقص بسرعة .

[٤] . باب الإنابة

56 [a] قال الله تعالى : ﴿وأنيبوا إلى ربكم .﴾ الإنابة ثلاثة أشياء : الرجوع إلى الحق إصلاحاً كما رجع إليه اعتذاراً ، والرجوع إليه وفاء كما رجع إليه عهداً ، والرجوع إليه حالاً كما رجع إليه إجابة . [b] قلت : والتوبة والإنابة والأوبة بمعنى الرجوع فى أصل الوضع ، وخص الشيخ الرجوع إلى الله على وجه التقرب بالإنابة وإن لم يكن ذلك عن ذنب . [c] وقد قال أهل التفسير فى قوله تعالى ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ : أى رجاع إلى طاعة الله عز وجل . [d] فيرجع العبد إلى الله إصلاحاً لعمله وتكميلا لمقامه كما رجع إليه أولا اعتذاراً عنه . [e] ويرجع إليه وفاء بما عزم الله عليه من الخيرات كما رجع إليه قبل ذلك قياماً بحق الله تعالى لقوله سبحانه : ﴿ألم أعهد * إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان . الآية .﴾ [f] ويرجع إليه حالاً وتخلقاً بأكمل الصفات كما رجع إليه إجابة لدعائه إياه إلى القيام بالواجبات .

*fol. 17 a

57 [a] قال الشيخ رحمه الله : وإنما يستقيم الرجوع إليه إصلاحاً بثلاثة أشياء : بالخروج من التبعات ◦ والتوجع للعثرات ◦ واستدراك الفائتات . [b] قلت : وهذا

56 : a. C xxxix 55/54 — c. C xxxviii 29/30, 44 — e. بحق : incert.; C xxxvi 60.

صحيح ، فان إصلاح الأعمال وتحقيقها وحفظها عن الانتقال * إلى ديوان غيره بما عليه من حقوق العباد مقاصة فى المآل * يكون بالخروج من تبعات الخلق وحقوق الخالق . ^c وكذلك محو الزلات * التى كانت من العبد فيما مضى من الأوقات * وإن كان تائباً عنها غير ملابس لها ، إنما يمحوها توجعه للعثرات الماضيات * وبه يحفظ من الزلل فى الأوقات الآتيات * ^d وإذا تخلق بهذا الخلق استدرك بأوقاته المقبلات * ما وضر فيه من الأوقات الماضيات .

58 ^a قال الشيخ رحمه الله : وإنما يستقيم الرجوع إليه وفاءً بثلاثة أشياء : بالخلاص من لذة الذنب ، وبترك استهانة أهل الغفلة تخوفاً عليهم مع الرجاء لنفسك ، وبالاستقصاء فى رؤية علل الخدمة . ^b قلت : وهذا بالغ ، فان الأواب المنيب إلى الله سبحانه الذى . . . . التة مع مولاه لا يخلو فى ابتداء أمره وقربه من
* fol. 17 b توبته عن تذكر * شهواته الماضية وخطور الخواطر الداعية إلى ما عهدته النفس من اللذات الغابرة ، فكمال وفائه لربه بما عزم عليه من إنابته إليه ببدنه وقلبه خلاصه من لذة الذنب الماضى وقت ذكره . ^c وكذلك من تمكن فى حالته وتحقق فى استقامته ، إذا رأى غيره من أهل الغفلة والإعراض عما هو فيه من الخير ، أخطر له العدو خواطر الاستهانة والاستنقاص لما يخشاه عليهم بزعمه وتنزّه نفسه عنه لحسن ظنه بها . ^d وحقيقة وفائه لربه بما عزم عليه من موافقته له وقربه منه الخوف على نفسه قبلهم ، لأنه من معصيته على يقين ومما يختم له به على شك ومن أحوال غيره على ظن وحسبان ومن خاتمة حاله أيضاً فى شك . ^e وكذلك من كمل فى درجات عزمه ووفائه لربه تمكن فى الاستقصاء عن آفات أعماله وعلل أحواله .

59 ^a قال الشيخ رحمه الله : وإنما يستقيم الرجوع إليه حالاً بالإياس من عملك * ومعاينة اضطرارك * وشيم لطفه بك . ^b قلت : والوفاء حالاً أتم من الوفاء

عملاً ، فان صحة الأحوال تبع لصحة الأعمال . ^c وإنما يقوى الحال بدوام رؤية الفضل من الله فى التوفيق للأعمال والصيانة من الخذلان ، فلا يرى ‹ لنفسه عملاً › يعتمد عليه ، بل هو غريق فى بحر الأفضال مضطر فى جريانها عليه مقارنة لقدرة
* fol. 18 a التوفيق لديه وتنسمه شيم * لطف مولاه به .

[٥]. باب التفكر

60 ^a قال الله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزّل إليهم ولعلهم يتفكرون . ﴾ إعلم أن التفكر تلمس البصيرة لاستدراك البغية . ^b قلت : والتلمس بالقلب التفتيش عن المطالب العقلية والشرعية .

61 ^a قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاثة أنواع : فكرة فى عين التوحيد ، وفكرة فى لطائف الصنعة ، وفكرة فى معانى الأعمال والأحوال . ^b فأما الفكرة فى عين التوحيد فهى اقتحام بحر الجحود ولا ينجى منه إلا الاعتصام بضياء الكشف والتمسك بالعلم الظاهر . ^c قلت : ومعنى كونه بحر الجحود أن المتفكر فى حقيقة ذات لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلة به ولا منفصلة عنه ولا تشبه شيئاً من الموجودات لا فى الأرض ولا فى السموات . . . . ولا النيران ولا النجوم ولا النّيران يتحير فى هذه البحار ، ومن خذله الله فيها وقع فى بحر الجحود . ^d ومن أراد الحق عصمته تمسك بنور الكشف الحقيقى وضياء العلم الشرعى النبوى ، فيعلم أن الفعل المفتتح الوجود المصنوع لا بد له من صانع ولا بد أن يكون قادراً
مريداً عالماً حياً . * ^e فان الفعل يستحيل صدوره عن الموتى وعن العجزة ، ولا * fol. 18 b

60 : *a*. C xvi 46/44 — *a b*. تلمس : تلمص.

61 : *b*. اقتحام : marg. إقحام — *c*. . . . : illisible; البحار : incert. — *f*. C xiv 11/10; v 120, xi 4, xxx 49/50, xlii 7/9, lvii 2, lxiv 1, lxvii 1; lxvii 14.

يقع الفعل على بعض الصفات والجهات والخصائص مع إمكان الوقوع على غير ذلك إلا من عالم مريد . [f] وأما الضياء الشرعى فمن قوله تعالى : ﴿ أفى الله شك فاطر السموات والأرض ﴾ وقوله : ﴿ وهو على كل شىء قدير ﴾ وقوله : ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾ وغير ذلك من الآيات .

62 [a] قال الشيخ : وأما الفكرة فى لطائف الصنائع فهى ماء يسقى زرع الحكمة . [b] قلت : وذلك أن الفكرة فى أسرار صنع الحق سبحانه تُطلع العبد على أنواع من حكمة الله سبحانه . [c] وإذا تمكن العبد فى ذلك تزيدت حكمته فى نفسه وكثرت فصار حكيما .

63 [a] قال الشيخ رحمه الله : وأما الفكرة فى معانى الأعمال والأحوال فهى تسهيل سلوك طريق الحقيقة . [b] قلت : وهو صحيح ، فان العبد متى اطلع على معانى الأعمال وفوائد الأحوال ، اتصف بكريم الفعال . [c] والحقيقة كما تقدم عند القوم حال للقلب كما قال حارثة : عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى ذهبها وحجرها ه .

64 [a] قال الشيخ رحمه الله : وإنما يتخلص من الفكرة فى عين التوحيد بثلاثة أشياء : معرفة عجز العقل ، والإياس * من الوقوف على الغاية ، والاعتصام * fol. 19 a
بحبل التعظيم . [b] قلت : ومما يعين على سرعة الخلاص من الفكرة فى عين التوحيد والسلامة من الوقوع فى بحر الجحود معرفة العبد بعجز عقله عن إدراك كل الموجودات من المخلوقات فضلا عن خالقها . [c] وقد عجزت العقول عن إدراك الخاصية التى يجذب بها المغناطيس الحديد والسقمونيا الأخلاط الصفراوية وغير ذلك . [d] فمعرفته بقصور عقله تحمله على التوقف عن القطع بالنفى لما لم يعلم ، وكذلك ما علم منه

62 : a. الصنائع : marg. الصنع.

وجهاً وجهل غيره من الوجوه كالعلم بتعلق القدرة بالمقدور قطعاً وإيجاده من العدم والجهل بكيفية تعلقها به إذ يستحيل الكيفية فى وصفه تعالى . [e] وكذلك يعلم قطعاً تعلق العلم القديم بما لا يتناهى على التفصيل من الممكنات كما دلت عليه الأخبار والآيات من خلود أهل الجنة والنار وتوالى النعيم والعذاب وهى أعراض خلقها الله تعالى لهم بها ينعمون بمآكلهم ومشاربهم ومناكحهم لا إلى غاية ونهاية . [f] فاذا عرف العبد عجزه وأيس من الوقوف على غاية مطلبه فى التوحيد ، حمله ذلك على التمسك بحبل التعظيم والإجلال ويسلم كذلك من الوقوع فى شىء من الإخلال .

65 [a] قال الشيخ رحمه الله تعالى : وإنما تُدرك لطائف الصنائع بثلاثة أشياء : * fol. 19 b
* بحسن النظر فى مبادىء المنن ، والإجابة لدواعى الإشارات ، وبالخلاص من رق الشهوات . [b] قلت : وهو صحيح ، فان العبد إذا أنعم نظره فى مبادىء المنن عليه وهل كان ذلك بسبب من جهته أو كله فضل من خالقه عليه ، عظمت فى قلبه المنة وكبر عنده اللطف وصنائع المعروف . [c] وإذا علم ذلك أجاب دواعى الإشارة بالطاعة وبادر إليها وأعرض عن الشهوات العاجلة ، وتخلص من رق نفسه وشهواتها .

66 [a] قال الشيخ رحمه (الله) : وإنما يوقف بالفكرة على مراتب الأعمال والأحوال بثلاثة أشياء : باستصحاب العلم ، واتهام المرسومات ، ومعرفة مواقع العبر . [b] قلت : وهو صحيح ، فان مستندات الأحكام والأحوال وتفاوت مراتبها الأدلة الشرعية ، وإذا لم يستصحبها العبد بنفسه أو يقلد من يعرفها هلك مع الهالكين . [c] وإذا أخذ العلم بنفسه فلا يقبله من كل أحد ولا يعتمد على ما يجده فى الكتب بل على فهم العلماء وهو المراد باتهام المرسومات حتى يحققها عن أهلها . [d] ومعرفته مواقع العبر يعنى مواقع الأقيسة وإلحاق الشىء بأمثاله فى الحكم ، سواء كان الحكم

66 : a. العبر : marg. الغير — e. كان : كاس.

واجباً أو مندوباً فاضلاً * عن بلوغ مراده ، جد فى التحصيل . [e] وأنجع الفكرة ما كان فى كتاب الله عز وجل ، فانه المقطوع بصحته المحتوى على جميع الفوائد التى ينتفع بها المريدون لمولاهم . [f] وإنما تصفو الفكرة بزوال المشغلات عن القلوب من الظاهر والباطن : أما الظاهر فالاجتماع بالخلق وصرف النظر والسمع إلى جهتهم وكثرة الامتلاء من الطعام ، ويلزم عنه كثرة المنام ؛ وأما الباطن فكثرة المنى والشهوات والتفات القلب وقت الفكرة إلى بعض الأسباب المحبوبات وهى المتعلقات . * fol. 20 a

[٦]. باب التذكر

67 [a] قال الله تعالى : ﴿ وما يتذكر إلا من ينيب . ﴾ التذكر فوق التفكر فان التفكر طلب والتذكر وجود . [b] وأبنية التذكر ثلاثة أشياء : الانتفاع بالعظة ، واستبصار العبرة ، والظفر بثمرة الفكرة . [c] وإنما ينتفع بالعظة بعد حصول ثلاثة أشياء : بشدة الافتقار إليها ، وبالعمى عن عيب الواعظ ، وبذكر الوعد والوعيد . [d] وإنما تستبصر العبرة بثلاثة أشياء : بحياة العقل ، ومعرفة الأيام ، والسلامة من الأغراض . [e] وإنما يُجنى ثمر الفكر بثلاثة أشياء : بقصر الأمل ، والتأمل فى القرآن ، وقلة الخلطة والتمنى والتعلق والشبع والمنام . قال الشيخ رحمه الله :

[٧]. باب الاعتصام

68 [a] قال الله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ﴾ ﴿ واعتصموا بالله هو مولاكم . ﴾ الاعتصام بحبل الله هو المحافظة على طاعة الله موافقاً لأمره ،

67 : Ce chapitre, omis dans le texte, a été rajouté en marge, d'une autre main, sans le commentaire. *a*. C XL 13.

68 : *a*. C. III 98/103; XXII 78.

والاعتصام بالله هو الترقى عن كل موهوم والتخلص عن كل تردد . [b] قلت : حبل الله هو السبب الموصل إليه وهو شرعه الذى يدل على طاعته والوصول إليه . [c] والاعتصام بالله دون غيره من الأسباب هو إفراده بالقصد والاعتماد ٭ والإعراض عمن سواه من سائر العباد .

69 [a] قال الشيخ رحمه الله : والاعتصام على ثلاث درجات : اعتصام العامة بالخبر استسلاماً وإذعاناً ، بتصديق الوعد والوعيد وتعظيم * الأمر والنهى وتأسيس المعاملة على اليقين والإنصاف ؛ وهو الاعتصام بحبل الله . [b] واعتصام الخاصة بالانقطاع ، وهو صون الإرادة قبضاً ٭ وإسبال الخُلق على الخلق بسطاً ٭ ورفض العلائق عزماً ؛ وهو التمسك ﴿ بالعروة الوثقى ﴾ . [c] واعتصام خاصة الخاصة بالاتصال ، وهو شهود الحق تفريداً ٭ بعد الاستجابة له تعظيماً ٭ والاشتغال به قرباً ؛ وهو الاعتصام بالله . * fol. 20 b

70 [a] قلت : وما ذكره رضى الله عنه من هذه الرتب الثلاث ، وجعل الأولى للعامة من أهل هذا الشأن ، صحيح : فان أول الأمر الإيمان والتصديق لما جاء عن الله من وعده للمطيع ووعيده للعاصى . [b] فاذا حصل له هذا يقيناً واتصف به عملاً كان مستمسكاً بحبل الله الموصل إليه . [c] ثم إذا ارتفعت درجته وانقطع بقلبه عن الأغيار قبضاً لا كبراً ٭ وبذل ما يقدر عليه لعباد الله من الخير بسطاً وديناً لا رياءً أو فخراً ٭ ورفض كل ما يشغله عن ربه جداً وعزماً ٭ فهذا قد استمسك ﴿ بالعروة الوثقى ﴾ التى لا انفصام ‹ لها › وقد ارتقى عن درجة العامة المريدين

69 : *b*. C II 257/256, XXXI 21/22.

70 : *c*. id. — *d*. دون : ذوق; C XXII 63/64, XXXI 25/26, XXXV 16/15, LVII 24, LX 6.

قدماً . [d] وإذا تمكن فى مقام التوحيد * بعد حمل جده فى تحصيل التعظيم لمولاه المجيد * واشتغل به عن سواه من العبيد * فاعتمد بقلبه عليه فى سائر تصرفاته ، ⟨ حل ⟩ بقلبه ذوق الاعتقاد الصحيح السديد * *فهذا هو الاعتصام بالله ﴿ الغنى الحميد ﴾ . * fol. 21 a

[٨] . باب الفرار

71 [a] قال الله تعالى : ﴿ ففروا إلى الله . ﴾ الفرار هو الهرب مما لم يكن إلى من لم يزل . [b] قلت : إنما فسر الشيخ الآية بقوله هو الهرب ؛ وهو الفرار إلى الله عز وجل الذى لم يزل ، من العالم بأسره الذى كان بعد أن لم يكن . [c] فهو يفر منه إلى ربه تعالى بقلبه وعمله وإن كان بين الخلق ببدنه ، ولهذا قيل : الصوفى كائن بائن ﻫ .

72 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : فرار العامة من الجهل إلى العلم عقداً وسعياً * ومن الكسل إلى التشمير جداً وعزماً * ومن الضيق إلى السعة ثقة ورجاء . [b] قلت : قد تقدم القول مراراً أنه رضى الله عنه إنما يريد بالعامة فى ترتيب المقامات عامة السالكين والمبتدئين منهم . [c] والمبتدىء يجب عليه أن يفر إلى علمه بربه وعلمه بدينه إما اعتقاداً أو معرفةً على حسب حاله فى . . . . ، فيفر إلى تحصيله عقداً وعزماً بقلبه وسعياً ببدنه . [d] فان طلب العلم فريضة على كل مسلم إما تحصيلا أو تقليداً بعالم . *فانه شرط صحة طاعته ومتى لم يعلم دينه بنفسه ولا قلد غيره استحالت منه الطاعات . [e] ويفر أيضاً بعد التحصيل للعلم إلى العمل به ويترك الكسل ويشمر بالجد فى تحصيل الخيرات . [f] وإذا حصل العلوم والأعمال * fol. 21 b

71 : *a*. C LI 50.
72 : *b*. v. § 28 *c*, 70 *a* — *c*. . . . : illisible.

الصحيحة على حسب ما علم ، غلب على ظنه لطف ربه به لتوفيقه لذلك ، فيفر من ضيق المعصية والقنوط إلى سعة حسن الظن والثقة بالله تعالى ، ويفر أيضاً من ضيق النظر فى الأسباب إلى سعة الرضاء بالأقدار .

73 [a] قال الشيخ رحمه الله : وفرار الخاصة من الخبر إلى الشهود ، ومن الرسوم إلى الأصول ، ومن الحظوظ إلى التجريد . [b] قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها ، فان فرار أهل هذه الدرجة مما فر إليه من تقدم : [c] ففرار الأول إلى تحصيل السكون إلى الحق بالتقليد والأخبار عن الحق تعالى المعبود * وفرت هذه الطائفة إلى الاستدلال بآثار الحق عليه وتحصيل مقام الشهود . [d] وفرت الأولى من الكسل إلى الأعمال والرسوم * وفرت هذه الطائفة من رؤية أعمالها إلى مجريها عليها وهو الحق القيوم * وهذا هو المراد (والله أعلم) بالأصول . [e] وفرت الأولى من ضيقها إلى سعة الرجاء على أعمالها * وفرت *هذه الطائفة من رؤية أعمالها إلى فضل ربها * fol. 22 a عليها * وكونها محلاً لذلك خاصة وهو التجريد .

74 [a] قال الشيخ رحمه الله : وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق إلى الحق * ثم من شهود الفرار إلى الحق * ثم الفرار من الفرار إلى الحق . [b] قلت : وهذا قد يكيع عن فهمه من لم يُنَبَّه عليه بتقريب ؛ وذلك أن العبد قد يفر إلى الحق من كل موجود حتى من نفسه ، فيفر من إضافة عمل محمود إليها ، ويكون مع ذلك ساكناً لحالته الشريفة مستحسناً لها ؛ فهو يفر من استحسان حالته إلى ربه ويبقى مدركاً لفراره ؛ فيفر من رؤيته لفراره مطلقاً . [c] وتقريب ذلك بالمثال أن من أنعم عليه ملِك كريم مفضال بشىء يسير من النعم ، ثم أذن الملك لرعيته فى أن يهدوا إليه ما يقدرون عليه فقربوا إليه هداياهم ؛ فقلب هذا المذكور مستحقر لما يهديه إلى الملك لكونه من اليسير الذى أنعم عليه به ، فار عن نسبة هذه الهدية إلى

نفسه لكونها نعمة عليه من الملك ؛ ثم إذا تفطن لمعرفته بقبح دعوة الملك لما أهداه إلى الملك المنعم وكونه تبرأ من إضافة ذلك إليه ، عد ذلك نعمة من الله الذى حفظه من قبح هذه * الحالة وتبرأ من دعواه فى شىء من النعم التى جرت عليه من جهته مطلقاً لقبح الدعوى فيما ليس منه ولا إليه .

* fol. 22 b

[٩]. باب الرياضة

75 [a] قال الله عز وجل : ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة . ﴾ [b] قلت : ووجه الاستدلال بهذه الآية (والله أعلم) تهمة النفس فى كل حال ٭ وخوف اختلال الأعمال ٭ مع الاجتهاد فى تحصيل الكمال .

76 [a] قال الشيخ رحمه الله : الرياضة تمرين النفس على قبول الصدق . [b] قلت : قوله تمرين النفس صحيح وهو حقيقة الرياضة ، فان النفس تراض كما يراض الجواد على السير . [c] وقوله على قبول الصدق يعنى قبول الحق والصدق من أى جهة ورد عليها فى الأقوال والأحوال وغيرها ، حتى يقبل الحق من كل قائل من غير تفرقة ولا تفصيل .

77 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهى على ثلاث درجات : رياضة العامة تهذيب الأخلاق بالعلم ، وتصفية الأعمال بالإخلاص ، وتوفير الحقوق فى المعاملة . [b] قلت : وهو صحيح ، فان التائب قد تقدمت منه عوائد واكتسب فى صبوته أخلاقاً مذمومة ٭ فرياضة نفسه لتهذيب أخلاقه والنقل * عن عوائده بمتابعة العلم ، فهذه هى التصفية عند القوم . [c] ثم يروض نفسه بعد ذلك فى تصفية أعماله من الشوائب والالتفات إلى الخلق بحفظ درجة الإخلاص . [d] ثم يروض نفسه فى تكميل الأعمال وتوفير الحقوق لله تعالى وللخلق فى المعاملة ، وهذه هى التحلية .

* fol. 23 a

75 : a. C xxiii 62/60.

78 [a] قال الشيخ رحمه الله : ورياضة الخاصة حسم التفرق ، وقطع الالتفات إلى المقام الذى جاوزه ، وإبقاء العلم يجرى مجاريه . [b] قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها ، فان ما قبلها رياضة فى التنقل عن أخلاق مذمومة والتحلى بأعمال محمودة وذلك تفرق وشتات بالإضافة إلى المقصود ، وهذه رياضة فى تحصيل مقام الجمع بين يدى الله تعالى وقصر الهمة عليه ومنع القلوب أن تلتفت إلى غيره من حال أو مقام . [c] وقوله وإبقاء العلم يجرى مجاريه معناه أن العبد لا يحمله ما هو فيه من كمال الحال ٭ على الوقوع بسببه فى شىء من الإخلال .

79 [a] قال الشيخ رحمه الله : ورياضة خاصة الخاصة تجريد الشهود والصعود إلى الجمع ، ورفض المعارضات والمعاوضات . * [b] قلت : وهذا أرفع مما قبله فان ما قبله سكون عمل ورياضة فى تحصيل مقام الجمع ، وهذا قد حصله وبقى لقلبه بعض الالتفات إلى الأغيار وهو يعمل فى قطع ذلك . [c] وهو رفض المعارضات والمعاوضات ، فما عارضه من مشغل أقصاه ٭ وما خطر له على عمله من طلب عوض كرهه ونفاه .

* fol. 23 b

[١٠]. باب السماع

80 [a] قال الله تعالى : ﴿ ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم . ﴾ نكتة السماع حقيقة الانتباه . [b] قلت : نكتة الشىء روحه والمقصود منه ، فلذلك قال : حقيقة الانتباه . [c] فمن أسمعه مولاه نداءه إياه بنفسه أو بواسطة سواه حتى انتبه من غفلته واستيقظ قلبه من رقدته ، فقد سمع السماع المحمود .

78 : a. مجاريه : marg. مجراه.
79 : a. ورفض : marg. وقطع.
80 : a. C viii 23.

81 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : سماع العامة ثلاثة أشياء : إجابة زجر الوعيد روعةً ، وإجابة دعوة الوعد جهداً ، وبلوغ مشاهدة المنة استبصاراً . [b] قلت : وهذا صحيح ، فان أول محرك لقلوب الغافلين زاجر الوعيد من الله سبحانه على التفريط فى حقه خوفاً منه وروعاً . [c] ثم إجابة داعى * الوعد * fol. 24 a
من الله سبحانه على الطاعة بالجد والجهد . [d] ثم الانتقال إلى رؤية فضل الله تعالى والمنة له فى تيسير الخيرات لكمال بصيرته وتحقيق معرفته .

82 [a] قال الشيخ رحمه الله : وسماع الخاصة ثلاثة أشياء : شهود المقصود فى كل زمن ، والوقوف على الغاية فى كل حسن ، والخلاص من التلذذ بالتفرق . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها انتباه لخلاص من نقص واشتغال بخير فى وقت ، وهذه الدرجة انتباه لملاحظة الحق فى كل وقت وطلب معالى الأمور من الأعمال والأحوال ونقل النفس عن التلذذ بالأحوال التفاتاً لطلب مقام الجمع حتى لا يبقى معه للنفس حظ من لذة .

83 [a] قال الشيخ رحمه الله : وسماع خاصة الخاصة سماع يغسل العلل عن الكشف ، ويصل الأبد بالأزل ، ويرد النهايات إلى الأول . [b] قلت : وقوله يغسل العلل عن الكشف يعنى الخواطر المشغلة عنه وفتور النفس عن تحمل أعباء ملازمة مقام الجمع . [c] وقوله ويصل الأبد بالأزل ويرد النهايات إلى الأول يعنى غلبة السوابق على القلب حتى لا يلتفت إلى ما يتجدد عليه من الأحوال * وما يتراقى * fol. 24 b
فيه من الدرجات فى المآل . [d] وفى هذا المعنى قال بعضهم : ما رأيت شيئاً حتى رأيت الله قبله ه ، وذلك لما غلب على قلبه من رؤية السوابق .

82 : *a.* زمن : marg. رمز ; حسن : marg. حين, interl. مقصد.

[II – قسم الأبواب]

84 [a] قال الشيخ رحمه الله : وأما قسم الأبواب فهو عشرة أبواب ⟨ وهى ⟩ : الحزن ، والخوف ، والإشفاق ، والخشوع ، والإخبات ، والزهد ، والورع ، والتبتل ، والرجاء ، والرغبة . [b] قلت : قد قدمنا أن لكل سالك باباً يغلب على قلبه ، تكون منه نهضته ودخوله فى السلوك . [c] فمنهم من يغلب على قلبه الحزن لما عرفه من الوعيد للعاصى من الأخبار والآيات * ومنهم من يغلب على قلبه الخوف لما اجترحه من الزلات . [d] ومنهم من يطلعه مولاه على تفضله وإحسانه لغيره ممن خالفه فيما أمره به أو نهاه * وكيف عفى عن السحرة ، ونقلهم فى لحظة إلى مقام مَن تولاه * وملأ قلوبهم من معرفته حتى هان عليهم تقطيع أيديهم وأرجلهم فى رضاه * ويمتزج خوفه ورجاؤه فيهدأ بعض قلقه ويبقى مشفقاً مما جناه . [e] ويكون بعضهم خاشعاً ذليلا مخبتاً بين يدى * مولاه * لما ثبت فى قلبه من معرفة من وفقه للتوبة وهداه . * fol. 25 a
[f] وبعضهم يغلب على قلبه العلم بحقارة دنياه * لمعرفته بحقيقتها وهوانها عند الله فيُعرض عنها للتفرغ لعمل أخراه . [g] وبعضهم يعرف ضعف نفسه وقلة صبرها عن الشهوات * وسرعة ميلها إلى الراحات * فينفر عن الدنيا طمعاً فى الخلاص من الآفات . [h] وبعضهم يثير له مولاه علماً من محبّة الخدمة له والتبتل لعبادته * حتى يصل إلى مقام أنسه به * فيلزم عن ذلك موت صفات نفسه . [i] ومنهم من يحمله رجاؤه لمولاه على الجد فى الأعمال طلباً للجزاء فى أخراه * ومنهم من تكون رغبته فى رضاه * وحصول قربه منه ونجواه . [j] فالله تعالى يوفقنى وإياكم لجميع هذه الأبواب * فانها قد تجتمع فى بعض الأحباب * كما قال أبو بكر الصديق

84 : *b.* v. § 29 *c.*

رضى الله عنه لما وصف النبى عليه السلام أبواب الجنة الثمانية فقال أبو بكر : « ما على من يدخل من تلك الأبواب كلها » أو كما قال ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ﴿ أنت منهم يا أبا بكر ﴾ ، وذلك لكمال اتصافه بجميل الصفات ⁕ ومبادرته لجميع أبواب الطاعات والقربات ⁕ لا أنه يدخل بجسمه من جميع الأبواب إلى الجنة فى وقت دخوله إليها ، بل هو أهل للدخول من * أى الأبواب شاء بخلاف غيره . * fol. 25 b

[١١]. باب الحزن

85 [a] قال الله تعالى : ﴿ تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً . ﴾ الحزن توجع لفائت أو تأسف على ممتنع . [b] قلت : وحقيقة الحزن قبض يطرق القلب يمنعه من الانبساط ، وقد يكون معه ألم وقد يكون غماً وكمداً يمنع من الشعور بالألم . [c] ويكون سببه نظر فى أمر ماض فائت ، أو استشعار فوات محجوب حاصل أو ممكن الحصول ، أو نزول مكروه مؤلم فى المستقبل .

86 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات ، الأولى حزن العامة ؛ وهو حزن على التفريط فى الخدمة ، وعلى التورط فى الجفاء ، وعلى ضياع الأيام . [b] قلت : وهذا صحيح ، فان السابق إلى قلوب المقصرين حزنهم على التقصير ؛ والتقصير يكون إما لشغل بالدنيا وهو التورط فى الجفاء أو لكسل عن أعمال الأخرى وهو التفريط فى الخدمة ، أو لفكرة فيما مضى وهو سبب الندم على ما ضاع من الأيام فى البطالة .

87 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية حزن أهل الإرادة ؛ وهو حزن

85 : a. C ix 93/92.
87 : a. الوقت : marg. القلب ; بالتفرقة : marg. بالتفرق.

على تعلق الوقت بالتفرقة ، وعلى اشتغال النفس عن الشهود ، وعلى * التسلى عن الحزن . [b] قلت : وهذا الحزن أرفع مما قبله بالنظر لمتعلقه . [c] فان الأول حزن على التفريط فى الأعمال ، وهذا حزن متعلق ببعض الأحوال بعد حفظ الأعمال ؛ فحزنه على وقته كيف كان ظرفاً لتفرقة حاله واشتغال نفسه بغير شهوده لمحبوبه . [d] ويحزن أيضاً على نقص حزنه المذكور وسلوه عنه . * fol. 26 a

88 [a] قال الشيخ رحمه الله : وليست الخاصة من مقام الحزن فى شىء . [b] قلت : ومعناه أن الخاصة هممهم لمقام الجمع وكمال المجاهدة والفناء فى التوحيد ، والحزن لا بد فيه من التفرقة بين المحزون له والمحزون عليه أو من أجله (والله أعلم) .

89 [a] قال الشيخ رحمه الله : ولكن الدرجة الثالثة من الحزن التحزن للمعارضات دون الخواطر ومعارضات المقصود والاعتراضات على الأحكام . [b] قلت : وهذه الرتبة أتم مما قبلها من الدرجات ، فان التى قبلها حزن على التفرقة وسعى فى طلب مقام الجمع ، وهاهنا حزن للمعارضات على مقام الجمع والعارضات المشغلة عن القصود وعلى وجود الاعتراضات على الأحكام ⁕ الجارية * بين الأنام ⁕ بل حقه أن يتلقاها بالقبول والاحترام ⁕ ما لم تكن من الآثام . * fol. 26 b

[١٢]. باب الخوف

90 [a] قال الله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم . الآية . ﴾ الخوف هو الانخلاع عن طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر . [b] قلت : وهذا حد صحيح ، فان الخوف والفزع والروع والرهب كل ذلك يدل على انزعاج القلب وعدم أمنه وطمأنينته .

89 : a. التحزن : الحزين (corr. marg.)
90 : a. C xvi 52/50 — c. C xx 70/67; xxxviii 21/22; xl 77/74.

ᶜ قال الله تعالى : ﴿ فأوجس فى نفسه خيفة موسى . ﴾ وقال : ﴿ إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف . ﴾ وقال تعالى : ﴿ فلما ذهب عن إبراهيم الروع . ﴾ ᵈ وهذه المعانى جميعها تضادد الطمأنينة والأمن ، فعبر الشيخ رضى الله عنه عن الخوف بزوال ضده وهو الانخلاع عن الطمأنينة .

91 ᵃ قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى الخوف من العقوبة ، وهو الخوف الذى يصح به الإيمان ، وهو خوف العامة ؛ وهو يتولد من تصديق الوعيد وذكر الجناية ومراقبة العاقبة . ᵇ قلت : وهذا صحيح ، فان من صح إيمانه بوعيد الله تعالى للعاصين وعرف من نفسه ارتكابها للمعصية المتوعد عليها بالعقاب فى الآخرة إلا أن يعفو * الله ، واجتمع فى قلبه ذكر الآخرة وعذابها * fol. 27 a
وذكر المعصية والتوعد عليها ، هاج الخوف من قلبه لا يملكه . ᶜ وقوله وهو الذى يصح به الإيمان يعنى به أن وجوده من العبد دليل على صحة إيمانه بوعيد الله عز وجل .

92 ᵃ قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية خوف المكر فى جريان الأنفاس المستغرقة فى اليقظة المشوبة بالحلاوة . ᵇ قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها ، فان هذا الخوف يكون من المتقى المستقيم الذى لا مخالفة عنده ، وما قبله يكون من العصاة وغيرهم . ᶜ فانه ثمرة الإيمان بالوعد والوعيد ، وهذا تثمره المعرفة بكمال الحق وجلاله وأنه ﴿ يفعل ما يشاء ﴾ . ᵈ ولذلك قال : مع جريان الأنفاس المستغرقة فى اليقظة ، يعنى أنه يخاف المكر وإن كان دائم اليقظة حسن الحالة مع وجود الحلاوة فى أعماله ، ومع هذا كله لا يأمن من المكر فانه ﴿ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ .

92 : c. C III 35/40, XXII 19/18 — d. C VII 97/99.

93 ᵃ قال الشيخ رحمه الله : وليس فى مقام أهل الخصوص وحشة الخوف إلا هيبة الإجلال ، وهى أقصى درجة يشار إليها فى غاية الخوف ؛ وهى هيبة تعارض المكاشف أوقات المناجاة ، * وتصون المشاهد أحيان المسامرة ، وتعصم * fol. 27 b
المعاين بصدمة العزة . ᵇ قلت : وهذا كلام دقيق بالغ فى الأحوال وأنواع المواجيد ، وذلك أن الهيبة الكائنة للعبد عن إجلال الحق وتعظيمه لا تفارقه ما دام العبد فيه بقية من التفرقة إلا إذا اصطُلم بالكلية . ᶜ وقوله : تعارض المكاشف أوقات المناجاة أى تطرقه وتلبسه . ᵈ وتصون المشاهد أوقات المسامرة . والمسامرة أخص من المناجاة ، فانك تناجى القريب عندك والبعيد والحبيب لك والبغيض أى تحادثه منك إليه ، ولا تسامر أى تساهر الليل فى المباسطة والإطلاع على الأسرار إلا كل حبيب قريب ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾ . ᵉ فمن قربه مولاه * وحببه إليه وأدناه * وأطلعه على أسرار حكمته فيما أنشأه وبراه وقدره وأمضاه * وانقطع إليه بقلبه وغربه عن جميع ما يهواه * فالهيبة لمولاه تصونه فى أحيان المسامرة من الوقوع فى الإخلال * بشىء من الآداب مع الله سبحانه أو الإذلال * وترك الاحترام والإكرام . ᶠ وقوله : وتعصم المعاين بصدمة العزة يعنى أن الولى لله تعالى الدائم النظر إليه المستغرق فيه إذا طرقته قوات العزة اصطلمته ، فهيبته له تعصمه وتحفظه وترده * إلى إدراكه لما هو فيه . * fol. 28 a

[١٣] . باب الإشفاق

94 ᵃ قال الله تعالى : ﴿ قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين . ﴾ الإشفاق دوام الحذر مقروناً بالترحم ، وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى إشفاق على

93 : a. وتعصم : وتقصم — d. C XVI 62/60 — e. وغربه : incert. — f. وتعصم : وتقصم; بصدمة : لصدمة; قوات : incert.
94 : a. C LII 26; بمعرفته معاذيرها : لمعرفته بمعاذيرها (corr. marg.).

النفس أن تجمح إلى العناد ، و إشفاق على العمل أن يصير إلى الضياع ، وإشفاق على الخليقة لمعرفته بمعاذيرها . [b] قلت : وهذا صحيح ، فان الإشفاق إما أن يكون على نفسه أو على غيره ، والغير يشمله لفظ الخليقة . [c] وشفقته على نفسه إما لفساد أخلاقها أو لفساد أفعالها . [d] فأما فساد أخلاقها فبأن تجمح إلى عناد خالقها فيما يختاره ويقضيه * وتكره كثيراً من أفعاله وتنفر منه وتقصيه * وتتكبر على عباد الله بنعمه وتخالف ربها فى نهيه عن ذلك وتعصيه . [e] وأما الإشفاق على العمل فبأن تختل شروط صحته ، أو يدخل فى أثنائه ما يفسده ، أو ينقص فضيلته على حسب درجة عامله . [f] وأما الإشفاق على الخليقة للمعرفة بعجزهم وجهلهم وقهرهم فى تصرفاتهم * فبالعفو عنهم والصفح عن زلاتهم * وبمساعدتهم على أغراضهم الصحيحة فى دنياهم وآخرتهم .

* fol. 28 b 95 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية * إشفاق على الوقت أن يشوبه تفرق ، وعلى القلب أن يزاحمه عارض ، وعلى اليقين أن يداخله سبب . [b] قلت : وهذا أرفع مما قبله ، فان الأول إشفاق على نفس أو عمل * خوفاً من الكسل أو دخول خلل * وهذا إشفاق على حال ووقت مجموع مع الله * وقلب معمور لا بغير الله * ويقين أو نفس خالص لله . [c] فأما الوقت المجموع فيشفق عليه * من وصول آفات التفرقة إليه * وفوات كمال الحضور لديه . [d] وأما القلب المعمور بالذكر له والأدب معه * فيشفق عليه من عارض يقطعه * أو مشوش يشغله . [e] وأما اليقين الصافى أو النفس العالى فيشفق عليه من سبب عن الله يحجبه أو يداخله فيضعفه وينقصه .

96 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة إشفاق يصون سعيه من العجب ،

95 : *a.* اليقين : marg. النفس .

ويكف صاحبه عن مخاصمة الخلق ، ويحمل المريد على حفظ الحد . [b] قلت : وهذه الدرجة يظهر أنها أدون مما قبلها وليس الأمر كذلك : فان الأولى إشفاق على وقت مجموع يخاف عليه آفة التفرقة ، وهذا وقت كامل فى درجات الجمع يخشى عليه من زهو النفس بكماله وجماله فيقع فى العجب به . [c] فهو يسعى فى درجات الجمع بكمال إشفاقه ، وينكف عن مخاصمة الخلق بالاعتراض عليهم بسره فضلاً عن لسانه . [d] ويحمل المريد على حفظ الحد فى أدبه مع الله ، ولا يحمله قربه على إهمال ذرة من الآداب الشرعية * وإن تراقى فى الدرجات السنية .

[١٤] . * باب الخشوع

* fol. 29 a

97 [a] قال الله تعالى : ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق .﴾ الخشوع خمود النفس وهمود الطباع لمتعاظم أو مفزع . [b] قلت : وهذا حد بالغ فى الخشوع ، فان الأرض الخاشعة التى لا حركة بها من النبات هى الهامدة . [c] قال تعالى : ﴿وترى الأرض هامدة﴾ ، وفى موضع آخر ﴿خاشعة﴾.

98 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى التذلل للأمر ، والاستسلام للحكم ، والاتضاع لنظر الحق . [b] قلت : ومعنى التذلل للأمر سرعة القبول وشدة الإذعان والانقياد للشرع ، وافق الغرض أو خالف . [c] ومعنى الاستسلام للحكم الرضى بما يجريه الله تعالى من تصاريف القضاء وافق الهوى أو خالف . [d] ومعنى الاتضاع لنظر الحق ذبول النفس وسكون الجوارح وانكسار القلب عند استشعاره نظر الحق سبحانه إليه .

97 : *a.* C LVII 15/16 — *c.* C XXII 5; XLI 39.

99 [a] قال الشيخ : والدرجة الثانية ترقّب آفات النفس والعمل ، ورؤية فضل كل ذى فضل عليك ، وتنسم نسيم الفناء . [b] قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها فى الخشوع ، فان الأولى خشوع انقياد للأمر اللازم الواجب واستسلام للقضاء الواقع ، وهذا سكون وهمود وهدو لترقُّب آفات النفس فى أثناء حركاتها وسكونها ومعرفة آفات الأعمال وقت * دخولها وتمييز الحق من الباطل ومعرفة الحق لمستحقه . * fol. 29 b
[c] وقوله : ترقب آفات النفس يعنى رياءها وعجبها وكبرها وغرتها وسكونها لعملها ونسيانها الحق سبحانه المنعم عليها به . [d] وأما رؤية الفضل لكل ذى فضل عليك فله فوائد عديدة بالنظر إلى الحال والمآل : [e] أما فوائده فى الحال فالإنصاف فى الخصام * ومبادأته بالسلام * واستماع الكلام * وقبول النصح منه من غير اهتمام * ومتى رأيت لنفسك عليه فضلا لم تنل شيئاً مما ذكرنا ؛ [f] وأما فوائده الأخروية فنظرك للمآل * وما الذى يصير إليه أمرك وأمر غيرك فى الاستقبال * ومن الذى يختم له بالحسنى فيهنّى * ومن الذى يختم له بضدها فيعزى . [g] وإذا كان الأمر عنك مغيباً فرؤيتك الفضل لنفسك على غيرك عين الجهل والغرور * والتزين بلباس الزور . [h] وإذا قل قدر نفسك فى عين قلبك عظم قدر ربك فيه وتنسمت نسيم الفناء عن غيره .

100 قال الشيخ وفقه الله : والدرجة الثالثة حفظ الحرمة عند المكاشفة ، وتصفية الوقت من مراءاة الخلق ، وتجريد رؤية الفضل . [a] قلت : وهذه الدرجة أتم ، فان ما قبلها هدوء لترقب آفات النفس والأعمال * وهاهنا لترقب كمال الأدب ومراعاة حرمة الإقبال * وتصفية الوقت عن رؤية الأغيار بكمال التعظيم والإجلال * والتبرى عن الأعمال * ورؤية الفضل لله والكمال . * [b] وأما حفظ الحرمة عند المكاشفة فدوام الاستحياء * والتذلل واللجاء * وإيثار الوقت والحال على ما يخطر * fol. 30 a

بالبال * لكمال الجد فى الإقبال * وعنه يصفو الوقت عن الالتفات إلى الخلق فضلاً عن مراءاتهم ، وعنه يرى الفضل لله لا لغيره وهو تجريد رؤية الفضل .

[١٥]. باب الإخبات

101 [a] قال الله تعالى : ﴿ وبشر المخبتين . ﴾ الإخبات من أوائل مقام الطمأنينة ، وهو ورود المأمن من الرجوع والتردد والشرود . [b] قلت : يعنى وجود السالك راحة المعرفة بالله والاستحياء منه ، ومن وصل إلى هذه الحالة بعُد فى حقه الرجوع إلى الشهوات العاجلة والشرود عن الطاعات الفاخرة لما استعاض عن ذلك من اللذات وتمكن فيه من القرب والمناجات .

102 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى أن تستغرق العصمة الشهوة * وتستدرك الإرادة الغفلة * ويستهوى الطلب السلوة . [b] قلت : وهذا بالغ فانه داخل إذا كان معنى الإخبات الطمأنينة والأمن ؛ فمن قوى فى هذا الأمر استغرقت عصمته فى الآداب ما يطرق قلبه من أنواع المشاهدة للأغيار لقوته ، وتستدرك إرادته بقوة عزمه سائر أنواع الغفلة أى تذهبها وتهلكها ، * وتستهوى أى تتلف وتسقط قوة طلبه كل سلوة . * fol. 30 b

103 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية ألا ينقض إرادته سببٌ ، ولا يوحش قلبه عارض ، ولا تقطع الطريق عليه فتنة . [b] قلت : وهذه الدرجة فى الطمأنينة والثبوت أرفع مما قبلها ، فان الأولى من الإرادتين قويت حتى أذهبت الغفلة ، وهذه (أبلغ) فى القوة بحيث لا يغيرها سبب من الأسباب ولا يستوحش قلبه لعارض من العوارض الطارئة المشوشة للقلوب ولا تقطع عليه طريق سلوكه وجدّه فيه فتنة من الفتن المشغلات من المحبوبات .

101 : *a*. C xxii 35/34.

104 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة أن يستوى عنده المدح والذم ، وتدوم لائمته لنفسه ، ويعمى عن نقصان الخلق عن درجته . [b] قلت : وهذا أبلغ فى السكون مع الله سبحانه والطمأنينة إليه ، فان من عرف الله سبحانه وأنه لا ضار ولا نافع سواه علماً يقيناً حتى صار له حالاً ، استوى عنده مدح الخلق وذمهم ولا يرى حسناً إلا من ربه تعالى ويقوى جده فى طلب رضاه . [c] ونفسه مائلة بطبعها إلى الراحات نافرة عن المشقات فتدوم لائمته لها ؛ وإذا اشتغل بالثناء على ربه وذم نفسه ، عمى عن عيب غيره . قال الشيخ رحمه الله :

[١٦] . باب الزهد

105 [a] قال الله تعالى : ﴿ بقية الله خير لكم . ﴾ الزهد إسقاط الرغبة عن الشيء * بالكلية . [b] قلت : وما ذكره من الاستدلال بالآية على بُعدٍ ، وجهه هو أن الله سبحانه إنما زهد العباد فى الفضول لا فى المحتاج إليه شرعاً ، فما أبقاه الله للعبد وجعله حقه من بيت يسكنه وثوب يستره وجلف الخبز والماء خير له من الدنيا وما فيها . [c] ووجه ثان أنه لا يبقى لقلب العبد تعلق بغير الله ، فاذا بقى الله وحده فى القلب كان فيه الخير كله . [d] وأما ما قاله فى حده صحيح ، وهو ضد الرغبة فى الدنيا ، قاله الجوهرى فى الصحاح وقاله أهل التفسير فى قوله تعالى : ﴿ وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ أى مقلين من الرغبة فى يوسف عليه السلام لكونهم لا يعرفون قدره عند الله . [e] فمن عرف قدر العظيم رغب فيه ، ومن عرف حقرية الحقير زهد فيه . [f] فكذلك لا يزهد فى الدنيا ويرغب فى الآخرة إلا من عرفهما على الحقيقة وبمقدار نقصه ينقص . [g] هذا زهد أكثر الزهاد ، وأما زهد العارفين فان معرفتهم بالله وعظمته وعظمة ما عظمه وإفضاله عليهم زهدتهم فيما سواه .

* fol. 31 a

105 : a. C xi 87/86, marg. add. إن كنتم مؤمنين — d. C xii 20.

106 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو للعامة قربة ، وللمريد ضرورة ، وللخاصة خسة . [b] قلت : وهذا صحيح ، فان عامة أهل هذه الطريقة والمبتدئين فيها لا يتركون شهواتهم التى ليست بمحرمة إلا متقربين بذلك إلى الله عز وجل طالبين الجزاء منه عليه . [c] وأما المريد المجدّ فى سلوك الطريق * المتخلق بالصفات الحميدة والبُعد عن الصفات الذميمة ، فالزهد فى حقه ضرورة لا بد له منه فى سلوكه ، فانه إعراض عن الدنيا التى هى رأس كل خطيئة ومشغلة له عن سلوكه . [d] وأما العارف بالله تعالى المشتغل برؤية جماله وجلاله ٭ ودوام مناجاته وإقباله عليه فى سائر أحواله ٭ فالتفات قلبه إلى الدنيا والزهد فيها خسة فى حاله ٭ ونزول عن مقامه الشريف وحسن مناله ٭ من البر اللطيف .

* fol. 31 b

107 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى الزهد فى الشبهة بعد ترك الحرام ، بالحذر من المعتبة والأنفة من النقيصة وكراهية مشاركة الفساق . [b] قلت : وهذا صحيح ، فان الزهد يصح فى الحرام والمكروه والحلال ، وهو فى الحرام واجب وفى المكروه مهم وفى الحلال فاضل . [c] وقوله الزهد فى الشبهة يعنى المشكلة (فى) الحكم التى لم يتضح كونها حراماً ولا حلالاً ؛ فيزهد فيها حذراً من عتاب مولاه له فى أخراه على ارتكاب نهيه عن تعاطى الشبهات ، وأنفةً أى حمية لدينه من وقوعه فى نقيصة أو نزول درجة . [d] وأما كراهية مشاركة الفساق فتحتمل وجهين : أحدهما حذره من الشبهة أن تجره إلى حرام فيشاركهم فى الحرام تحقيقاً وهو الفسق ، والثانى أن الفسق فى اللغة هو الخروج فمن خرج * عن الحق سمى فاسقاً . [e] وارتكاب الشبهة مخالفة لله تعالى فى نهيه فقد شارك المخالفين لله فى ارتكاب نهيه وإن كان نهى تنزيه .

* fol. 32 a

106 : b. لا : إنما — c. ومشغلة له : om. له (corr. marg.).
107 : a. النقيصة : marg. أصل المنقصة.

108 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية الزهد فى الفضول وما زاد على المسكة والبلاغ من القوت ، باغتنام التفرغ إلى عمارة الوقت وحسم الجأش والتحلى بحلية الأنبياء والصديقين . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها زهد فى مشكل وهذا زهد فى فضول حلال ، طمعاً فى التخلى من المشغلات ◦ والتحلى بأفضل القربات . [c] فأما الزهد فى الفضول من الدنيا فيطرد فى سائر أقسامها من الطعام والشراب والمنام والكلام وغير ذلك من الأقسام ، والفضول منه ما لم تدع العبد إليه ضرورة ولا حاجة دينية . [d] وقوله باغتنام التفرغ لعمارة الأوقات يعنى أن تركه للفضول يكون بهذه النية ، فيصير تركه للدنيا الحلال بهذه النية قربة لله تعالى وطاعة . [e] وليحسم طمعه أى ينقطع تعلق نفسه بالدنيا ، يقال « جاشت نفسه للشىء » إذا تشوقت إليه وتعلقت به . [f] وقوله والتحلى بحلية الأنبياء والصديقين يعنى به الإعراض عن فضول الدنيا وأخذ الكفاف منها ؛ هذه حليتهم وأخلاقهم رضى الله عنهم أجمعين آمين .

109 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة * الزهد فى الزهد بثلاثة أشياء : * fol. 32 b
باستحقار ما زهدت فيه ، واستواء الحالات عندك ، والذهاب عن شهود الاكتساب ناظراً إلى وادى الحقائق . [b] قلت : وقوله الزهد فى الزهد فيه نظر ، فان الزهد مقام شريف فكيف يزهد فيه ؟ [c] ومعناه إعراض القلب واستصغاره لحال الزهد لكمال اشتغاله بربه ، واستواء وجود الدنيا وعدمها عنده ، ذهاباً عن شهود ذلك وغيره من الأسباب الجارية عليه لما غلب على قلبه من نظر الحق سبحانه إليه وانفراده بالفعل تعالى وهو وادى الجمع . قال الشيخ رحمه الله :

[١٧] . باب الورع

110 [a] قال الله تعالى : ﴿وثيابك فطهر.﴾ الورع توق مستقص على حذر أو تحرج على تعظيم ، وهو آخر مقام الزهد للعامة وأول مقام الزهد للخاصة . [b] قلت : الذى يقتضيه الترتيب للمقامات أن يكون الورع قبل الزهد والزهد بعده ؛ ورتب الشيخ الأمر على خلاف ذلك ، ثم قال أنه آخر مقامات الزهد للعامة فجعل الورع آخر مقامات الزهد . [c] ويحتمل ما قاله الشيخ وجهاً وهو أن العامى لا يمكنه التحلى بشىء من الترك للمنهيات من الشبهات والمكروهات إلا بعد تقديم الزهد
فى الحرام عليه ، فاذا زهد فيه أمكنه أن يترك * ذلك ورعاً . [d] فيكون غاية مقام * fol. 33 a
العامى من الزهد الزهد فى الشبهات ، وهذا هو أول ما يزهد المريد فيه حتى يزهد فى نفسه . [e] ثم ينتقل العبد إلى الزهد فى غير الله سبحانه فيكون الورع على هذا التقدير أول مقامات الزهد للخاصة ، وتحصيله أن الورع فى المشكل والمتشابه آخر مقامات العامة فى الورع وهو أول مقامات الخاصة .

111 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى تجنب القبائح لصون النفس ، وتوفير الحسنات ، وصيانة الإيمان . [b] قلت : وهو صحيح ، فان أول الورع الورع الواجب ، والقبائح ارتكاب المحرمات ◦ والإخلال بالواجبات ◦ يصون المتجنب لها نفسه عن العذاب دنيا وأخرى . [c] ويوفر حسناته لكيلا تذهب فى المقاصة فى يوم الجزاء ◦ ويحفظ إيمانه من النقص بدوام مخالفة المولى ◦ ويصير فى صورة المنكر لما جاءت به الأنبياء ◦ وإن كان مصدقاً بالنبوة ويوم الحشر لفصل القضاء ◦ فان الإيمان يزيد وينقص بالطاعات والمعاصى ◦ كما صح من مذهب أهل الدين والنهى .

110 : a. C LXXIV 4; للخاصة : marg. للمريد.

112 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية حفظ الحدود عند ما لا بأس به ، إبقاءً على الصيانة والتقوى ، وصعوداً عن الدناءة ، وتخلصاً عن اقتحام الحدود . [b] قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها ، فانها ورع عن متشابه أو حلال * خشيةً من الوقوع بالتمادى فى الغفلة به فى شىء من الاختلال ❊ والأولى ورع عن محرم بلا إشكال . [c] فيقف عند ما لا بأس به ❊ حفظاً لصيانة حاله مع ربه ❊ واتقاءً لشىء من مشوشات قلبه ❊ وارتقاءً عن دناءة الأخلاق ، وخلاصاً من مواقعة الحدود ومزاحمة الرسوم ؛ فان من طاف حول الحمى أوشك أن يقع فيه . * fol. 33 b

113 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة التورع عن كل داعية تدعو إلى شتات الوقت والتعلق بالتفرق وعارض يعارض حال الجمع . [b] قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها ، فانه تورع عن الفضول من الأفعال ❊ صيانةً عن الوقوع فى شىء من الاختلال ❊ وهذه ورع عن الخواطر الداعية إلى شتات الأوقات وتفريق البال ❊ والبُعد عن كل عارض يعارض مقام الجمع ، وهو إفراد الحق بالقلب والطلب ❊ والإعراض عن كل عمل أو سبب .

[١٨]. باب التبتل

114 [a] قال الله تعالى : ﴿ وتبتل إليه تبتيلا . ﴾ التبتل الانقطاع إليه بالكلية وقوله عز وجل ﴿ إليه ﴾ دعوة إلى التجريد المحض . [b] قلت : البتل القطع ، والتبتل تفعّل منه ؛ فأمر سبحانه الخلق بتكلف أسباب الانقطاع إليه بالقلب حتى يخلص العمل له لا لغيره ، وهو التجريد المحض .

115 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى

114 : a. C lxxiii 8 — b. البتل : التبتل ; الخلق : om. (add. marg.).
115 : d. C ii 256/255, iii 1/2.

تجريد الانقطاع عن * الحظوظ واللحوظ إلى العالم خوفاً أو رجاءً أو مبالاة ، بحسم الرجاء بالرضاء وقطع الخوف بالتسليم ورفض المبالاة بشهود الحقيقة . [b] قلت : وهذا كلام بالغ ، فان أول الانقطاع الانقطاع عن الخلق بالقلب ، وعبر الشيخ عنهم بالعالم فانه عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى ، فينقطع عن حظوظه فيه وعن رؤيته له ❊ وهذه اللحوظ لحوظ استحسان له . [c] فلا يخاف شيئاً منه سوى ما خوّفه منه مولاه ❊ ولا يرجو سوى ما رجّاه ❊ ولا يبالى بما فاته منه إذا صح له وجود مولاه . [d] فيحسم رجاءه لخلاف ما وقع له برضاه بالمقسوم ❊ ولا يمنعه هذا عن الرجاء لما وعده به ﴿ الحى القيوم ﴾ . [e] ويقطع خوفه من آفات العالم بالتسليم ، ويرفض عن قلبه المبالاة بما فات من نعيمه لما حصل له من شهود الحقيقة . * fol. 34 a

116 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية تجريد الانقطاع عن التعريج على النفس ، بمجانبة الهوى وتنسم روح الأنس وشيم برق الكشف . [b] قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها ، فان ذلك انقطاع عن الخلق وإعراض عن خوفهم ورجائهم ، وهذا انقطاع عن النفس بمجانبة هواها وتنسم رائحة الأنس بالمولى ومطالعة برق الكشف أى مبادئه وأوائله .

117 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة تجريد الانقطاع إلى السبق بتصحيح الاستقامة والاستغراق * فى قصد الوصول والنظر إلى أوائل الجمع . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فانه انقطاع عن النفس إلى الله بمجانبة الهوى ، وهذا انقطاع إلى الحق مع كمال الاستقامة فى الأدب معه والنظر لما يجريه الله سبحانه عليه بعين السبق والتقدير ❊ وطلب الاستغراق والتكلف له بالجد والتشمير ❊ قصداً للوصول إلى الغيبة عن غير الله فى الله ﴿ العلى الكبير ﴾ . * fol. 34 b

117 : b. معه : om. (add. marg.) : C xxii 61/62, xxxi 29/30, xxxiv 22/23, xl 12.

[١٩]. باب الرجاء

118 [a] قال الله تعالى : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ الرجاء أضعف منازل المريد ، لأنه معارضة من وجه واعتراض من وجه . [b] وهو وقوع فى الرعونة فى مذهب هذه الطائفة ، إلا ما فيه من فائدة واحدة ولها نطق باسمه التنزيل والسنة ودخل فى مسالك المحققين ، وتلك الفائدة أنه يفتر حرارة الخوف حتى لا يعدو إلى الإياس . [c] قلت : وهذا كلام بالغ ، وذلك أن الرجاء إنما يكون على الأعمال ورؤيتها ، والخواص لا التفات لهم إلى أعمالهم لغلبة رؤية فضل الحق عليهم . [d] وأما كونه معارضة من وجه فان الراجى يخصص بإرادته ما يرجوه ويريده وما يدريه أن يكون مراد الحق به غير ذلك فأشبه المعارضة فى المراد ، وإذا كان فى حال اختاره له مولاه وتمنى سواه كان اعتراضاً من وجه . [e] وأما كونه وقوعاً فى الرعونة فمن حيث استحسان حاله * التى رجا عليها الثواب ، ومتى رضى العبد حاله فتر عن الجد والطلب وهى الرعونة . * fol. 35 a

119 [a] قال الشيخ رحمه الله : وإنما طلبه الحق فى كتابه وأثنى على المتصف به رسوله عليه السلام لكونه يكسر الخوف الشديد ويسكنه ، ويعصم الله به من الوقوع فى القنوط من رحمة الله والإياس من روح الله لهذه الفائدة خاصة .

118 : *a*. C xxxiii 21.

119 : *a*. Cette phrase ne fait pas partie du texte des *Manāzil*. Plutôt que d'une glose intégrée au ms. sur lequel travailla le commentateur, il s'agit d'une paraphrase de § 118 *b* faite par ce dernier. Le قال الشيخ n'est pas ici à prendre au sens strict; il n'a pour rôle que d'opposer la pensée du Cheikh, exprimée plus haut en ses propres termes et exposée ici brièvement, à une réflexion personnelle de l'auteur qui constitue son commentaire proprement dit (cf. § 370 *a*, 398 *a*).

[b] قلت : وهذا فيه نظر ، فان فوائد الرجاء عدة ، منها الحمل على الأعمال ٭ ومنها تعلق الهمم بما يشرف من الأحوال ٭ فكيف لا والكمال ٭ استواؤه مع الخوف فى القلب لصفاء العلم ولاتساع المعرفة بصفات ﴿ ذى الجلال ﴾ .

120 [a] قال الشيخ رحمه الله : والرجاء على ثلاث درجات : الدرجة الأولى رجاء يبعث العامل على الاجتهاد ، ويولد التلذذ بالخدمة ، ويوقظ لسماحة الطباع بترك المناهى . [b] قلت : وهذا صحيح ، فان الرجاء متى قوى فى القلب حمل على الاجتهاد فى التسبب للوصول إلى المرجو المراد . [c] وإذا اجتهد وتكررت منه الأعمال ، خفت عنه الكلف ورزق اللذة فيها . [d] وإذا التذ العبد بالطاعات ٭ هان عليه ترك المشغلات ٭ من الشهوات المباحات ٭ فضلا عن المحرمات .

121 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية رجاء أرباب الرياضات أن يبلغوا موقفاً تصفو فيه هممهم ، برفض الملذوذات ، ولزوم شروط العلم ، واستقصاء * حدود الحمية . [b] قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها من جهة متعلق الرجاء ، فانه هناك متعلق بزيادة الأعمال بالاجتهاد ليشغله ذلك عن الشهوات ٭ المحرمات والمباحات ٭ ولتلذ له الطاعات ٭ ورجاؤه هنا متعلق بالترقى فى الدرجات ٭ وحصول صفاء الأحوال والمقامات ٭ فلا ملذوذ من المشتهى يصرفهم أو يوقفهم . [c] وهم قائمون لمولاهم بشروط العلم فيما أمرهم به أو نهاهم ، بالغون فى ذلك غاية إمكانهم من ترك الشبهات ٭ والتحصن من الآفات بالقربات ٭ وهو المعبر عنه باستقصاء حدود الحمية .

* fol. 53 *b*

122 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة رجاء أرباب طيب القلوب ، وهو رجاء لقاء الحق عز وجل ، الباعث على الاشتياق المنغص للعيش المزهد فى

122 : *b*. C xiii 10/9.

الخلق . [b] قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها من جهة أن الرجاء فيما قبلها متعلق بتصفية الأحوال ، والتحصن من الاختلال ، وهذا رجاء متعلق بدوام الإقبال ، والنظر إلى ﴿ الكبير المتعال ﴾ . [c] فينغص للمتصف به الحياة ، ويحبب إليه هجوم الممات ، ويقوى منه القلق للاشتياق ، الهائم بقلبه فى حصول التلاق .

[٢٠] . باب الرغبة

123 [a] قال الله عز وجل : ﴿ ويدعوننا رغباً ورهباً ﴾ . الرغبة أحق بالحقيقة من الرجاء ، وهى فوق الرجاء لأن الرجاء طمع يحتاج إلى تحقيق والرغبة * سلوك على تحقيق . [b] قلت : وإنما كانت أحق بالحقيقة منه من جهة أن الرغبة فى الشىء إنما تكون بعد امتلاء القلب به وبكمال صفاته وغلبة ظن بحصوله وقوة العزم بكونه ووقوعه بخلاف الرجاء للشىء ، فانه يجوز أن يكون مع تيسر أسبابه خاصة . [c] والحقيقة عند القوم غلبة الأحوال والجد فى الطلب ، كما قال حارثة : وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً ، وإلى أهل الجنة فى الجنة يتنعمون ، وإلى أهل النار فى النار يتعاوون ه . [d] فسأله عليه السلام عن حقيقة الإيمان ، فأجابه بغلبة الأحوال ، فرضى منه بذلك عليه السلام . [e] ولذلك قال الشيخ : لأن الرجاء طمع يحتاج إلى تحقيق والرغبة سلوك على تحقيق .

* fol. 36 a

124 [a] قال الشيخ رحمه الله : والرغبة على ثلاث درجات : الدرجة الأولى رغبة أهل الخير تتولد من العلم ، فتبعث على الاجتهاد المنوط بالشهود ، وتصون السالك عن وهن الفترة ، وتمنع صاحبها من الرجوع إلى غثاثة الرخص . [b] قلت : وهذا بالغ ، فان من كملت رغبته فى تحصيل الخيرات بعد معرفتها ومشاهدة كمالها ،

123 : a. C xxi 90.

حمله ذلك على الاجتهاد فى تحصيلها . [c] وصانه ذلك عن الكسل والفتور عنها والرجوع إلى الرخص البعيدة من أحوال أهل الجد فيها . [d] ولذلك قال الشيخ غثاثة الرخص يعنى ضعيفها ونازلها ، كما يقال للذى لم يتحفظ فى كلامه « أتى بالغث والسمين فى حديثه » .

125 [a]* قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية رغبة أرباب الحال ، وهى رغبة لا تبقى من المجهود إلا مبذولاً ، ولا تدع للهمة ذبولاً ، ولا تترك غير المقصود مأمولاً . [b] قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها ، فان الأولى رغبة حملت على الاجتهاد وصانت عن الفتور عن الأعمال ، وهذه رغبة بذلت كل المجهود وحفظت الهمة عن الذبول وهو الانكسار فضلاً عن الاختلال . [c] فيبذل صاحب هذه الدرجة من نفسه كل مجهود ، وتعلو همته فلا يقصر عن تحصيل المقصود ، ويفرده بالقصد حتى لا يبقى لغيره عنده فى الإدراك وجود .

* fol. 36 b

126 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة رغبة أهل الشهود ، وهى تشرف تصحبه تقية ، وتحمله همة نقية ، ولا تبقى معه من التفرق بقية . [b] قلت : وهذه الحالة أوضح فى الرفعة مما قبلها من حيث تعلقها بمشاهدة الحق سبحانه ودوام النظر إليه . [c] قوله تشرف أى تطلع وملاحظة بالقلب إلى عظمة الرب تعالى مع دوام الهيبة له ، وهو قوله تصحبه تقية أى حذر وهيبة . [d] ثم تحمله على التشرف همة نقية أى خالصة من طلب غيره ، لا يبقى معها لغيره ذكر ولا خطور ولا التفات لحظ نفس بشىء كامل ولا بقية ، وهو المراد بنفى التفرقة عن القلب ، وتكون الهمة مجموعة مع الحق سبحانه .

[III - قسم المعاملات]

127 *[a] وأما قسم المعاملات فهو عشرة أبواب ، وهى : الرعاية ، والمراقبة ، والحرمة ، والإخلاص ، والتهذيب ، والاستقامة ، والتوكل ، والتفويض ، والثقة ، والتسليم . [b] قلت : وهذه العشرة الأقسام إنما جعلها من قسم المعاملات وما قبلها من قسم الأبواب من حيث أن العبد قد خرج من سلك الغافلين ودخل فى جملة المشتغلين ، المتخلقين بجميل أخلاق المقربين ؛ فهم بهذه السجية معاملون لمولاهم * عاملون فى الخلاص من أسر أنفسهم وهواهم . [c] فمنهم من تكون معاملته الغالبة على حاله رعاية الحركات والسكنات * والتفريق بين الواجب والمندوب والمحظور والمكروه وغيره من المباحات * فيسلم من الآفات * ويسعد بتحصيل ﴿ الباقيات الصالحات ﴾ . [d] ومنهم من تكون معاملته مراقبة مولاه فى الأنفاس واللحظات * واستشعار نظره إليه فى عموم الأوقات . [e] ومنهم من يعامله بعد المراقبة له بتحصيل مقام الإجلال له والإعظام * وملازمة الأدب معه والاحترام . [f] ومنهم من يعامله بتحصيل مقام الإخلاص * بالجد فى الخروج عن الالتفات إلى الخلق وحظوظ نفسه ، طمعاً فى الخلاص وخوف الانتقاص . [g] ومنهم من *تكون معاملته تهذيب أخلاقه * والسعى فى الخلاص من عوائده * ليتخلص من المشغلات * وينجو من الآفات . [h] ومنهم من تكون معاملته حفظ استقامته * والتمسك بجميل حالته * خوفاً من غلبة نفسه وعدوه فيرجع إلى عادته * من قبل توبته وإنابته * على حسب مقامه من ربه ودرجته . [i] ومنهم من تكون معاملته بعد إصلاح ظاهره تحسين

*fol. 37 a

*fol. 37 b

127 : c. C xviii 44/46, xix 79/76.

باطنه ، بحسن الاعتماد على مولاه * فيما يحتاج إليه من أمر دنياه وأخراه ، ويسعى فى قطع التفات قلبه إلى الأسباب ، وإن كان فى وقت يلابسها فلأمر مولاه * لا لخوف تأخر مضمون لو لم يأته العبد لأتاه . [j] ومنهم من تكون معاملته فى تحصيل مقام تفويض الأمور إليه * والخروج عن اختياراته إلا ما أمره به أو دعاه إليه . [k] ومنهم من يحصل لنفسه فراغ القلب من هم التقدير * واختياراته والتدبير * ويتراقى عن اختيار التفويض ويبقى بحسن اختيار مولاه * ويسلم الأمر إليه تسليم العاجز عن النظر لنفسه لعلمه بجهله وعلم مولاه * ولنقصه وكمال من خصه بذلك وتولاه . [l] وبين مقام التفويض والثقة والتسليم تقارب فى المعنى يظهر فى موضعه إن شاء الله .

[٢١] . باب الرعاية

128 [a] قال الله تعالى : ﴿ فما رعوها حق رعايتها . ﴾ الرعاية صون بالعناية . *[b] قلت : وهذا حد بالغ فى مقصوده ، فانه متى كانت الصيانة للشىء خالية عن العناية لم تحصل صيانة كاملة ، وما تلف حاصل دنيوى أو أخروى غالباً إلا من قلة العناية فى الصيانة . [c] ويجوز التلف مع كمال العناية إذا جرت به الأقدار ، ولذلك قلنا غالباً أى كثيراً .

*fol. 38 a

129 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى رعاية الأعمال * والدرجة الثانية رعاية الأحوال * والدرجة الثالثة رعاية الأوقات . [b] فأما رعاية الأعمال ، فتوفيرها بتحقيرها * والقيام بها من غير نظر إليها * وإجراؤها مجرى العلم لا على التزين بها . [c] وأما رعاية الأحوال ، فهى أن يعد الاجتهاد

128 : a. C lvii 27.

مراءاة * والنفـس تشبعاً * والحال دعوى . [d] وأما رعاية الأوقات ، فأن يقف مع خطوه * ثم أن يغيب عن خطوه بالصفاء من رسمه * ثم أن يذهب عن شهود صفوه .

130 [a] قلت : فأما رعاية الأعمال فقوله فتوفيرها بتحقيرها ، أى تكون كاملة محفوظة من النقائص شرعاً ، وتكون فى عين فاعلها حقيرة قليلة بالإضافة لما يليق بجلال الله عز وجل . [b] وكذلك يقوم لله بها * مع غيبته عنها غيبةً عن استحسانها
والسكون إليها * لا غفلةً عن المعرفة بصحتها وكمالها . [c] ولذلك قال : وإجراؤها * مجرى العلم لا على التزين بها . *fol. 38 b

131 [a] قلت : وقوله وأما رعاية الأحوال ، فهو أن يعد الاجتهاد مراءاة * والنفس تشبعاً * والحال دعوى ، فمعناه أن المجتهد ، إذا رأى نفسه واجتهاده فهو التفات لغير الله ، فمراعاة حاله أن يعد التفاته لاجتهاده مراءاة من حيث خطور غير ربه بقلبه . [b] وكذلك يعد نفسه تشبعاً بما لا يملك ، بل كماله كتم أحواله فلا يظهر منه نفـس ولا إشارة . [c] وكذلك يعد حاله ، وإن كان كاملاً ، دعوى فيما لا يملك ، فان حقه أن ينسبه إلى الحق خالقه ومجريه .

132 [a] قلت : وقوله وأما رعاية الأوقات فأن يقف مع خطوه * ثم أن يغيب عن خطوه بالصفاء من رسمه * ثم أن يذهب عن شهود صفوه ، فمعناه ألا يجاوز نظره موضع قدمه ، ولا يرتقى من مقام حتى يحكمه . [b] ولهذا قيل « الصوفى ابن وقته » ، لا التفات له إلى ماض ولا مستقبل . [c] ثم يرتقى بصفاء حاله وبُـعده عن نفسه ورسمه ، حتى يغيب عن ذكر مقامه وهو خطوه . [d] ثم يرتقى حتى يذهب عن ذكر صفائه * شغلاً بربه تعالى عن تذكر حاله وكماله .

[٢٢] . باب المراقبة

133 [a] قال الله تعالى : ﴿ فارتقب إنهم مرتقبون . ﴾ المراقبة دوام ملاحظة المقصود . [b] قلت : قوله دوام ملاحظة المقصود * فيه تنبيه على أن المراقبة فيها *fol. 39 a
زيادة معنىً على العلم ، فانه من علم شيئاً ثم أعرض عنه أو نسيه ، صح أن يسمى عالماً به وإن لم يدم علمه به . [c] ولا تكررت عليه العلوم به بخلاف المراقبة ، فانها تشعر بدوام النظر إلى المقصود المراقب به ، وهذا يقتضى تكرار النظر . [d] وقد قال الجوهرى فى كتابه الملقب بالصحاح : الرقيب هو الموكل بالضريب وهو الذى يضرب بالقدح هـ ، فيكون الرقيب مشرفاً عليه دائم النظر إلى فعله .

134 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى مراقبة الحق فى السير إليه على الدوام ، بين تعظيم مُـذهل ومداناة حاملة وسرور باعث . [b] قلت : وهذه المراقبة مراقبة السالك المجدّ الكامل العارف بربه ؛ فانه بدوام جده سائرٌ * وتعظيم مولاه فى قلبه متمكنٌ ولعقله عن ذكر غيره غالب قاهرٌ * ولوائح القرب وأنس الوجد له حاملٌ * وتنعمه بما وجده من السرور بمولاه باعثٌ له على الخير وعن كل مشغل زاجرٌ .

135 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية مراقبة نظر الحق إليك ، برفض المعارضة ، وبالإعراض عن الاعتراض ، ونقض رعونة التعرض . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها من جهة أنها مراقبة نظر الحق إليك ، فتشمر لك الإجلال

133 : *a*. قال الله تعالى : marg. add. وقال (لا يرقبون فى مؤمن إلاً ولا ذمة) C ix 10; xliv 59.

135 : *d*. On notera que l'auteur commente la version عن الأعواض bien que le texte ait été transcrit avec la version عن الاعتراض.

له * والحياء منه ، والأولى مراقبة سلوك بالأعمال إليه بالجد والارتقاء ، وشتان بين جاهد فى الطلب وواجد للأرب . [c] وقوله برفض المعارضة يعنى ما يعترض للقلب من الخواطر المشغلة . [d] وبالإعراض عن الأعواض يعنى طلب الجزاء على أعماله المستحسنات . [e] ونقض رعونة التعرض يعنى التعرض على ما يرد على قلبه من أفعال ربه فيه ، بنقض الاختيارات ‹ لدوام علمه بنظر الحق إليه فى سائر الحالات . * fol. 39 b

136 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة مراقبة الأزل بمطالعة عين السبق استقبالاً لعلم التوحيد ، ومراقبة ظهور إشارات الأزل على أحايين الأبد ، ومراقبة الخلاص من ربطة المراقبة . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان الثانية مراقبة نظر الحق إليك وهو مقام الإحسان ﴿أن تعبد الله كأنك تراه﴾ ، وهذه المراقبة مع الحضور مع الحق بالقلب وترقب ما يظهر مما سبق به علمه وهو علم التوحيد ، أعنى التحسس لما تجريه الأقدار ‹ مما سبق فى العلم القديم بدلالة الآثار ‹ يتصفح ذلك الموفق فى سائر الحوادث فيه وفى غيره من الأخيار والأشرار . [c] ثم ينتقل من هذا المقام إلى الغيبة عن كونه مراقباً ، شغلا بالمراقب ، وهو قوله الخلاص من ربطة المراقبة .

[٢٣] . * باب الحرمة * fol. 40 a

137 [a] قال الله تعالى : ﴿ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه .﴾ الحرمة هى التحرج عن المخالفات والمجاسرات . [b] قلت : الحرمة وجود تعظيم فى القلب يكون عنه ما ذكره من التحرج عن المخالفات ‹ والحجز عن التجاسر على الإخلال ببعض الأدب فى شىء من الأوقات .

137 : *a*. C XXII 31/30 *a*.

138 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى تعظيم الأمر والنهى ، لا خوفاً من العقوبة فيكون خصومة للنفس ، ولا طلباً لمثوبة فيكون متشوقاً للأجرة ، ولا مشاهداً للجد فيكون متزيناً للمراءاة ؛ فان هذه الأوصاف كلها شُعَب من عبادة النفس . [b] قلت : وهذا صحيح ، فان العبد متى كان شديد التعظيم والاحترام للأمر والنهى ، دل ذلك على عظمة الآمر والناهى فى قلبه ، وحصل من العبد الامتثال لعظمته وإن لم تخطر بقلبه عقوبته ولا إثابته . [c] فان العبد العامل خوفاً من العقاب صار امتثاله لأجل العقاب ، فأشبه خصومة بين شخصين فيذعن أحدهما للآخر لأجل غلبته له وقهره ‹ والعبد المملوك لسيده ‹ ينبغى أن يكون ممتثلا لحق أمره وملكه . [d] وكذلك من يعمل رجاء الجزاء والثواب يشبه المستأجرين الأحرار ، وليس هذا نعت العبيد العارفين بقدر العبودية . [e] وكل هذا من رؤية النفس والنظر لحظّها * وحقها ، ومن كمل فى حاله لم يشاهد جد نفسه فيكون متزيناً بالمراءاة ؛ ويعنى بالمراءاة رؤية النفس لا مراءاة الخلق ، ومن هذه الجهة كانت شُعَباً من عبادة النفس ، أى تعظيمها وطلب الجزاء لها على عملها واستحسان ما يبدو منها . * fol. 40 b

139 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية إجراء الخبر على ظاهره ، وهو أن يُبقى أعلام توحيد العامة الخبرية على ظواهرها ، لا يتحمل البحث عنها تعسفاً ‹ ولا يتكلف لها تأويلاً ‹ ولا يتجاوز ظواهرها تمثيلاً ‹ ولا يدعى عليها إدراكاً أو توهماً . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان الأولى تعظيم الأمر والنهى واحترامهما للحمل على الأعمال ، وهذه الدرجة احترام لأدلة الأحكام ، فان الأعلام هى الأدلة ، فيمرها على ما جاءت ، لا يتعرض لها بتأويل ‹ ولا يحملها على تمثيل . [c] وهذا (والله أعلم) فى الأخبار المتعلقة بالاعتقادات التى توهم

التشبيه المتضمنة للنزول والمجىء واليد والأصابع ، وكذلك الآيات المتضمنة للاستواء والوجه واليد وغير ذلك . [d] فمذهب بعض الأئمة إمرارها كما جاءت مع نفى ظواهرها وما توهمه من التشبيه والتمثيل ، ويمُسكون عن التأويل ؛ ومنهم من يحمل اللفظ على محمل شائع بعد القطع بنفى الظاهر الموهم . [e] فالشديد الاحترام يكف عنها ، إذا لم تدع إلى تأويلها ضرورة ولا خشى من السكوت عن التأويل دخول فتنة على العامة .

140 *[a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة صيانة الانبساط أن تشوبه جرأة ، وصيانة السرور أن يداخله أمن ، وصيانة الشهود أن يعارضه سبب . [b] قلت : وهذا فى الاحترام أرفع مما قبله ، فانها حرمة حضور مع الحق . [c] فتصون حرمته انبساطه مع الحق أن تشوبه جرأة فيخرج عن الأدب ، وتصون سروره به أن يزاحمه أمن من مكره وإبعاده ، وتصون شهود قلبه له أن يعارضه سبب يشغله عنه أو يغفله . *fol. 41 a

[٢٤] . باب الإخلاص

141 [a] قال الله تعالى : ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ . الإخلاص تصفية العمل من كل شوب . [b] قلت : قوله تصفية العمل من كل شوب أمر عام شامل للرياء والعجب والكبر والغرة وسائر ما يشوب العمل من حظ النفس ، سواء كان الشوب مبطلا أو غير مبطل ، فان كان مبطلاً للعمل عصى فاعله . [c] وبطل عمله كالرياء إذا دخل العبد العمل عليه ، ومنه ما يعصى بفعله ؛ ولا يبطل العمل كالغرة بالعمل والتكبر به والعجب ، على خلاف فى العجب هل يبطل العمل أم لا ، وجميع ذلك شوب .

141 : a. C xxxix 3.

142 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى إخراج رؤية العمل من العمل ٭ والخلاص من طلب* العوض على العمل ٭ *fol. 41 b والنزول عن الرضاء بالعمل . [b] قلت : وهذه الدرجة فى الإخلاص أعلى مما قبلها من الخلاص من الرياء والعجب ، وإن لم يذكره الشيخ . [c] فان رؤية العمل وسكون النفس إلى ما أجراه الله عليها من الطاعات ، ليس برياء ولا عجب بالعمل ، وإخراج رؤية العمل والسكون إليه أولى . [d] فانه فى درجة الخواص نقص لأنه اعتماد على غير الحق ، بل نظرهم إلى فضل مولاهم عليهم فى سائر الحركات والسكنات ، فهم غافلون عن أنفسهم وإضافة شىء إليها لاشتغالهم بذلك . [e] وبهذا يتخلص العبد من طلب الجزاء على العمل ، إذ هو غريق فى بحر النعم وأعماله من جملة النعم عليه . [f] وقوله والنزول عن الرضى بالعمل أى لا تقنع نفسه به ولا ترضاه فى حق مولاها والتقرب به إليه .

143 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية الخجل من العمل مع بذل المجهود ٭ وتوفير الجهد بالاحتماء من الشهود ٭ ورؤية العمل فى نور التوفيق من عين الجود . [b] قلت : وهذه الدرجة فى الإخلاص والسلامة من الشوائب أرفع مما قبلها ، فان الدرجة الأولى خلاص من رؤية العمل وطلب الجزاء عليه ، وهذه الدرجة استحياء من رؤية العمل بعين الفضل لله مع التقرب به إليه . [c] فكأنه فى تحقيق المثال عبد يهدى لمولاه بعض ما أنعم عليه به وأولاه ، فالخجل والحياء غالب على قلبه وقت تقربه . [d] ولو بالغ فيما يتقرب إليه به ، فيوفر* اجتهاده ويخلصه *fol. 42 a بالاحتماء من رؤيته ، بل يرى اجتهاده فى أعماله بنور التسديد والتوفيق ٭ جارياً عليه من عين الكرم والجود بالتحقيق .

144 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة إخلاص العمل بالخلاص

144 : a. C الرسم : marg. النفس.

من العمل ، تدعه يسير مسير العلم ، وتسير أنت مشاهداً للحكم ، حراً من رق الرسم . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان الأولى خجل من العمل لقلته بالنظر إلى جلال المولى ولعدم صلاحيته للمتقرب إليه به ، وهذه الدرجة تخليص العمل من رؤيته له فضلا عن قلته وكثرته أى شغلا عنه بمجريه عليه تعالى . [c] ويعنى بكونه لا يراه رؤية استحسان وكمال من جهة العبد وحسن فعله ، وإن كان يراه صحيحاً شرعاً واقعاً على شرطه فضلاً من ربه . [d] ولذلك قال : تدعه يسير مسير العلم أى يكون عندك صحيحاً لا غير ؛ وتسير أنت مشاهداً للحكم أى ناظراً لما سبق من حكم الله فيك ، شاكراً لما منّ عليك به ، حراً من رق الرسم أى نظرك لنفسك وأعمالها .

[٢٥] . باب التّهذيب

145 [a] قال الله تعالى : ﴿ فلما أفل قال لا أحب الآفلين . ﴾ [b] قلت : ووجه الإشارة بالآية أن التّهذيب أن ينقلك الحق من حال إلى حال أرفع منه حتى تصل به إليه .

146 [a] قال الشيخ رحمه الله : التّهذيب محنة أرباب البدايات ، وهو شريعة من شرائع الرياضة ؛ * وهو على ثلاث درجات : [b] قلت : قوله محنة أهل البدايات أى هو بلية عليهم ، فى نقل أنفسهم عن عوائدها الذميمة وأخلاقها المعتادة فى زمن الغفلة ، كلفة ومشقة وابتلاء وامتحاناً . [c] والشريعة الطريقة ، أى التّهذيب بعض طرق الرياضة . * fol. 42 b

147 [a] قال الشيخ رحمه الله : الدرجة الأولى تهذيب الخدمة ، ألا تخالجها

145 : *a.* C vi 76 — *b.* بالآية : add. إلى .
147 : *a.* تشوبها : marg. تسوقها .

جهالة ، ولا تشوبها عادة ، ولا تقف عندها همة . [b] قلت : وهذا صحيح ، فان من هذب عبادته وحسّن طاعته ، أوقعها على أكمل وجوهها الشرعية . [c] فلا يخالجها جهل ويكون قيامه بها لله تعالى ولأمره ، فلا تشوبها عادة أى تخالطها ، وتكون همته فوق ما عمله من الطاعات ، متعلقة بأرفع المندوبات ؛ وهو مراده (والله أعلم) بقوله : لا تقف عندها همة .

148 [a] قال الشيخ : والدرجة الثانية تهذيب الحال ؛ وهو أن لا يجمح الحال إلى علم ، ولا يخضع لرسم ، ولا يلتفت إلى حظ . [b] قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها ، فان ما قبلها تهذيب أعمال وهذه تهذيب أحوال ، ولا يصل إلى تهذيب الأحوال إلا من تحقق فى الأعمال . [c] وقوله وهو ألا يجمح الحال أى ذو الحال إلى علم أى يحفظ حاله أن يرجع إلى محض العلم ، فيخرج عن الحال إلى العلم به ، ويزعم أنه فى حال وقد خرج منه إلى غيره فيكذب . [d] وإذا كانت النفس فى الحال تحقيقاً وذوقاً أو وجداً أو وجوداً ، على حسب * الوارد عليها وتمكنها ، لم تخضع أى تذل أو تفتر عن حالها لرسم من الأغيار ولا تلتفت لحظّ نفس . * fol. 43 a

149 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة تهذيب القصد ؛ وهو تصفيته من ذل الإكراه ، وتحفظه من مرض الفتور ، ونصرته على منازعات العلم . [b] قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها ، فان العبد ، إذا هذّب أعماله وأحواله وفرغ من شغله بنفسه ، جرد قصده فى التوجه لربه . [c] فتهذيبه وتحسينه أن يصفيه بكمال المحبة والشوق عن ذل الإكراه والحمل بسياط التّرغيب والترهيب ، ويحفظه بعد تحركه وإقباله عن مرض الفتور إلى أن يصل إلى المطلوب ، وينصره على منازعات العلم الداعية إلى الرفق بالنفس ، فيفوته انتهاز مَن فتح له باب من الخير بخلاف

المجاهد لنفسه المكروب ❊ فان الرفق فى حقه بها مطلوب ❊ خوفاً عليها من النفور عن الطاعة والهروب .

[٢٦] . باب الاستقامة

150 [a] قال الله تعالى : ﴿فاستقيموا إليه .﴾ قوله عز وجل ﴿إليه﴾ إشارة إلى عين التفريد ؛ والاستقامة روح تحيا بها الأحوال ❊ كما تربو للعامة عليها الأعمال ❊ وهى برزخ بين وهاد التفرق وروابى الجمع . [b] قلت : قوله والاستقامة روح تحيا بها الأحوال يعنى أنها حالة نشاط يعيش بها قلب العبد فيستقيم حاله * مع مولاه . [c] وحقيقة الاستقامة الاعتدال على الطريق الحق المطلوب ؛ فتارة يستقيم عمل العبد الموزون بالعلم الواقع على وجهه من فاعله ، وتارة يستقيم حاله الغالب عليه فى وقته الموصل له إلى مطلوبه . [d] وقوله وهو برزخ بين وهاد التفرقة يعنى المواضع الوطية ، وروابى الجمع يعنى أعاليه ؛ فهو لقوة حاله ناظر إلى مقام الجمع ، وبالنظر لأعماله مفرق فى الأغيار.

* fol. 43 b

151 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى الاستقامة على الاجتهاد فى الاقتصاد ، لا عادياً رسم العلم ، ولا متجاوزاً حدّ الإخلاص ، ولا مخالفاً نهج السنة . [b] قلت : وهذا بالغ ، فان المجتهد فى الأعمال ، إذا لم يكن فى عمله إخلاص لله تعالى ، فهو مجتهد فى إهلاك نفسه ؛ وإذا لم يكن اجتهاده مقروناً باقتصاد ، تعرّض باجتهاده للانقطاع ، فان « المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » . [c] ولا يتم له إخلاصه لربه واجتهاده باقتصاده فى عمله ، إلا إذا كان محروساً بسنة نبيه عليه السلام .

150 : a. C xli 5/6 — b. ونشاط : نشاط .
151 : a. متجاوزاً : متجوزاً — b. باقتصاد : add. وإلا .

152 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية استقامة الأحوال ؛ وهى شهود الحقيقة لا كسباً ❊ ورفض الدعوى لا علماً ❊ والبقاء مع نور اليقظة لا تحفظاً . [b] قلت : وهذا بالغ أيضاً وهو أتم من الأول ، فان استقامة حال السالك المشاهد للحقيقة غلبة ذلك عليه ، حتى يغفل عن كسب نفسه ويصير * محلاً لفعل ربه . [c] وإذا بلغ إلى هذا المقام ، رفض دعوى ما هو فيه رفض حال لا رفض علم ؛ فان العبد يعلم أن كل ما هو فيه من فضل ربه ، ومع ذلك تـدّعيه نفسه كسباً لها وإضافةً ، فاستقامته فى حاله رفض الدعوى حالاً . [d] ومتى رفض العبد الدعوى حالاً ، وأضاف حاله لمسديه تحقيقاً ، بقى فى نور هذه اليقظة من غير تكلف ولا تحفظ من الغفلة لكمال يقظته وتبريه من حوله وقوته .

* fol. 44 a

153 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة استقامة بترك رؤية الاستقامة ❊ وبالغيبة عن تطلب الاستقامة ❊ بشهود إقامة الحق وتقويمه عز اسمه . [b] قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها ، فانها استقامة مع الحق وما قبلها استقامة فى طلب الحق وبالحق عملاً أو حالاً . [c] واستقامته فى هذا المقام غيبته عن رؤية استقامته وعن رؤية كونه طالباً للاستقامة ، لغلبة رؤية قلبه أن الله أقامه وقومه . [d] فهو مُقام فى استقامته ❊ بعيد عن رؤية حاله ورتبته ❊ لما غلب على قلبه من رؤية الحق وعظمته ❊ عز اسمه وجل جلاله .

[٢٧] . باب التوكل

154 [a] قال الله تعالى : ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين .﴾ التوكل كلة الأمر كله إلى مالكه والتعويل على وكالته . [b] قلت : ومالك الشىء هو المقتدر عليه العالم بجهات مصالحه ، ومنه * « مالك العجين » إذا قدر عليه وأصلحه .

* fol. 44 b

154 : a. C v 26/23.

155 [a] قال الشيخ : وهو من أصعب منازل العامة عليهم وأوهى السبل عند الخاصة ، لأن الحق قد وكل الأمور كلها إلى نفسه وآيس العالَم من ملك شيء منها . [b] قلت : وهو صحيح ، لأن هذا المعنى إذا تمكن فى قلب العارف ، أعرض عن الأسباب بالكلية واعتمد على الله بقلبه وهو حقيقة التوكل . [c] فمن هذا الوجه كان أوهى سبل الخاصة أى أضعفها وأخفها عليهم كلفةً . [d] وأما عامة هذه الطريقة ، فانهم موقوفون مع عوائدهم وملتفتون إلى الأسباب ، وإيمانهم ويقينهم بانفراد مولاهم بالأفعال يحملهم ، وعوائدهم تجاذبهم ؛ فمن هذه الجهة كان أصعب منازل العامة .

156 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات ، كلها تسير مسير العامة : الدرجة الأولى التوكل مع الطلب ومعاطاة السبب ، على نية شغل النفس ونفع الخلق وترك الدعوى . [b] قلت : وهذا صحيح ، فان اعتماد القلب على الله تعالى إذا كان ضعيفاً مع وجود السبب فى اليد ، كانت النية فيه صالحة ، إما لشغل به عن التشويش أو نفع لمن يعامله من الناس بتيسير أسباب المعاش ، فللنفس سكون إلى الأسباب . [c] وربما يبدو للمكتسب المدعى لكمال التوكل خلاف ما ظنه من نفسه عند تغيّر الأسباب ، فمن هذه الجهة كانت أول درجة .

*fol. 45 a

157 *[a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية التوكل مع إسقاط الطلب وغض العين عن السبب اجتهاداً فى تصحيح التوكل وقمع تشوف النفس وتفرغاً إلى حفظ الواجبات . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان صاحبها أقوى فى الاعتماد ، وأمكن فى مقام التوكل على الحق والإعراض عن العناد ، فلا تعلق لنفسه بطلب لكمال الوثوق بالمضمون ، ولا التفات لقلبه إلى سبب سوى ما أمره به

156 : b. فى اليد : add. وان .
157 : a. تشوف : marg. أصل تشرف — b. العناد : العباد; C II 256/255, III 1/2.

﴿الحى القيوم﴾ . [c] وقصده فى ترك السبب والإعراض عن الطلب ، تصحيح دعوى نفسه السكون إلى الحق جلت قدرته لا غاب الحق عنها ولا حجب ، فيتحقق دعواها عند بعدها من الأسباب ، وينقطع تشوفها إذا تغير عليها الأصحاب والأحباب ، [d] وإذا وصلت إلى هذا المقام ، تفرغت للقيام بالأحكام ، على أحسن وجه وتمام .

158 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة التوكل مع معرفة التوكل النازعة إلى الخلاص من علة التوكل ؛ وهو أن تعلم أن ملكة الحق عز وجل للأشياء ملكة عزة ، لا يشاركه فيها مشارك ، فيكل شركته إليه . [b] فان من ضرورة العبودية أن يعلم العبد أن الحق هو مالك الأشياء وحده . [c] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها إعراض عن الأسباب لتصحيح المقام ، وهذا طلب وبحث فى خروج العبد عن مقام التوكل بالكلية * وبقاء ملك الأشياء كلها لمالكه ومن *fol. 45 b جملتها توكله . [d] فتتخلص منه نفسه بنظرها فى حقيقة التوكل الذى يحمل على الخلاص من علة التوكل ، وهى رؤيته وعلمه أن ملك ربه للأشياء ملك عزة وتعالٍ ، لا ينبغى أن يشاركه غيره فى شيء من ملكه ولا من مخلوقاته ، ومن جملة مخلوقاته توكل العبد . [e] فاذا تحقق ذلك تبرأ من أحواله فضلاً عن أعماله ، ولذلك قال : فان من ضرورة العبد أن يعلم أن الحق سبحانه مالك للأشياء وحده من حيث تحقق أن جملة نفسه مملوكة له ذاتاً وفعلاً وحالاً .

[٢٨] . باب التفويض

159 [a] قال الله تعالى حاكياً عن مؤمن آل فرعون : ﴿وأفوض أمرى إلى الله﴾ . التفويض ألطف إشارةً وأوسع معنىً من التوكل ، فان التوكل بعد وقوع

159 : a. C XL 47/44.

السبب والتفويض قبل وقوعه وبعده ، وهو عين الاستسلام والتوكل شعبة منه .
[b] قلت : قوله فان التوكل بعد وقوع السبب والتفويض قبل وقوعه وبعده معناه أن التوكل يصح مع تعاطى الأسباب ووجودها ، ويعتمد العبد بقلبه على الله سبحانه فى حصول المسبب بخلاف التفويض ، فان حقيقته ترجع إلى تسليم الأمور كلها إليه أسباباً ومسببات . [c] فلذلك كان التوكل شعبة منه أى طرفاً وبعضاً ، والتفويض أعم منه وأخص فى التبرى من الاختيار .

160 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : * الدرجة الأولى أن تعلم أن العبد لا يملك قبل عمله استطاعة ، فلا يأمن من مكر ولا ييأس من معونة ، ولا يعول على نية . [b] قلت : وهذا صحيح ، فان العلم بأن العبد لا يملك لنفسه قدرة عند إرادته للفعل قبل فعله ، وإنما يخلق الله له القدرة مقارنة لفعله وتتكرر ؛ وإذا تكرر عليه ذلك أكسبه حال التفويض لله . [c] فانه لا يأمن من مكر الله بأن لا يخلق له قدرة عليه ، وكذلك لا ييأس من فضل ربه بخلقها لديه فتحصل له المعونة ، ولا يعول العبد على ما تقدم له من النية لما هو فيه من خطر المشيئة . * fol. 46 a

161 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية معاينة الاضطرار ، فلا يرى عملاً منجياً ، ولا ذنباً مهلكاً ، ولا سبباً حاملاً . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان التفويض فى الأولى نشأ عن العلم بأن قدرة العبد تقارن فعله ، وفى هذه نشأ عن المشاهدة لما سبق والحال . [c] وفى بعض كلامه رضى الله عنه فى هذه الدرجة قلق يحتاج إلى زيادة بسط ليفهم ، وهو قوله فلا يرى عملاً منجياً ، ولا ذنباً مهلكاً ، مع أن الطاعات أسباب النجاة شرعاً والذنوب أسباب الهلاك قطعاً ، إلا أن يعفو الله عز وجل عمن يشاء . [d] فنقول : من تمكن حاله فى النظر فى التصرفات الجارية

161 : e. C LIX 23 — g. دونه : ذنبه .

من الحق سبحانه فى نفسه وغيره من المخلوقين تحقق ذلك . [e] فكم عزم على أمر صرفته عنه الأقدار جبراً بغير اختيار ، وكان فى صرفه * عنه أعظم بركة فى الآخرة وفى هذه الدار ، وكم من بلاء ومحنة تخوفها على نفسه وخشى فيها الهلاك والدمار ، تقشعت عنه وتمزقت بقدرة ﴿العزيز الجبار﴾ ، وكم (من) طعام أكله طلباً للتنعم به والانتفاع ، كان سبب الهموم وتوالى الأوجاع ! [f] فاذا تفكر الموفق فى هذه الجهات من التصرفات ، قطع نظره عن الأسباب ، وعلق قلبه باختيار رب الأرباب ، فلا يرى عملاً منجياً من حيث كونه عملاً إلا بفضل مولاه ، ولا يرى ذنباً مهلكاً لاحتمال توبته عنه وجميل تقواه . [g] وهو مع ذلك خائف من ذنبه لتخويف مولاه لا لسواه ، وراج لفضله وعطائه ونعماه ، قد أعرض قلبه من حيث نفسه وعوائده عن الأسباب ، وهو ملابس لها لأمر ربه على وجه الحق والصواب . * fol. 46 b

162 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة شهودك انفراد الحق بملك الحركة والسكون والقبض والبسط ، ومعرفته بتصريف التفرقة والجمع . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها نظر إلى نفسه بعين الاضطرار ، وهذه نظر إلى ربه بعين الانفراد وكمال التصرف بالاختيار ، [c] فهو المالك للحركة والسكون فى الأعمال ، والقبض والبسط فى الأحوال ، والتفرقة والجمع فى مقام الخصوص ، لا إله إلا هو ﴿سبحانه (وتعالى) عما يصفون﴾ .

[٢٩] . باب الثقة

163 [a] قال الله تعالى : * ﴿فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم .﴾ الثقة سواد عين التوكل ، ونقطة دائرة التفويض ، وسويداء قلب التسليم . [b] قلت : نعم ، * fol. 47 a

162 : a. ومعرفته : ومعرفتك — c. C VI 100.
163 : a. C XXVIII 6/7.

فان الثقة هى السكون البالغ إلى الله تعالى ، ولا يتوكل على الله ويفوض إليه ويسلم إلا من وثق به اقتداراً وعلماً وإحساناً . [e] فلذلك كانت سواد عين التوكل وخلاصته ، ونقطة دائرة التفويض أى مركزه وعليها مداره وهى أصله ، وسويداء قلب التسليم أى لبه وخاصيته .

164 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى درجة الإياس ، وهو إياس العبد فى مقاواة الأحكام ٭ ليقعد عن منازعة الأقسام ٭ ⟨و⟩ ليتخلص من قحة الإقدام . [b] قلت : وذلك أن أول ما تكون عنه الثقة قطع اليأس من النفس فضلا عن غيرها ٭ فتسكن النفس حينئذ للقادر على نفعها وضرها . [c] فتيأس نفسه عن مقاواة الأحكام ٭ أو تغيير ذرة مما قدره العزيز العلام ٭ [d] فتقعد النفس عن منازعتها عند اختلاف الأرزاق والأقسام ٭ فى سائر الأنواع من رزق الآخرة أو الحطام ٭ [e] ويتخلص بذلك من قحة الإقدام ٭ على الاعتراض على المقدور من غير أدب مع مقدّره ولا احترام ٭ وهو المراد بقحة الإقدام .

165 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية درجة الأمن ، وهو أمن العبد من فوت المقدور وانتقاض المسطور ، فيظفر بروح الرضى وإلا فبعين اليقين وإلا فبظلف الصبر . [b] قلت : *وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها كان عن إياس النفس من الاقتدار ٭ والوثوق فى هذه الدرجة لكمال العلم بصفات ﴿العزيز الجبار﴾ . [c] فمن علم أن علمه تعالى وإرادته للحادثات صفتان قديمتان يستحيل عليهما التغيير والتبديل ، وأن ما سبق وقوعه لا بد من وقوعه مما أخبر الصادق عليه السلام عن وقوعه ، أمنت نفسه ووثقت . [d] فلا تبالى بفوات ما تحقق لها أنه لا بد من فواته وما سبق لها كونه فلا بد من حصوله ، إذ لا يتغير معلوم ، ولا يتبدل * fol. 47 b

165 : a. فبعين اليقين : marg. فبغى النفس — b. C LIX 23.

ما ثبت فى اللوح المحفوظ من مسطور . [e] ويظفر من هذه حاله بروح الرضى ٭ ويتنعم بالحلو والمر من القضاء ٭ لعلمه بأنه اختيار مولاه ٭ لأنه الذى خلقه له وأجراه . [f] فان فاته هذا المقام وإلا قوى يقينه وتمكن حاله وهو عين اليقين ؛ وفى بعض النسخ فبغى النفس فتستغنى نفسه عن غير الله ، فانه لا يملك عندها أحد شيئاً سواه . [g] وإن لم يتمكن فبظلف الصبر أى قويه وشديده .

166 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة معاينة أزلية الحق ، ليتخلص من محن القصود ، وتكاليف الحمايات ، والتعريج على مدارج الوسائل . [b] قلت : وهذه الدرجة من الثقة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها سكون كائن عن أمن من فوات القسم المسطور المقدور ٭ وهذه الدرجة كائن سكونها والثقة فيها إلى ما سبق من اللطف بالعبد من غير تقدم سبب منه ولا أمر من الأمور ٭ بل خصه فى أزله بالإيقان بعد الإيمان ٭ ونقله فى رتب الإحسان ٭ *والمكاشفة والعيان ٭ [c] فاذا * fol. 48 a
وصل العبد إلى هذا المكان ٭ بفضل الواحد المنان ٭ تخلص من محن القصود والنيات وجرت عليه قصوده بسهولة ٭ وحُفظ من تكاليف الحمايات عن المشوشات فدفعها بأيسر إعراض وإشارة ٭ واستراح من التعريج فى مدارج الوسائل لدوام نظره إلى المقصود ٭ وبُعده عن الفتور والقعود .

[٣٠] . باب التسليم

167 [a] قال الله تعالى : ﴿(فلا) وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما .﴾ قال الشيخ رحمه الله : وفى التسليم والثقة والتفويض ما فى التوكل من الاعتلال ، وهو من أعلى درجات سبيل العامة . [b] قلت : قد تقدم التنبيه على الجهة التى كان التوكل من أصعب

167 : a. C IV 68/65 — b. v. § 155.

سبل العامة وأوهى سبل الخاصة . [e] وقوله : فى التسليم والثقة والتفويض ما فى التوكل من الاعتلال يغنى من الضعف عن مقامات الخاصة ، إلا أن التسليم من أعلى مقامات العامة من حيث كان تبرياً من الاختيار والاقتدار وإضافة ذلك إلى الحق سبحانه ، ولكنه إلى التفرقة أقرب منه إلى الجمع من حيث كان العبد يرى نفسه مسلّماً .

168 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى تسليم ما يزاحم العقول مما يشق على الأوهام من الغيب ، والإذعان لما يغالب القياس * *fol. 48 b* من سير الدول والقِسَم ، والإجابة إلى ما يقرع المريد من ركوب الأحوال . [b] قلت : وهذا التسليم واجب ، وكذلك سائر المقامات ، فيها الواجب والمندوب وأعلى المندوبات . [c] فان العقول تبحث عن الحقائق العقلية المتعلقة بالاعتقادات ، والأوهام يشق عليها مخالفة المعروف بالعادات . [d] فيسلم العبد لكل ما جاءت به الشريعة من المغيبات مما تعجز العقول عن إدراكه وإن كانت تجوزه ، وبهذا الاعتبار كان يزاحم العقول ويشق على الأوهام لقلة الاعتياد . [e] وكذلك يسلّم ويذعن لما يغالب القياس والجارى من المعتاد من تغيير الدول واختلاف القِسَم ، فانها سنة الله سبحانه يرفع ويضع ، ويعطى من يشاء ويمنع ، فعلى العبد التسليم فى ذلك أجمع . [f] وكذلك يسلم فيما يطرق قلبه من ركوب الأحوال من الهم والحزن والبلايا والمحن ، فيسلم فى جميع هذه الأحوال أمره إلى ﴿الكبير المتعال﴾ ، ولا يعترض ولا يتسخط ، فتزل به القدم ويبقى فى جهله متخبطاً لا يجد فرجاً ولا مخرجاً . [g] وكذلك إن ارتقت منزلته وطرقت قلبه أحوال غالبة ونعم سابغة عالية ، تضعف قوته عن حملها ، سلم وقت ورودها وصبر إلى أن يأتيه العون من ربه والظفر بها .

168 : *f.* C XIII 10/9.

169 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية تسليم العلم إلى الحال ، والقصد إلى الكشف ، والرسم إلى الحقيقة . *[b] قلت : وهذا كلام غامض والله ﴿الفتاح *fol. 49 a* العليم﴾ . فأما قوله تسليم العلم إلى الحال وما بعده ، فهو من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . [c] ومعناه أن يسلّم صاحب العلم لصاحب الحال ، وصاحب النية والقصد إلى الحق لصاحب الوجود والكشف ، وصاحب الوقوف مع الرسوم من الأعمال والأحوال لصاحب الحقيقة وهو مقام الجمع وغلبة ذكر الحق على القلب ، ويكون ذلك للشخص الواحد باختلاف حاله ومقامه . [d] وقد قال سيد السالكين أبو القسم الجنيد رحمه الله : كنت أسمع أن العبد يصل إلى حالة لو ضُرب بالسيف لم يشعر ، وكان فى نفسى منه شىء حتّى تبين لى صحة ذلك ﻫ . أوكما قال . [e] فكان يؤمن وينقاد ويسلم حتّى فتح الله عليه بنيل ذلك ووجوده ، ففى هذه الحكاية مقصود هذه الدرجة .

170 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة تسليم ما دون الحق إلى الحق ، مع السلامة من رؤية التسليم بمعاينة تسليم الحق إياك إليه . [b] قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها من حيث أن تلك تسليم مخلوق لمخلوق حاله ، وهذه تسليم العبد للحق ذاته وفعله وحاله فضلا عن غيره ، فلا يدعى شيئاً من ذلك ولا يلتفت إليه ولا يعول عليه . [c] وذلك مع براءته من وقوعه فى استحسان تسليمه وكمال حاله مع مولاه ، لما غلب على قلبه من لطف الحق به حتّى أوصله إلى هذا * المقام من *fol. 49 b* التسليم . [d] فهو يرى فضل مولاه عليه فى توفيقه للتسليم وخلقه له ، إذ لا فعل عنده لسواه .

169 : *b.* C XXXIV 25/26.

[١٧ - قسم الأخلاق]

171 [a] وأما قسم الأخلاق فهو عشرة أبواب ، وهى : الصبر ، والرضى ، والشكر ، والحياء ، والصدق ، والإيثار ، والخلُق ، والتواضع ، والفتوة ، والانبساط .

[٣١]. باب الصبر

172 [a] قال الله عز وجل : ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله .﴾ الصبر حبس النفس على جزع كامن عن الشكوى ؛ وهو أيضاً من أصعب المنازل على العامة ، وأوحشها فى طريق المحبة ، وأنكرها فى طريق التوحيد . [b] قلت : قوله الصبر حبس النفس على جزع كامن عن الشكوى ، المقصود حبس النفس عن الشكوى على وجود جزع كامن ، إذ فى الكلام تقديم وتأخير بيناه قبل هذا . [c] فان حقيقة الصبر الحبس ولا يكون إلا عن شىء أو على شىء . [d] فان كانت النفس فى ألم من مقاساة أمر محمود شرعاً وهى متفلتة منه طلباً للراحة ، والعبد حابس لها على الخير وعن الميل إلى الراحة ، والنفس تجد راحة بالشكوى ، فهى محبوسة عنها امتثالاً لأمر المولى . [e] وكونه من أصعب المنازل على العامة لما فيه من مخالفة النفس والهوى . [f] وقوله وأوحشها *فى طريق المحبة إنما كان من حيث أنه لا يمكن المحب الصبر *fol. 50 a
عن محبوبه ؛ وأيضاً فان المحب محمول بالمحبة ، فهو بعيد عن الآلام ، مستغن عن الصبر ، مستوحش من وقوعه . [g] وقوله وأنكرها فى طريق التوحيد إنما ذلك من حيث رؤية الفضل لله عليه وانفراده بالفعل ، فلا يرى الموحد فعلا مؤلماً حتى يصبر عليه ،

172 : *a*. C xvi 128/127 — *a b*. كائن : كامن .

بل يجد لأفعال محبوبه لذة ؛ وأيضاً فان من تمكن فى توحيده ، غفل عن مراعاة نفسه وعن تحسّسه لآلامها وأفراحها ، شغلاً منه بالله تعالى .

173 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد ، إبقاءً على الإيمان ، وحذراً من الحرام ؛ وأحسن منه الصبر عن المعصية حياءً . [b] قلت : وهذه أول درجة من الصبر فى حق التائب ، فانه قريب العهد بالمخالفات المشتهيات ، شديد التلفت إلى كثير من المحرمات المعتادات ، فيحتاج إلى الصبر ليكف نفسه عن ذلك . [c] ويستعين على ذلك بمطالعة وعيد الله سبحانه للعاصين ، ليقوى حذره من مجازاة رب العالمين ، ويتحفظ إيمانه من النقصان عن درجات المتقين . [d] وقوله وأحسن منه الصبر عن المعصية حياءً . قلت : هذا صبر العارفين بالله تعالى ، فانهم بنظره فى سائر حركاتهم وسكونهم ، فيمنعهم حياؤهم من نظره أن يعصوه ، ويمنعهم دوام إحسانه *إليهم *fol. 50 b
أن يخالفوه .

174 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية الصبر على الطاعة ، بالمحافظة عليها دواماً ، وبرعايتها إخلاصاً ، وبتحسينها علماً . [b] قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها ، فان الأولى صبر على مفارقة المألوفات من المحرمات ، وهذه صبر بعد القيام بذلك على ملازمة نوافل الطاعات ، والتحلى برفيع الحالات . [c] فيحافظ عليها دواماً ، ويرعاها فى حال فعلها وفى أوله إخلاصاً ، ويحصنها بعد فراغه منها مما ينقلها إلى ديوان غيره علماً .

174 : *c*. On notera que l'auteur commente ici la leçon تحصينها au lieu de تحسينها qui se trouve dans le texte.

175 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة الصبر فى البلاء ، بملاحظة حسن الجزاء ، وانتظار روح الفرج ، وتهوين البلية بعدّ أيادى المنن وتذكر سوالف النعم . [b] وفى هذه الدرجات الثلاث من الصبر نزلت ﴿ اصبروا ﴾ يعنى فى البلاء ، ﴿ وصابروا ﴾ يعنى عن المعصية ، ﴿ ورابطوا ﴾ يعنى على الطاعة . [c] قلت : وإنما تأخرت هذه الدرجة وكانت أخيراً فى الصبر لكمالها وعزة القائم بها لله تعالى ؛ فان كثيراً من المكلفين يصبرون عن المعاصى ، وإن كانت لهم لذيذة ، خوفاً من النار . وكثيراً منهم يصبر على فعل الطاعات لما يرجوه من الجزاء بدار القرار . [d] وأما الصبر على ما ينزل بالعبد من الأقدار . فى تصاريف الليل والنهار . فصبر العارفين بالله الذين دام نظرهم إلى الله ، فلا يليق ولا يحسن بهم ظهور* الجزع والشكوى إلى غير الله تعالى . [e] ومنهم من يصبر لملاحظة الجزاء وانتظار روح الفرج مما هو (فيه) من البلاء ، ومنهم من يهون البلية على نفسه بعدّ منن الحق عنده وما سبق به فضله عليه من غير سبب يعرفه من نفسه . [f] وقوله وفى هذه الدرجات الثلاث من الصبر نزلت ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا . الآية ﴾ كما تقدم ، لم يرد أنه سبب نزولها . وإنما أراد (والله أعلم) أن معنى الآية راجع إليها . [g] فان الصبر هو حبس النفس على جزع كما تقدم ، ولا يكون العبد صابراً حتى يحبس نفسه على ذلك من غير كلفة ، وما لم يبلغ إلى هذه الدرجة فهو متصبر لا صابر . [h] وأما المصابرة فهى مفاعلة من تكلف الصبر ؛ ومن حبس نفسه عن الشهوات المحرمات ، وهى متفلتة إلى نيلها ، فهو مصابر مجاهد . [i] وأما المرابطة فهى المحافظة والحراسة ، والمطيع محافظ على الدوام على طاعاته . خائف عليها من آفاته . [j] فلذلك قال الشيخ : ﴿ اصبروا ﴾ فى البلاء ﴿ وصابروا ﴾ عن المعصية ﴿ ورابطوا ﴾ على الطاعة .

*fol. 51 a

175 : b f j. C III 200 — f. نزلت : add. قوله تعالى.

176 [a] قال الشيخ رحمه الله : وأضعف الصبر الصبر لله وهو صبر العامة ، وفوقه الصبر بالله وهو صبر المريد ، وفوقهما الصبر على الله وهو صبر السالك . [b] قلت : وهذا كلام بالغ ، فان الصبر لله صبر العابد الذى يرى عمله وأنه موقعه ، إما لأمر الله أو لجزائه * على العمل ؛ والصبر بالله تبر من الحول والقوة ، وإضافة ذلك إلى الله عز وجل وبعون الله عز وجل ، وهو صبر المريد . [c] وأما الصبر على الله فهو صبر السالك لطريق الخاصة على ما تجريه الأقدار . ويقدره الفاعل المختار . فهو بعين التحقيق إلى أفعال مولاه ناظر . وفى سلوكه وتنقله فى المقامات سائر .

*fol. 51 b

[٣٢] . باب الرضاء

177 [a] قال الله تعالى : ﴿ ارجعى إلى ربك راضية مرضية . ﴾ لم يدع فى هذه الآية للمتسخط إليه سبيلاً ، وشرط القاصد الدخول فى عبادة الرضى . [b] قلت : يعنى أنه تعالى خص بالرجوع إليه الراضين خاصة ، دون المتسخطين بقضائه . [c] فمن دخل فى عباده الراضين ، فقد ضمن له الرضى عنه بقوله ﴿ مرضية ﴾ ، فرضى عنهم ووعدهم جنته الأخروية والنعيم فى الدنيا بروح الرضى وزوال الهموم والأحزان بما فات أو بما هو آت .

178 [a] قال الشيخ رحمه الله : والرضى اسم للوقوف الصادق حيث ما وقف العبد ، لا يلتمس متقدماً ولا متأخراً . ولا يستزيد مزيداً . ولا يستبدل حالاً ؛ وهو من أوائل مسالك أهل الخصوص وأشقها على العامة . [b] قلت : وهذا فيه نظر وتفصيل ، فان العبد مأمور بطلب المزيد من فضل الله والتنقل فى درجات التقرب إلى الله ، فهو يلتمس التقدم إلى المراتب العالية أبداً ، * ويهرب عن مجال النقص ، *fol. 52 a

177 : a. C LXXXIX 28.

٦

ويسأل الله فى استبدال الأحوال فى درجات الكمال . [c] نعم ، إن حمل مطلق الكلام على ما يحتاج العبد إليه فى دنياه ، أو ما يطرقه من النوازل التى لم يتعلق طلب الشرع بالنقلة عنها وأمر بالصبر عليها والرضى بها ، فصحيح ؛ وإن حمل الكلام على ما تقدم من الإطلاق ، كان فيه تفصيل نذكره . [d] فنقول : يمكن حمله على وجه ، وذلك أن الرضى إنما يتحقق بعد نزول القضاء ، فأما قبله فعزم على الرضى . [e] وإذا تقرر ذلك ، فلا يمنع الدعاء والسؤال لما لم يحصل الرضى بما حصل أصلاً ، فيكون العبد الموفق ناظراً إلى ما وقع به من الخيرات وتمكن فيه من المقامات بعين الرضى وحسن الاختيار له من الله سبحانه ، لا يتمنى أنه وقع خلاف ما وقع ، خوفاً من المعارضة لمولاه فى الاختيار ٭ ويرضى بما أجراه سبحانه عليه من الأقدار . [f] وهو فى ذلك راء فضله ، وشاكره على نعمه التى أسداها إليه ، داع سائل متضرع فى طلب المزيد من إحسانه ونعمه التى أولاها . [g] فلم يكن مستقلاً لنعم مولاه بل راضياً بها معظماً ، ولا غافلا عن طلب المزيد منه بل طالباً داعياً ، وهذا أكمل الأحوال .

179 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى رضى العامة ، وهو الرضاء بالله رباً بسخط عبادة ما دونه ؛ وهذا قطب رحى الإسلام وهو يطهر من الشرك الأكبر. [b] وهو يصح بثلاث شرائط : أن يكون * الله عز وجل أحب الأشياء إلى العبد ، وأولى الأشياء بالتعظيم ، وأحق الأشياء بالطاعة . [c] قلت : وهذه الشرائط المذكورة إنما تكون فى الرضى بكون الله رباً على الإطلاق فى معنى الربوبية . فيكون أحب الأشياء إليه لمعرفته أنه لا منعم عليه سواه ولم ير خيراً قط إلا من فضله . [d] ويكون أولى الأشياء بالتعظيم إذ لا ثانى له فى سلطانه ولا صفاته ولا ملكوته . [e] ويكون أحق الأشياء بالطاعة إذ لا رب عنده سواه ٭ ولا مالك له إلا إياه .

* fol. 52 b

180 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية الرضى عن الله ، وبهذا الرضى نطقت آيات التنزيل ، وهو الرضى عنه فى كل ما قضى وقدر ؛ وهذا من أوائل مسالك أهل الخصوص . [b] ويصح بثلاث شرائط : باستواء الحالات عند العبد ، وسقوط الخصومة مع الخلق ، وبالخلاص من المسألة والإلحاح . [c] قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها ، فان الأولى واجبة وهذه مندوب إليها ما لم يضعف حاله جداً ، حتى يفوته الصبر فيقع فى التسخط ويكون خارجاً عن الرضى بالكلية ، وما قبله من درجات الصبر . [d] وهذه الشرائط لا بد منها فى حق صاحب هذا المقام من الرضى : فانه ، إن لم تستوى الحالات عنده من حيث علمه بأنها من اختيار ربه ، لا من حيث طبعه وميل نفسه ، لا يرضى بكل قضاء الله وقدره أبداً . [e] ومتى بقى فى نفسه اعتراض على الخلق فى * تفصيل أحوالهم معه ، من حيث محبة نفسه وكراهتها لأفعالهم ، لا من حيث أمر ربه ونهيه ، لم يتم له ذلك . [f] وقوله بالخلاص من المسألة والإلحاح يحتمل حمله على طلب الحوائج من الخلق ؛ بل حقه ، إن سنحت له حاجة ، أن يشير إليها ويتكلم الكلام اليسير ، ويبقى متعلق القلب بالله سبحانه فى تيسيرها وقضائها ، إذ لا فاعل عنده سواه ٭ ولا مقصود إلا إياه . [g] وأما السؤال من الحق والإلحاح فيه ، فمطلوب محثوث عليه ؛ وقد بينا أنه لا يمنع من الرضى بما وقع فيما تقدم . [h] وقد يترك العبد الدعاء والسؤال فى بعض الأحوال ٭ لما غلب على قلبه من رؤية ﴿ذى الجلال﴾ ٭ له وعلمه بتفاصيل ما هو فيه من الحاجة والإقلال ٭ أو لتوالى فضله عليه وكرمه لديه من غير إخلال ٭ وليس هذا من الرضى بسبيل .

* fol. 53 a

181 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة الرضى برضى الله ، فلا يرى

180 : *g*. v. § 178 *e* — *h*. G LV 78.
181 : *b*. G XIII 10/9 — *c*. النار : add. مع.

العبد لنفسه سخطاً ولا رضى ؛ فيبعثه على ترك التحكم وحسم الاختيار ، وإسقاط التمييز ولو أدخل النار. ᵈ قلت : وإنما كانت هذه الدرجة أرفع مما قبلها من جهة أن رضى العبد ثمّ متعلق بما وقع من الأفعال ، وهاهنا تعلق رضاه بصفة من صفات ﴿الكبير المتعال﴾ ، فيرضى برضى مولاه ، من حيث كان هو المختار المريد لما أجراه ، عليه ، موافقاً له كان أو مخالفاً هواه ، معرضاً عن سخط نفسه ورضاها ، مقبلا على محبة ما أجراه عليها خالقها . ᵉ فيثمر له هذا * المرام البُعد عن التحكم * fol. 53 b
على ربه والاختيار ، وزوال التمييز عن قلبه والتفرقة بالنظر إلى مصلحته ولو أدخل النار ، هذا مع جريانه على الاستقامة وسمت الأخيار ، لا بكونه متخلقاً بأخلاق الأشرار والفجار ، (نعوذ بالله تعالى من علامات أهل النار ، وصلى الله على محمد وآله !)

[٣٣]. باب الشكر

182 ᵃ قال الله تعالى : ﴿وقليل من عبادى الشكور.﴾ الشكر اسم لمعرفة النعمة ، لأنها السبيل إلى معرفة المنعم ؛ ولهذا سمى الله تعالى الإسلام والإيمان فى القرآن شكراً . ᵇ قلت : قوله الشكر اسم لمعرفة النعمة فيه بحث ، فان المعرفة أصل الشكر وثمره لا عينه ؛ فان الشكر الثناء على المنعم بانعامه وهو راجع إلى الكلام ، إما كلام النفس أو النطق باللسان ، وهو فيهما كلام والمعرفة علم فافترقا ؛ نعم لا يشكر على النعمة من لا يعرفها . ᶜ وقوله لأنها السبيل إلى معرفة المنعم صحيح ، لأن النعمة لا تكون إلا من منعم تضاف إليه النعمة فتصير مذكرةً له . ᵈ ويحتمل أن يريد الشيخ بقوله المعرفة الاعتراف ، فيرجع إلى ما قلناه من الثناء على المنعم بذكر نعمه ، إما بالقلب وإما باللسان وإما بالأعمال . ᵉ قال الله تعالى : ﴿اعملوا آل داود

182 : *a e*. C xxxiv 12/13.

شكراً﴾ فسمى العمل شكراً وهو (والله أعلم) المراد بقول الشيخ سمى الإسلام والإيمان شكراً أى الأعمال .

*fol. 54 a 183 *ᵃ قال الشيخ رحمه الله : ومعانى الشكر ثلاثة أشياء : معرفة النعمة ، ثم قبول النعمة ، ثم الثناء بها ؛ وهو أيضاً من سبل العامة . ᵇ قلت : قوله ومعانى الشكر ثلاثة أشياء يعنى التى بها يتم ، فان من لم يعرف النعمة استحال أن يشكرها ؛ وإن عرفها من حيث كونها نعمة مطلقاً ، أى من جملة النعم ، ولم يرها نعمة عنده أو عليه من المنعم ، لم يشكره عليها ؛ وإن علم كونها نعمةً وجاريةً عليه من المنعم ، ولم يثن على المنعم بها عليه ، لم يكن شاكراً . فهذه أركان الشكر ومعانيه التى بها قوامه ، وأصلها معرفة النعم كما تقدم . ᶜ وأما كونه من سبل العامة ، فلما فيه من التفرقة بين الشاكر والمشكور والمنعم والمنعَم عليه ، وكونه ذاكراً للمنعم عليه مجازياً بشكره على النعم ؛ فان الغالب على قلوب الخواص مقام الجمع (والله أعلم) .

184 ᵃ قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى الشكر على المحاب ، وهذا شكر شاركت المسلمين فيه النصارى واليهود والمجوس ؛ ومن سعة بر البارىء أنه عده شكراً ، ووعد عليه الزيادة ، وأوجب له المثوبة . ᵇ قلت : قوله شاركت المسلمين فيه النصارى واليهود والمجوس أى إنه كل مخلوق عاقل يشكر من فعل به فعلاً محبوباً إليه ، جارياً على مقتضى غرضه ؛ وإنما يشكر فى المصائب وعلى كل حال الخواص . ᶜ وقوله ومن سعة بر البارىء سبحانه * أنه *fol. 54 b
عده شكراً إلى آخر كلامه ، معناه أنه عد شكر الشاكر على محابه طاعة وأثاب عليها ؛ فانه تعالى فاعلها والمتفضل بها أولاً ، ولإخباره تعالى أن أعمال العبد يكون جزاء عنها وإن لم يكن لها جزاء تحقيقاً . ᵈ فكيف بوعده الثواب عليها والزيادة منها تفضلاً

184 : *b*. إنه : إن — *c*. أعمال : عمل.

منه تعالى ، أولاً وآخراً ، فى الآخرة والأولى ، فهذا دليل على سعة بره ولطفه بعباده تعالى .

185 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية الشكر فى المكاره ؛ وهذا ممن تستوى عنده الحالات إظهار الرضى ، وممن يميز بين الأحوال كظم الشكوى ورعاية الأدب وسلوك مسلك سبيل العلم . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان الشكر على المكاره لا يصح إلا ممن يعتّدها نعماً ؛ ولا يعتّدها نعماً حتى يراها لطفاً من الله تعالى به ، إما للجزاء عليها أو لدفع ما هو أعظم منها . [c] والشكر على المكاره ، ممن استوى عنده فعل الحق به ، فلم يفرق بين النعم والبلايا ، والعوافى والأسقام ، لتمكنه فى مقام الرضى بما جرت به الأقدار ، يكون إظهاراً لما هو عليه من مقام الرضى . [d] وهو ، ممن يميز بين الأحوال ، كظم للشكوى لما هو فيه من البلاء ، ومراعة للأدب مع الله سبحانه ، وعملٌ بمقتضى العلم وهو أنه لا فاعل إلا الله سبحانه . [e] قال الشيخ : وهذا الشاكر أول من يدعى إلى الجنة .

186 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة ألا يشهد العبد إلا المنعم ؛ فاذا شهد المنعم عبودةً * استعظم منه النعمة ، وإذا شهده حباً استحلى منه الشدة ، *fol. 55 a
وإذا شهده تفريداً لم يشهد منه شدة ولا نعمة . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فانها اشتغال بالمنعم عن النعم والبلايا ، لكمال المحبة أو التوحيد أو الذلة له والالتجاء . [c] فان شهد مولاه مع معرفته بفقره وذلة نفسه وعدم صلاحيته لما أنعم به ، وهذه هى العبودة ، أفاده ذلك استعظام النعمة وكمال المنة . [d] وإن شهد مولاه مع صفة الحب منه له ، استحلي جميع ما يحل به من محبوبه ، مما هو مُر عند غيره من البلاء والشدة . [e] وإن شهد العبد المنعم عليه تفريداً ، أى لم ير سواه ، واشتغل قلبه بكمال ربه وجلاله عن تذكر منعه أو عطائه ؞ أو التحسس لنعمه عليه أو بلائه .

[f] وقوله لم يشهد منه نعمة ولا شدة أى حجبه ذلك عن تذكر النعم والبلايا لكمال شغله بمولاه ؞ وإعراضه عمن سواه ؞ هذا مراده لا أنه شهدها من نفسه أو غيره ، بل هو مشغول عنها بمجريها وإن كان غريقاً فيها .

[٣٤] . باب الحياء

187 [a] قال الله تعالى : ﴿ألم يعلم بأن الله يرى .﴾ الحياء من أوائل مدارج أهل الخصوص ، يتولد من تعظيم منوط بود . [b] قلت : قوله الحياء من أوائل مدارج أهل الخصوص صحيح ، فانه كائن عن دوام مراقبة الحق سبحانه فى الحركات
*fol. 55 b والسكنات ؞ * بل فى الأنفاس واللحظات . [c] وعن هذا مع كمال المعرفة يكون التعظيم ، وبه يكون الشغل عن الخلق ، ثم عن النفس ، ثم عن الحال ، وهو مقام الجمع ؛ فلذلك كان الحياء من أوائل مدارج أهل الخصوص . [d] ويتولد الحياء من تعظيم مجتمع مع محبة العظيم وهو الود ؛ فلو انفرد التعظيم لأثمر الخوف والهرب ؞ ولو انفردت المحبة لأثمرت الشوق والطلب ؞ ولما اجتمعا لزم العبد الحياء منه والحشمة والأدب .

188 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى حياء يتولد من علم العبد بنظر الحق ، فيجذبه إلى محل المجاهدة ، ويحمله على استقباح الجناية ، ويمسكه عن الشكوى . [b] قلت : وهذه الدرجة من الحياء من أول درجات المراقبة لله تعالى ، وهى التى دل الخبر الصحيح على أنها من درجات الإحسان بقوله عليه السلام لجبريل عليه السلام لما سأله عن الإحسان : ﴿أن

187 : *a*. C XCVI 14.
188 : *a*. ويمسكه : marg. أصل يسكته .

تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ﴾ خرجه مسلم وغيره . [e] ومتى استشعر العبد نظر المالك الآمر له بالعمل ، جد فيه واجتهد على حسب عظمته فى قلبه ، أو محبته له ، أو طلب إحسانه ورحمته ، على حسب قربه منه ودرجته ؛ وهو المراد بجذبه إلى المجاهدة . [d] وكذلك يصونه علمه بنظره عن تعاطى شىء من المخالفة ؛ وإن وقع فى شىء منها وكان يسيراً * رآه قبيحاً مهلكاً خطيراً كبيراً * وهو المراد باستقباح الجناية . [e] وإن أجرى * عليه مولاه * شيئاً من بلائه فى دنياه * لم يشك * fol. 56 a
ذلك لسواه * لكمال علمه بأنه يسمعه ويراه * وهو المراد بمسكه عن الشكوى .

189 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية حياء يتولد من النظر فى علم القرب ؛ فيدعوه إلى ركوب المحبة ، ويربطه برَوح الأنس ، ويكره إليه ملابسة الخلق . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها عن استشعار نظر الحق إليه * وهذه عن علمه بقربه منه ولديه . [c] وقربه تعالى من العبد بدوام الحفظ له والإحسان * ونقله إياه فى درجات اليقين والعرفان . [d] فاذا تيقن العبد جميل هذه الأفعال * وتبين ذلك فيما أجراه عليه الحق من الحركات فى ظاهره وفى باطنه من كريم الصفات والأحوال والتعريفات ، دعاه ذلك إلى محبة ﴿ الكبير المتعال ﴾ * وتنعم بروح الأنس به وبقربه تعالى وتقدس عن الزمان والمكان والحلول والانتقال . [e] وإذا وصل العبد إلى مقام التنعم بمولاه وأنس به ، قطعه ذلك عن غيره ، وكره ما يشوش عليه حالـه ، وهو مراده بملابسة الخلق ، حتى يتمكن فلا يبالى بغير ولا يُحجَب عنه بشىء .

190 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة حياء يتولد من شهود الحضرة .

189 : *d.* C xiii 10/9 — *e.* وأنس : وأنسه

190 : *a.* تشوبها : لاتشوبها .

وهى التى تشوبها هيبة * ولا تقارنها تفرقة * ولا يوقف لها على غاية . [b] قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها ، فان ما قبلها نشأ عن علم بقرب * وهذه عن مشاهدة الحق بغير حَجْب . * [c] والفرق بين المقامين (والله أعلم) ما أشار الخبر الصحيح * fol. 56 b
إليه فى قوله عليه السلام : ﴿ أن تعبد الله كأنك تراه ﴾ فهذه رتبة عالية فى المشاهدة ؛ ثم قال : ﴿ فان لم تكن تراه فانه يراك ﴾ وهذه رتبة أخرى ؛ والأولى أعلى ، وبيانه أن الأخيرة ينالها المعتقد والعالم . [d] فمن اعتقد أنه يراه ، عمل على ذلك مع الحياء من نظره ، مع احتمال إعراض الرائى عنه مثلاً فى حقنا ، والحق سبحانه منزه عن ذلك . [e] ومن كان مشاهداً له ، رآئياً له بقلبه ، قاطعاً برؤيته ، كان حياؤه أتم * ودرجته أرفع وأعم * لما يتطرق إلى المعتقد من الاحتمال عند ورود المشككات * والعالم المشاهد بعيد عن هذه الآفات . [f] وهذه المشاهدة هى المقرونة بالهيبة * لا بالتفرقة عنه والغيبة * ولا يوقف فى مواهب الله سبحانه لأربابها على غاية ، فانهم أهل الله وخاصته ، وأحقهم بفضله وقد فعل ذلك بهم .

[٣٥] . باب الصدق

191 [a] قال الله تعالى : ﴿ فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم . ﴾ الصدق اسم لحقيقة الشىء بعينه ، حصولا ووجوداً . [b] قلت : وهذا الحد فى الصدق يحتاج إلى بيان وتحقيق ، فان الصدق ليس هو اسما لحقيقة الشىء الموجود الحاصل ، حتى يكون كل موجود حاصل يسمى صدقاً . [c] بل الصحيح أن الصدق حالة فى العبد ، حاملة على إيقاع الفعل على وجهه مع الجد وعدم الفتور. [d] فان كانت فى اللسان * * أو فى القلب الذى ترجم عنه اللسان * كان إخباراً عن الشىء * fol. 57 a
على ما هو عليه ، من غير زيادة ولا نقصان . [e] وإن كان الصدق فى النية أو فى

191 : *a.* C xlvii 23/21 — *f.* C xxxiii 23

الأفعال ؞ كان إيقاعها مع المبادرة على وجهها المعروف شرعاً من غير إخلال . [f] قال الله تعالى : ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر. الآية . ﴾

192 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى صدق القصد ، وبه يصح الدخول فى هذا الشأن ؛ وبه يتلافى كل تفريط ، ويتدارك كل فائت ، ويعمر كل خراب . [b] وعلامة هذا الصادق أن لا يحتمل داعية تدعو إلى نقض عهد ؞ ولا يصبر على صحبة ضد ؞ ولا يقعد عن الجد بحال . [c] قلت : وأول عامل من المريد قلبه ، ويتم عمله بصحة قصده وقوة عزمه . [d] ومتى قوى عزمه ، لم يقبل خواطر الكسل والفتور ، ولم يلتفت إلى ما تدعو إليه النفس من الراحات أو نقض العهود فى ملازمة القربات ، ولم يصحب من لا يسلك مسلكه ولا يقصد طريقه ، خوفاً على نفسه من التأنس بالبطالين ورؤية أهل الغفلة المقصرين . [e] وهو المراد بكونه لا يصبر على رؤية ضد فضلاً عن صحبته ، ولا يقعد عن الجد فى طلبه بحال .

193 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية أن لا يتمنى الحياة إلا للحق ،
ولا يشهد من نفسه إلا أثر النقصان ، ولا يلتفت إلى ترفيه الرخص . *[b] قلت : *fol. 57 b
وهذه الدرجة فى الصدق أتم مما قبلها ، فان ما قبلها صدق النية والعزيمة ليتخلص به من التفريط والنقص ، وهذا صدق حمل على استفراغ الجهد حتى نغص عليه الدنيا من حيث نفسه وراحتها ، فانها دار الهموم والأحزان ؞ مشوبة الأرباح والفوائد بالخسران . [c] فلا يحب الحياة إلا إذا كانت حياته عليه أو على غيره رحمة وزيادة ، لا لمحبة نفس الحياة أو التنعم فيها بالمال والجاه . [d] ويرى نفسه بعين النقص فى سائر التصرفات ؞ فى الحركات لله أو السكنات ؞ [e] ولا يقبل من نفسه

خواطر الترفية بالرخص ، لما هو فيه من كمال الجد والتشمير فى طلب الطاعات ؞ لا أنه يترك ما طلبه الشرع من الفطر والقصر فى السفر لطفاً بالعباد ؞ بل يجرى على مقتضى صدقه فى سلوكه مع ربه من غير فتور ولا تقصير على وجه السداد .

194 [a] قال للشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة الصدق فى معرفة الصدق ؛ فان الصدق لا يستمر فى علم الخصوص إلا على حرف واحد ، وهو أن يتفق رضى الحق بعمل العبد أو حاله أو وقته وإتيان العبد وقصده ، فيكون العبد راضياً مرضياً . [b] فأعماله إذاً مرضية وأحواله صادقة وقصوده مستقيمة ؛ وإن كان العبد كُسىَ ثوباً معاراً ، فأحسن أعماله ذنب ، وأصدق أحواله زور ، وأصفى قصوده فتور .
[c] قلت : وهذه الدرجة فى الصدق أبلغ مما قبلها من حيث تبريه عن رؤية صدقه * *fol. 58 a
وخروجه عن آثار نفسه . [d] فان من كمل صدقه فى سلوكه ؞ بحث عن آفات أحواله وأخلاقه ومقاماته ؞ فينظر فى حقيقة صدقه ؞ فيجده من فضل ربه وكرمه ؞ الذى منّ عليه به ؞ عوناً له على ما هو بصدده ؞ [e] فاذا وافق صدقه وجدّه فى شىء من حركاته رضى الحق به ؞ كان ذلك مرضياً لربه ؞ والعبد محب فيه وله راض به . [f] وهذه هى الموافقة بين رضى الحق وقصد العبد ؛ فهو فى التحقيق محلّ ، إذ الحق تعالى خلق له الصدق والرضى بما هو مرضى عنده فله الحمد ، فانه المتفضل بالقسمين وهما خلق الفعل المرضى به وثناؤه على فاعله . [g] فاذا تحقق العبد هذا من نفسه ، علم أنه فى صدقه كسى ثوباً معاراً ، إذ هو لغيره تحقيقاً . [h] فان ادعاه لنفسه واستحسن شيئاً من عمله وكماله لنفسه ، كان ذلك عجباً إن نسى منة ربه ؛ وإن ذكرها تبرأ من حوله وقوته ، ودخل فى مقام الخصوص . [i] ولذلك قال الشيخ : فأحسن أعماله ذنب أى إن ادعاه لنفسه ، وأصدق أحواله

194 : a. يستمر : marg. أصل يستقيم .

زور وأصفى قصوده قعود لأنه لم يصفُ له قصده لربه خاصة لبقائه مع دعوى نفسه .

[٣٦] . باب الإيثار

195 [a] قال الله عز وجل : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ﴾ الإيثار تخصيص باختيار ، والأثرة تحسن طوعاً وتصح كرهاً . [b] قلت : قوله الإيثار تخصيص باختيار أى بقصد ونية حسنة ؛ وشرطه الاحتياج من جهة المؤثر ، وإلا كان سخاء * [fol. 58 b] وكرماً . [c] والفرق بين الإيثار والأثرة أن الإيثار يكون عن قصد واختيار والأثرة أن يتميز أحد الشخصين عن الثانى بمزية عليه ، فان كان ضرورةً وكرهاً وحملاً على النفس صحت ، وإن كان اختياراً وكسباً وطوعاً حسنت .

196 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يخرم عليك ديناً ، ولا يقطع عليك طريقاً ، ولا يفسد عليك وقتاً . [b] ويستطاع هذا بثلاثة أشياء . بتعظيم الحقوق ، ومقت الشح ، والرغبة فى مكارم الأخلاق . [c] قلت : وهذا صحيح ، فان الإيثار المحمود عند الله تعالى الذى أثنى على فاعليه ، الإيثار بالدنيا لقوله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم . الآية ﴾ وفى آخرها : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ والفلاح الفوز بالمطلوب . [d] وأما أعمال البر والقربات ، فقد أمر الله تعالى بالمسارعة إليها والمسابقة فيها ، وقال عليه السلام : ﴿ لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ﴾ أو كما قال . [e] فلم يجعل الشرع الطاعات محلاً للإيثار ، والسر فيه (والله أعلم) أنه لا ضيق على المكلفين فى أعمال البر ؛ ولو عمل العمل

195 : *a.* C LIX 9.
196 : *b.* C LIX 9.

أو الطاعة الواحدة آلاف من الخلق ، لم يكن بينهم تزاحم ، ووسعهم فضل ربهم . [f] وإن قُدّر عمل يختص به واحد ، بحيث إذا فعله فات غيره ، ففى عزمه على فعله ونيته لعمله مثل أجره لو عمله . [g] وفى غيره أيضاً من الطاعات ما يساويه فى أجره ، * [fol. 59 a] بخلاف ما يحتاج إليه من طعامه وشرابه ولباسه مع الاحتياج إليه فى الجهتين ، فاذا أخذه أحدهما فات الآخر . [h] فندب الشرع من وجد من نفسه منة وصبراً على مشقة عدمه إلى الإيثار به ، ما لم يخرم عليه ديناً بحيث يخل بعقله أو يمنعه من طاعته ، أو يقطع عليه طريقاً عزم على سلوكه لربه وكان ما يريد أن يؤثر غيره به من جملة أسبابه ، أو يفسد عليه وقتاً أى يشوشه ويبدد قلبه بسبب ضعفه . [i] وهذا كله ما لم يجب عليه الإيثار بالحاصل ، لخوف موت غيره ، أو شدّة ضرره ، مع سلامة المؤثر من مثله ، وفى هذا تفصيل فقهى يصلح فى موضعه .

197 [a] وقال الشيخ : ويستطاع هذا بثلاثة أشياء تقدمت ، وهو صحيح ؛ فان النفوس مجبولة على الميل إلى المحبوبات والنفور عن المكروهات ، والإيثار بالمحتاج إليه أبلغ فى الكراهة والثقل على النفس ، وهى تنفر عنه . [b] فاذا عظمت حقوق الله التى جعلها للمسلمين بعضهم على بعض فى قلب العبد ، خاف من تضييعها ، فهان عليه بذل ما هو محتاج إليه ، هذا إذا خشى على غيره ضرراً . [c] وإن لم يخشه ، استقبح من نفسه صفة الشح مع استغنائه عن ما شح به فى وقته ووجود قوته وصبره ، ولشدة رغبته أيضاً فى التخلق بمكارم الأخلاق ، المحثوث عليها عند الواحد الرزاق .

198 [a] قال الشيخ رحمه الله : * [fol. 59 b] والدرجة الثانية إيثار رضى الله على رضى غيره ، وإن عظمت فيه المحن ، وثقلت فيه المؤن ، وضعف عنه الطول والبدن .

[b] قلت : وهذه الدرجة فى الإيثار أرفع مما قبلها ، فان الأولى آثر بعض العبيد على نفسه فى محتاجه ، وهذا آثر الله على غيره ونفسه من جملة الأغيار . [c] فلا يوافق أحداً فى خلاف مرضاة ربه تعالى ، ولا يقصر عن حق أوجب عليه القيام به ، وإن أبعده الأحباب ، وأنكره الأصحاب ، وضعف عن حمله قلبه وبدنه ، لقلة اعتياده له ، فانه سيقوى بعزة رب الأرباب .

199 [a] قال الشيخ رحمه الله : ويستطاع (هذا) بثلاثة أشياء : بطيب العود ، وحسن الإسلام ، وقوة الصبر . [b] قلت : قوله بطيب العود هو أن يكون الحق سبحانه خلقه على طبيعة منقادة ، وقريحة وقادة ، إن عرض على عقله حقائق المعقولات ، أدركها بسهولة ، وبعد هز الأوهام والشبهات . [c] وإن زجر نفسه عما تعلقت به من الشهوات ، انقادت إليه بسرعة لما خلقت عليه من الموافقة وسرعة الإجابات ، بخلاف غيره ممن ليست هذه صفته من المخلوقات . [d] ثم يكمل الله سبحانه له هذه الطبيعة الحسنة بأنوار الإسلام وتمكين اليقين به والعرفان ، ليؤثره سبحانه فى أوامره ونواهيه على سائر خلقه من نفسه وغيره . [e] ويجد لذلك ألماً شديداً فى مباديه ، ويتحمل ذلك لربه بصبره ويقاسيه ، حتى يمده الله بمعونته ، ويخفف عنه ذلك ، ويعافيه . [f] لا أخلانى الله وإياكم من عونه ، *ومدنى وإياكم بفضله وطوله ، إنه ﴿ قريب مجيب ﴾ . *fol. 60 a

200 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة إيثار الله فان الخوض فى الإيثار دعوى فى الملك ، ثم ترك شهود رؤيتك إيثاراً لله ، ثم غيبتك عن الترك . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها مقام التفرقة والنظر على الأغيار وإيثار الحق عليهم ، وهذه الدرجة جمع القلب على الحق فتؤثر الله بايثارك له على

199 : *f.* C XI 64/61.

غيره ، أى تضيفه إليه وتبرىء نفسك منه ، فان الخوض فيه دعوى ملكك له . [c] ثم تترك شهودك لكونك مؤثراً له بايثاره على غيره ، ثم تغيب به عن نفسك فضلاً عن إيثارك له ، لكمال شغلك به ولرؤية جلاله ؛ وهذا هو الفناء فى التوحيد .

[٣٧] . باب الخُـلق

201 [a] قال الله تعالى : ﴿ وإنك لعلى خُـلق عظيم . ﴾ الخُـلق ما يرجع إليه المتكلف من نعته ؛ واجتمعت كلمة الناطقين فى هذا العلم (على) أن التصوف هو الخُـلق . [b] وجماع الكلام فيه يدور على قطب واحد ، وهو بذل المعروف وكف الأذى ؛ وإنما يدرك إمكان ذلك فى ثلاثة أشياء : فى العلم ، والجود ، والصبر . [c] قلت : قوله رضى الله عنه الخُـلق ما يرجع إليه المتكلف من نعته كلام بالغ ، سديد فى وجهه ؛ فان الخُـلق إذا رجع حاصله إلى التخلى عن الصفات الذميمة والتحلى بالصفات الحميدة ، وكل عبد اشتغل بشىء من ذلك ، فلا *بد له من مجاهدة ، وإن قلت أو كثرت على حسب العون من الله سبحانه والتيسير لأسبابه ؛ فاذا حصله وتخلق به ، صار الخُـلق نعتاً للعبد أى وصفاً . [d] فشمل الشيخ فى حده جنس الخُـلق على الإطلاق من غير تفصيل للآحاد ، فقال : ما يرجع إليه المتكلف أى المجاهد من نعته أى وصفه فهو خلق . [e] وقوله وإنما يدرك إمكان ذلك فى ثلاثة أشياء ، أما العلم فبمعالى الأخلاق وسفسافها ، ليمكن التخلى والتحلى . [f] وأما الجود فيحتمل أمرين : أحدهما جود الحق سبحانه على عبده بعونه إياه ورفده ، والثانى جود طبعه ونفسه بما دعاها إليه العلم من التخلق . [g] والثالث الصبر على ما يلقاه من نفسه وغيره ؛ فانه ، متى لم يصبر وخاصم الخلق فى أكثر أوقاته ، قوى شره نفسه وساءت أخلاقه ، فصار دواؤه داءه ؛ ومتى وافق نفسه عند جزعها *fol. 60 b

201 : *a.* C LXVIII 4

من المؤلمات * وشهوتها فى المحبوبات * لم يتراق فى الدرجات * وقعد مع هواه فى أنزل الحالات .

202 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى أن تعرف مقام الخـلق ، أنهم بأقدارهم مربوطون * وفى طاقتهم محبوسون * وعلى الحكم موقوفون . [b] فتستفيد بهذه المعرفة بثلاثة أشياء : أمن الخـلق منك حتى الكلب ، ومحبة الخـلق إياك ، ونجاة الخلق بك . [c] قلت : وهذا صحيح ، فان العبد متى استقر عنده عجز الخـلق عن تدبير أنفسهم بهم ، *وأن مقادير الحق السابقة *fol. 61 a وأحكامه الأزلية هى الجارية عليهم فى دنياهم وأخراهم * اشتد عنده عذرهم ورحمهم * ولم يؤاخذهم إلا بما آخذهم به ربهم ومالكهم * ولولا مؤاخذة الحق لهم ومطالبته إياهم بنهيهم عما هم عليه لما كلمهم * فيأمر وينهى امتثالاً للأمر . [d] وكذلك يضرب ويقتل ، ويقرب ويهرب ، ويحب ويبغض ، ويرضى ويغضب ؛ كل ذلك لمولاه * لا لهواه . [e] وفى الخبر الصحيح : ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك محارم الله ، فينتقم لله لا لنفسه . [f] ومتى أوصل الله سبحانه أحداً من عبيده إلى هذه الحال ، فأين هو من أذية عباده ! فيأمنه كل شىء حتى الذر الذى لا يدرك ، ويحبه كل حى لأن الحق أحبه ووضع له المحبة والقبول فى السماء والأرض . [g] ومن هذه صفته فدعاؤه مستجاب لكونه من الأحباب لله ، فبه وبأمثاله نجاة الخـلق .

203 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية تحسين خُـلقك مع الحق ؛ وتحسينه منك أن تعلم أن كل ما يأتى منك يوجب عذراً * وكل ما يأتى من الحق يوجب شكراً * وألا ترى له من الوفاء بداً . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان صاحب هذه الدرجة قد ارتقى نظره ، بعد فراغه من تحسين خُـلقه مع الخـلق ،

203 : *e.* C xvi 55/53.

إلى التحسين لخُـلقه فيما بينه وبين ربه تعالى . [c] وقوله وتحسينه منك أن تعلم أن كل ما يأتى منك يوجب عذراً * وكل ما يأتى من الحق يوجب شكراً * ولا ترى له من الوفاء بداً صحيح . [d] وذلك أن من تحقق *عنده أن نفسه مائلة إلى الراحات * *fol. 61 b ممزوجة الطاعات بالآفات * وأنها نافرة عن أعمال البر لثقلها عليها * وقلة اعتيادها لها * بَعُـد عنده إخلاصه فى أعماله * وسلامته فيها من كبره وعجبه وريائه . [e] وتيقن أن كل طاعة يأتى بها * تستحق الاعتذار منها * لما يعرفه من نفسه وقلة أدبها مع مولاها * فى طاعتها فكيف بما سواها * وأن جميع ما يصح له من طاعاته ، فبرحمة مولاه * وعونه إياه * فهو يوجب شكراً للمنعم : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ . [f] وإذا وصل إلى هذا المقام ، لم ير شيئاً من أعماله وفاءً لفضل مولاه ، لحقارة أعماله فى عينه وكثرة بر مولاه وفضله .

204 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة التخلق بتصفية الخُـلق ، ثم الصعود عن تفرق التخلق ، ثم التخلق بمجاوزة الأخلاق . [b] قلت : وهو صحيح ، فان العبد يتخلق بالخُـلق وتبقى معه آثار من نفسه وعوائده ، ولا يقدح ذلك فى أصل خُـلقه وإن فوته كمالُـه ، فيتخلق العبد بتصفية خُـلقه عن تلك الآثار . [c] ثم يرتقى عن ذلك بخروجه عن رؤية تخلقه ، والتفرقة فى نظره لكونه متخلقاً ، حتى ينتهى إلى مجاوزة رؤية جميع الأخلاق ، شغلا منه بالحق سبحانه وجمعاً للهمة عليه .

[٣٨] . باب التواضع

205 [a] قال الله تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً . ﴾ التواضع أن يتضع العبد لصولة الحق . [b] قلت : قوله لصولة الحق أى لدعوته

204 : *a.* الخلق : التخلق .
205 : *a.* C xxv 64/63.

* وقهره ، والحق هاهنا * ضد الباطل . ' فيقبل الحق من كل قائل ، صغيراً كان أو كبيراً ، غنياً كان أو فقيراً ، عظيماً كان أو حقيراً ، فيكون تواضعه لما قال من الحق لا لغيره . * fol. 62 a

206 " قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى التواضع للدين ؛ وهو ألا يعارض بمعقول منقولاً ، ولا يتهم على الدين دليلا ، ولا يرى إلى الخلاف سبيلا . " ولا يصح ذلك له إلا بأن يعلم أن النجاة فى البصيرة والاستقامة بعد الثقة ، وأن البينة وراء الحجة . ' قلت : قوله ألا يعارض بمعقول منقولاً يعنى به منقولاً عن الرسول عليه السلام متواتراً ، فانه معلوم قطعاً ، ودليل العقل ، إذا صح كونه دليلا ، كان قاطعاً أيضاً . " فاذا وجد العاقل فى نفسه معارضة بين دليل العقل ودليل الشرع القاطع ، فليعلم أن القواطع يستحيل أن تتعارض على الشىء الواحد ، فانه يؤدى إلى أن يكون الشىء الواحد حقاً باطلاً . ' فحقه أن يقطع بصحة الشرع ويتهم عقله ، ويتواضع للشرع وينقاد له ، ويجوز الخطأ على عقله فى اعتقاده المعارضة إذ لا معارضة تحقيقاً ، ولا يتهم دليلاً قاطعاً شرعياً إذ هو عن المعصوم ونقله عدد التواتر المحصل للعلم ؛ وإذا كان كذلك لم يجد إلى الخلاف سبيلاً ' وهذا لا يتم له حتى يتحقق عنده أن النجاة فى حصول العلم بالبصيرة ، وإذا صحت له الثقة بالمعلوم استقام على العمل . " وقوله وأن البينة وراء الحجة يعنى (والله أعلم) أن البيان يكون بعد حصول الأدلة ، فان الحجة هى * الدليل والبينة هنا هى الشريعة : قال الله تعالى : ﴿ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ﴾ ، والحجة عليها المعجزة الدالة على صدق النبى صلى الله عليه وسلم . * fol. 62 b

206 : g. C xcviii 3/4.



207 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية أن ترضى بمن رضى الحق به لنفسه عبداً من المسلمين أخاً ، وأن لا ترد على عدوك حقاً ، وتقبل من المعتذر معاذيره . " قلت : وهذه الدرجة فى التواضع للحق أبلغ ، فان الأولى التواضع تحت قهر الدليل القاطع الشرعى جبراً وإلا فالنار ، وهذه الدرجة مندوب إليها من نعوت الأخيار والأبرار . ' وهو أن يكون عند نفسه كأحد المسلمين ، لا يرى لنفسه على أحد مزية ولا فضلاً ، فيتخذ كبيرهم أباً ، وصغيرهم ولداً ، وأوسطهم أخاً . " ويقبل الحق من كل قائل ، وإن كان له عدواً . ' ولا يكذب معتذراً ، وإن ظهر له من شمائله ضد ما اعتذر به ، فلا يُعرِض بوجهه عنه فى شىء من ذلك ، خوفاً من إخجاله بين الصالحين والأبرار ، بل يتكلف الصبر له ما استطاع .

208 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة أن تتضع للحق ، فتنزل عن رأيك وعوائدك فى الخدمة ، ورؤية حقك فى الصحبة ، وعن رسمك فى المشاهدة . " قلت : وهذه الدرجة أرفع من التى قبلها ، فان التى قبلها تواضع للحق مع الخلق وهذه تواضع مع الحق بالحق ، والحق هنا هو الله عز وجل . ' فينزل له عن آرائه وعوائده فى الطاعات ويتصرف بالأمر خاصةً ، وينزل عن * رؤية حقه فى الصحبة بل يرى الفضل لمن منّ عليه بأن أهله لخدمته وجعله *fol. 63 a من خاصته . " وينزل أيضاً عن رؤية رسمه فى مقام المشاهدة ، فلا يبقى معه إدراك لشىء من آثار نفسه ، لما تمكن فيه من مقام المشاهدة لربه .

[٣٩] . باب الفتوة

209 " قال الله تعالى : ﴿ إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدىً . ﴾ نكتة

209 : a. C xviii 12/13.

الفتوة أن لا تشهد لك فضلاً ، ولا ترى لك حقاً . " قلت : وإذا كان من بذل ما فى يديه فتىً ، ولا سيما إذا لم ير له بما فعل فضلاً ، فمن بذل نفسه ومهجته لربه أحق بالفتوة وأولى ، مع غفلته عن نفسه حتى لا ينسب إليها فعلاً ولا فضلاً ، لما غلب على قلبه من فضل المولى .

210 " قال الشيخ رحمه الله : وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى ترك الخصومة ، والتغافل عن الزلة ، ونسيان الأذية . " قلت : وهذا لا يتم إلا بالزهد المتمكن فى حظوظ النفس ، وإلا فلا مطمع فيه مع حب الدنيا . فان الزاهد بارد الفؤاد ، مفتوح العين لما يجريه الله بين العباد ، غير ملتفت لما نقص من جاهه فضلاً عن ماله ، شديد الرغبة فيما رغبه فيه مولاه من معالى الأخلاق وجزيل عطائه ؛ "لا يخاصم (أحداً) على مسبوق إليه محبوب ، ولا يؤاخذ أحداً بتقصير فى حقه لمعرفته أنه مقهور مغلوب ، ولا يذكر لأحد أذية قديمة فيؤاخذه بها فى وقت من الأوقات كما يفعله أهل الدنيا للحقد ومحبة المجازاة بذكر * العيوب ، بل ينسى أذيته له ويسأل ربه فى العفو عنه وأن يتوب . * fol. 63 b

211 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية أن تقرب من يقصيك ، وتكرم من يؤذيك ، وتعتذر إلى من جنى عليك ، سماحاً لا كظماً وبراحاً لا مصابرة . " قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان الأولى ترك الخصومة مع الخلق والانتصار للنفس والتغافل عن الزلات والتقصير فى حقها ، وهذه الدرجة إحسان لمن أساء إليك من الخلق وتقريب لمن أقصى واعتذار لمن جنى . ويكون ذلك بسماحة من النفس لا قهراً لها وكظماً ، وبانشراح منها لا بمقاواة ومصابرة ، وهذا بالغ جداً .

211 : a. جنى : marg. أصل يجنى .

212 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة ألا تتعلق فى المسير بدليل ، ولا تشوب إجابتك بعوض ، ولا تقف فى شهودك على رسم . " قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها ، فان ما قبلها فتوة مع الخلق وهذه فتوة مع النفس ؛ فيتفتى على نفسه باظهار النزاهة عن الأسباب ، ولا يتعلق دون الحق بحجاب ولا رسم ولا اكتساب . فان دله دليل عليه ، عرف منزلته لديه ، وشكره بذلك وأثنى عليه ، ولا يسكن بقلبه إليه . " فان دعاه داع من الحق لطاعته أجابه خالصاً من سائر الشوائب لكمال إقباله عليه ومحبته ، غير ملتفت لعوض كالأجراء الأحرار ، ولا يقف فى مقام مشاهدته على رسم فيرجع عن درجات المقربين إلى درجات * الأبرار . * fol. 64 a

213 " قال الشيخ رحمه الله : واعلم أن من أحوج عدوه إلى شفاعة ولم يخجل من المعذرة إليه ، لم يشم رائحة الفتوة . " ثم فى علم الخصوص من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال ، لم يحل له دعوى الفتوة أبداً . " قلت : وهذا الكلام الأول أوضح من الثانى ، فان من أحوج عدوه إلى شفاعة ، دل ذلك على سوء خلُقه وقلة عفوه وصفحه ؛ فان عدوه ، لو رجا منه العفو عنه لسؤاله إياه بنفسه ، لم يحتج إلى شفاعة غيره . " وإن لم يخجل من المعذرة إليه ، دل ذلك على رؤيته الحق لنفسه على المعتذر إليه والعظمة والحشمة وأنه أهل أن يُسأل . ولو استقل نفسه وعرف قدرها وأقدار الخلق عند الله ، أعنى المؤمنين ، لاستحيا وخجل وقت سؤالهم إياه وتضرعهم بين يديه على يسير من الدنيا وجملتُها لا تزن عند الله جناح بعوضه . وعلى الجملة فكل خير مع الزهد فى الدنيا ، وكل شر مع حبها وهواها . " وقوله رضى الله عنه : ثم فى علم الخصوص من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال ، لم يحل له دعوى الفتوة أبداً . قلت : يعنى (والله

أعلم) أن كل مستدل على مقصوده ، فهو بـَعـْدُ لم يحصل له تمكن فى معرفة حقيقة مقصوده ولا تنور قلبه بها ، لم يمكنه دعوى الفتوة أبداً حقيقةً . [b] فان حقيقة الفتوة بذل المهجة وعدم التعلق بالأدلة والأسباب ◦ والغيبة عن الفتوة شغلاً بمن منه * الخطاب وبه الجواب .

*fol. 64 b

[٤٠] . باب الانبساط

214 [a] قال الله عز وجل حاكياً عن كليمه صلى الله عليه وسلم : ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء . ﴾ [b] قلت : موضع الاستشهاد من الآية (والله أعلم) قوله تعالى ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾ فهذا موضع البسط ، فانه تعالى له أن يفعل ما يشاء ويهلك من يشاء بما شاء ﴿ لا يُسـأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ . [c] وقوله ﴿ إن هى إلا فتنتك ﴾ أى ابتلاؤك واختبارك فى خلقك ليظهر معلومك السابق فيهم من الهداية والإضلال ، لا ما يسبق إلى الأوهام من أن هذا القول ، إذا صدر من قائل ، يدل على ترك الاحترام ◦ وطرح الاحتشام ◦ كما يستعمله كثير من العوام . [d] قال الله تعالى : ﴿ الٓمٓ ◦ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ﴾ إلى قوله ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا . الآية ﴾ . [e] فموضع الانبساط قول موسى عليه السلام ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾ ثم أتبعه عليه السلام بالأدب والإقرار بأنها كلها أفعاله وهو الفاعل لما يشاء من الإضلال والهداية . [f] ثم قال : ﴿ أنت ولينا ﴾ أى حافظنا وناصرنا ومسلمنا وقت الامتحان والابتلاء ، وهذا ثناء على الحق سبحانه بانعامه وإفضاله .

214 : *a b.* C vii 154/155 — *b.* C xxi 23 — *d.* C xxix 1-2/2-3.

215 [a] قال الشيخ رحمه الله : الانبساط إرسال السجية والتحاشى من وحشة الحشمة ، * وهو السير مع الجبلة . [b] قلت : يعنى أن العبد المنبسط هو الجارى فى كلامه وتصرفاته على عادته من زوال الحشمة عن قلبه لمن يخاطبه ويحدثه ، وإن كان مجلاً له ومعظماً لقدره ، وإنما الذى يزول عن قلبه القبض الذى كان يمنعه من الكلام بجميع ما فى نفسه .

*fol. 65 a

216 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى الانبساط مع الخلق ، وهو أن لا تعتزلهم ضناً على نفسك أو شحاً على حظك ◦ وتسترسل لهم فى فضلك ◦ وتسعهم بخُـلـُقك ◦ وتدعهم يطؤونك ، والعلم قائم وشهودك المعنى دائم . [b] قلت : وهذه حقيقة الانبساط مع الخلق ، لا ما يعتقده من لا تحقيق عنده من أنه بسط الوجه والضحك والمباسطة فى الحديث والأكل خاصةً . [c] فقوله ألا تعتزلهم ضناً على نفسك أى بخلاً بها عليهم أو شحاً على حظك منهم ، وفيه إشارة إلى أنه يجوز أن يعتزلهم لغير هذا المعنى من قصده لتصفية حاله مع مولاه ◦ أو خوفاً من ضرر يدخل عليه من اجتماعه بهم أو لقياه . [d] فأما من قوى فى نفسه وتمكن فى حاله ، فبسطه معهم أبلغ فى شأنه ، فلا يبخل بنفسه عنهم ولا يؤثر حظه على حظهم ، فان ذلك زيادة فى تمكنه وهو خفيف عليه فى تحمله . [e] وكذلك استرساله معهم فى فضله سواء كان من حاله أو علمه أو طعامه على حسب مقامه ؛ ويسعهم بخُـلـُقه * فيحمل ما بدا من جاهلهم من سوء الطباع ◦ ويصبر على ما يلقاه من أذاهم رجاء الزيادة والانتفاع ◦ وإن وطؤوه مثلاً بالأقدام ◦ ففيه يجد كل المقصود والمرام ◦ إن كان من ذوى الأحلام والأفهام . [f] فلقد وجد إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه فيه وجداً بالغاً حتى أخبر أنه لم يُسر

*fol. 65 b

216 : *g.* C xii 39, xiii 17/16, xiv 49/48, xxxviii 65, xxxix 6/4, xl 16.

قط كسروره بثلاث ، وذكر مثل الرجل الذى كان يضحك الناس فى المركب بلحيته ويقول « هكذا كنا نفعل بالعلوج » ، وكذلك جر الآخر برجله والآخر بال عليه . ″ وإنما كان سروره رضى الله عنه بنقل الله سبحانه إياه عن رؤية الأفعال من الأغيار ◦ ودوام النظر لفعل ﴿ الواحد القهار ﴾ . ″ ثم قال الشيخ : والعلم قائم وشهودك المعنى دائم ، أى فتكون ، فى حال بسطك معهم ولين خلُقك لهم ، لا تعدى الحدود ◦ ولا تغفل عن المعبود .

217 ″ قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية الانبساط مع الحق ، وهو ألا يجنبك خوف ، ولا يحجبك رجاء ، ولا يحول بينك وبينه آدم وحواء . ″ قلت : وهذه الدرجة فى البسط أتم مما قبلها ، فان الأولى بسط لله ◦ وهذه بسط مع الله ◦ فالأولى سير وسلوك ◦ والثانية وجود ودروك . ′ وقوله ألا يجنبك خوف أى لا يجعلك جانباً منه خوف ؛ فقوله ولا يحجبك رجاء أى لا يحيد بك ولا يقطعك الخوف والرجاء . ″ وليس مراده أنك لا تخاف ولا ترجو ، فانه لا يفارق قلباً إلا
تلف ، ولكن الكمال * فى وجودهما فى القلب كاملين متساويين فى أعلى درجاتهما * fol. 66 a
وهى الهيبة والتعظيم والمحبة . ′ وكل صاحب درجة عالية خائف من مكره وراج لدوام إحسانه إليه وفضله ، ولكن لا يقطعه خوفه عن الانبساط مع الله سبحانه لما يجده من المحبة والإقبال ، ولا يوقفه رجاؤه على شىء من الأغيار ◦ لكمال الهيبة والحياء من شهود المنعم الجبار . ′ ولا يحول بينه وبين الحق آدم وحواء إشارة إلى جميع بنى آدم ونفسك منهم ، فاياك أن تشغلك وتحول بينك وبينه باستحسان أحوالها وما هى فيه من مقامها ، فانها مائلة لكل لذيذ نافرة بطبعها عن كل كريه .

218 ″ قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة الانبساط فى الانطواء عن

218 : *b.* C xxxiv 25/26.

الانبساط وهو رحب الهمة لانطواء بسط العبد فى بسط الحق جل جلاله . ″ قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فانها بسط همة متعلقة ببسط مولاها ◦ معرضة عن بسطها مع الحق لما غلب عليها من سعة فضله إليها ◦ سائرة فى رحب فضله وسعة جوده ، مشغولة به عنها ◦ لا إله إلا هو ﴿ الفتاح العليم ﴾ .

[٧ - قسم الأصول]

219 "وأما قسم الأصول فهو عشرة أبواب ، وهى : القصد ، والعزم ، والإرادة ، والأدب ، واليقين ، والأنس ، والذكر ، والفقر ، والغنى ، ومقام المراد .

"* قلت : وهذه الأصول التى ذكرها الشيخ رحمه الله إنما كانت على حسب مقامات السالكين ؛ فكما أنهم اختلفوا فى الدخول من الأبواب وتفاوتوا فى الأخلاق والمعاملات ، فهم متفاوتون أيضاً فى الأصول . " فلكل عبد أصل ينبنى عليه سلوكه بالنسبة لمقامه مع الله وحاله : فأين من يكون أصله صحة القصد ممن أصله تحقيق اليقين ممن أصله تجريد الأنس ، ممن ‹ أصله › تمحيض الفقر إليه ممن ‹ أصله › ضياء الاستغناء به ؟ " فلكل عبد منهم شرعة ومنهاج فتيقظن ؛ أسعدك الله لهذا التنبيه ، تجد نفعه فيما يلقى إليك فى هذه الأصول . *fol. 66 b

[٤١] . باب القصد

220 "قال الله تعالى : ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله . ﴾ القصد الإزماع على التجريد للطاعة .

" قلت : الإزماع جمع الهمة على الشىء .

221 "قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى قصد يبعث على الارتياض ، ويخلص من التردد ، ويدعو إلى مجانبة الأغراض .

219 : *d.* v. C v 52/48.
220 : *a.* C IV 101/100; الإرماع : marg. الإزعام; التجريد : marg. أصل التجرد .

" قلت : وهذا القصد أصل فى سلوك المبتدىء ، فانه إذا صح قصده فى الخير واجتمع همه فيه ، زال تردده ، وسكنت نفسه وارتاضت من خوف الإقدام عليه وأعرضت عما كانت *متعلقة به من الأغراض الدنيوية المشغلة . *fol. 67 *a*

222 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية قصد لا يلتقى سبباً إلا قطعه ◦ ولا يدع حائلاً إلا منعه ◦ ولا تحاملاً إلا سهله . " قلت : وهذا القصد أتم وأقوى مما قبله وهو قصد السالك ، فانه لقوة قصده وجده ◦ وجمع همه فى حصول مراده ◦ إن عارضه سبب شغل قطعه ◦ وإن حال دونه ودون مطلوبه حائل صده عن ذلك ومنعه . " ولا يبقى عنده مع صحة هذا القصد من نفسه تحامل على الأعمال وتكلف لها ، بل خفف قصده عليه كل عمل وسهله .

223 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة قصد استسلام لتهذيب العلم ، وقصد إجابة لوطىء الحكم ، وقصد اقتحام فى بحر الفناء . " قلت : قد جمع الشيخ وفقه الله فى هذه الدرجة ثلاث درجات من القصود بعضها أتم من بعض . " فالأول قصد استسلام لتهذيب العلم ، وهو قصد المريد المتخلى من الأوصاف الذميمة والمتحلى بالأوصاف الحميدة ، ولا يكون ذلك إلا بالاستسلام إلى الشرع والتصرف بمقتضى الأمر والنهى ، فحينئذ يتهذب إما بنفسه أو بشيخ متصف بذلك ، عالم بأحكام الله فى القلوب والجوارح . " وأما قصد الإجابة لوطىء الحكم فهو أتم مما ذكرناه لأنه عليه يترتب إذ لا بد من زوال اختياراته ، ويكون *التصرف بأمر ربه فى جميع ما يطرقه ويجرى على ظاهره وقلبه وعلى غيره ، فيجيب لما يحل به من غير كراهية إلا إذا أمره الحق بكراهيته والبُعد منه ، ويذعن وينقاد لذلك وإن خالف هواه ، وهذا معنى وطىء الحكم أى جريانه على خلاف هوى النفس . " وأما قصد اقتحام بحر الفناء فهو القصد إلى جمع الهم على الله خاصةً ، مع *fol. 67 *b*

كمال الذكر بالتعظيم ، وقطع كل شاغل يشغل عنه حتى يفنى العبد عن ذكر غير الله ، حتى عن ذكر نفسه ، اشتغالاً بالمذكور عن الذكر.

[٤٢]. باب العزم

224 " قال الله تعالى : ﴿ فاذا عزمت فتوكل على الله . ﴾ العزم تحقيق القصد طوعاً أو كرهاً . " قلت : قوله تحقيق القصد طوعاً أو كرهاً يعنى من النفس طوعاً بصحة العزم منها فى الخير ، أو حملاً لها وإكراهاً على تحقيق قصدها وإتمامه بالفعل بالقلب وهو عزمه عليه .

225 " قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى بناء الحال على العلم لشيم برق الكشف ، واستدامة نور الأنس ، والإجابة لإماتة الهوى . " قلت : وهذه الدرجة من العزم بناء الأحوال على العلوم الشرعية وإعراض
*fol. 68 a النفس عن الأمور العادية ، فيمتحن المحققون * ما يلوح لقلوبهم من برق الكشف عليها وهو أصح البناء وأوثقه . " فان المحقق يصحح ما يطرق قلبه من الأحوال بما تيقنه من العلم ، ويبادر لقطع الشواغل عن تحقيق حاله والمواقع ، وهو الإجابة لإماتة الهوى . " وبذلك يستديم نور الأنس إما بالحال أو بمحوله ، وحينئذ تسرع نفسه لإجابة داعى التنبيه لإماتة الهوى من غير كلفة .

226 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية الاستغراق فى لوائح المشاهدة ، واستنارة ضياء الطريق ، واستجماع قوى الاستقامة . " قلت : وهذه الدرجة أمكن مما قبلها ، فان المشاهدة للشىء أتم من الكشف له ، فان الكشف أوائل المشاهدة فانه قد يكشف له ويستتر عنه عقيب الكشف ، والمشاهدة من العبد دوام نظره

224 : a. C III 153/159.

إلى الحق سبحانه بنور اليقين . " واللوائح أثبت من البروق ، والدرجة الأولى قوة عزم لشيم برق الكشف وهذا عزم للاستغراق فى لوائح المشاهدة ، أى أوائلها وما يلوح للقلب من الكمال والجلال . " فاذا استنار القلب بضياء طريق السلوك ∘ فيسلم بذلك عن الميل إلى مقتضى الهوى والدلوك ∘ وتستجمع قوى نفسه وكمالُ همته ∘ فى حفظ وقته وطلب استقامته .

227 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة معرفة علة العزم ∘ ثم العزم
على التخلص من العزم ∘ ثم الخلاص من تكاليف * ترك العزم ∘ فان العزائم *fol. 68 b
لم تورث أربابها ميراثاً أكرم من وقوفهم على علل العزائم . " قلت : وهذه الدرجة فى العزم أبلغ من حيث كمال المعزوم عليه ، وهو تعلق العزم بالبحث عن آفات كونه عازماً وهل فيه وجه يقتضى نقصاً أو ضعفاً . " فاذا عرف أن رؤيته لقوة عزمه ضعف فى كمال شغله بربه ، أعرض عن رؤية العزم ، وهو تخلصه منه . " ولا يتخلص منه إلا بمجاهدة وتكلف لسبق النفس إلى استحسان ما يكون منها من الأعمال ؛ وإذا قوى وارتفعت همته ، أعرض عن رؤية عزمه بسهولة ، وهو خلاصه من تكاليف ترك العزم . " وقوله : فان العزائم لم تورث أصحابها ميراثاً أكرم من وقوفهم على علل العزائم كلام بالغ فيه ، وهو مطرد فى سائر المقامات والأحوال ؛ فان من صح قصده فى تحصيل مقام وعزم على التخلق به والتمكن فيه ، فأكمل أحواله تبريه مع أتم تمكنه فيه من نفسه وإضافته إلى فضل ربه .

[٤٣]. باب الإرادة

228 " قال الله تعالى : ﴿ قل كل يعمل على شاكلته . ﴾ الإرادة من

228 : a. C XVII 86/84; الشأن : marg. العلم .

قوانين هذا الشأن وجوامع أبنيته ، وهى إجابة لدواعى الحقيقة طوعاً . [b] قلت : * ووجه الإشارة بالآية إلى معنى الإرادة أن من استكملت معارفه لمولاه بما عرفه * به من تصرفاته ❊ فيه وفى غيره من مخلوقاته ❊ وتحسس لما يطرق قلبه من الخواطر الداعية إلى العزوم والأفعال ❊ ووزنها بالشريعة فى أسرع وقت وأتم إقبال ❊ ووضح له حكمها من غير غفلة ولا إخلال ❊ وأجاب داعى الحق منها مبادراً من غير كسل ولا اعتلال ❊ فهو المعبر عنه بالمريد عند أهل هذا الشأن . [c] ولما كانت الإرادة مبدأ سائر الأعمال ❊ وكان ما وصفناه من الحال أول سلوك طريق العمال لله إلى بلوغ المقامات وسنى الأحوال ❊ سموه إرادة وسموا المتصف به مريداً ، بل قالوا : « المريد من لا إرادةَ له . » [d] ولما كان تصرف من ذكرناه بأمر مولاه لا بهواه ❊ خرج عن كونه مريداً لنفسه وهواه فيما يتعاطاه ❊ ولو لا دواعى الحق المشهود لصحتها بالشريعة ، لما تحرك لمحض إرادته . *fol. 69 a

229 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى ذهاب عن العادات بصحبة العلم ، وتعلق بأنفاس السالكين مع صدق القصد ، وخلع كل شاغل من الإخوان ومشتت من الأوطان . [b] قلت : وهذه الدرجة أول ما يجيب إليه المريد من دواعى الحق ، وهى الدواعى إلى قطع عوائده الدنيوية مع ملازمته للعلم والرفق بالنفس . [c] فلا ينقلها عنها دفعةً فتنفر وتشرد ❊ ولا يتركها على ما كانت عليه فتبرد وتخمد ❊ ولا يروضها فى نقلها عن عوائدها بغير * الوجوه الجائزة شرعاً فيفوتها خير الدارين وتفسد ❊ [d] ويستعين على ذلك بتعلقه بأنفاس السالكين مع صدق قصده ، فان وجدهم وإلا فبأخبارهم من الكتب ، حتى ينقله الله سبحانه عن حاله ويقربه منهم فيسعد ❊ فانهم يُعرفون بالأنفاس والقرائن والنور الساطع ❊ فى قلب العبد المطيع السامع . [e] ولا يتم له ذلك إلا بقطع كل مشغل *fol. 69 b

عن مقصوده من الإخوان ❊ وكل مشتت لحاله من الأوطان ❊ ويعنى بالأوطان موضع إقامة المريد فى حاله ❊ وما تمكن فيه من مقامه ❊ فكل سبب يشوشه أو يشتت همه ❊ قطعه عنه وأبعده .

230 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية تقطع بصحبة الحال ، وترويح الأنس ، والسير بين القبض والبسط . [b] قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها ، فان ما قبلها إجابة لداعى الخروج عن العوائد المشغلات ، وهذه إجابة لداعى الأحوال وتحمل ما يبدو منها فى القلوب والأبدان من الآلام بترقب الزيادات ، وترويح القلوب بمواهب علام الغيوب ، عند ذلك تتنسم نسيم الأنس به . [c] وحينئذ يبقى العبد بين قبض مولاه له عند ورود الحال ❊ وبسطه عليه بروح الأنس بـ ﴿ الكبير المتعال ﴾ .

231 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة ذهول مع صحبة الاستقامة ، وملازمة الرعاية على تهذيب الأدب . * [b] قلت : وهذه الدرجة من الإرادة أتم مما قبلها ، فان الأولى وقوف مع الحال وتحمل لما يبدو من الأثقال لتنسم نسيم الأنس وهى تفرقة ، وما نحن فيه ذهول عن الأحوال شغلاً بالحق سبحانه ، وذلك مع انسلاك العبد فى حركاته وسكناته فى سلك الاستقامة وملازمة الرعاية على تهذيب الأدب . [c] وذلك أن الدرجتين الأوليين قد تأدّب بهما هذا المريد ، فتخلصت نفسه من العادات وتحلت بأفضل الصفات . [d] فاذا وصلت فى هذه الدرجة إلى الشغل بالله عن نفسها ، أجرى عليها مولاها ما تخلقت به له ولوجهه . [e] وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ فهم فى *fol. 70 a

230 : *b.* بترقب : برقب ; تتنسم نسيم : تتشيم شيم — *c.* G XIII 10/9.
231 : *c.* G XVI 128.

الدرجة الأولى متقون ، وفى الثانية محسنون ؛ ومن كان الله سبحانه معه ، فهو المحفوظ من الزلل والخلل * الملحوظ بالكشف وحصول الأمل . ᶠلا أخلانى الله وإياكم من فضله * وكفانى وإياكم شدة إقامة عدله بمنه وكرمه .

[٤٤] . باب الأدب

232 ᵃقال الله تعالى : ﴿ والحافظون لحدود الله . ﴾ ᵇقلت : وحدود الله سبحانه متعلق أوامره ونواهيه ، وهى واجبة ومندوبة ومحظورة ومكروهة ، والأدب ملازمة المندوبات * وإن تعالت فى الدرجات * والبُعد عن المكروهات * وإن بعُدت عن الشبه بالمحرمات .

*fol. 70 b 233 ᵃقال الشيخ رحمه الله : *الأدب حفظ الحد بين الغلو والجفاء لمعرفة ضرر العدوان . ᵇقلت : وهذا الحد فى الأدب حد بالغ ، فان قوله : حفظ الحد بين الغلو والجفاء فهذا هو الاعتدال فى الأدب ؛ فان من غلا فقد تعدى ويخاف عليه لأجل تعديه الحد الابتداعُ * وإن جفا فقد قصر وهو فى عين البُعد عن الانتفاع * واستواؤه هو حفظ الحد شرعاً فى الأدب . ᶜوكيف يتأدب معه من لم يتأدب بأدبه الذى أدب به حبيبه ورسوله إلى كافة خلقه صلى الله عليه وسلم ؛ ᵈويستعين على ملازمة الأدب بمعرفته بضرر الجريان على مقتضى العادات .

234 ᵃقال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى منع الخوف أن يتعدى إلى الإياس ، وحبس الرجاء أن يخرج إلى الأمن ، وحفظ السرور أن يضاهى الجرأة . ᵇقلت : وهذا الأدب واجب فى هذه الدرجة ،

232 : *a*. C IX 113/112.

وذلك أن ما لا خلاص من الحرام إلا به ، وهو فعل مكتسب للعبد ، فهو واجب . ᶜوالإياس من رحمة الله والأمن من مكر الله والجرأة على الله تعالى حرام ، إلا من أمنه الله تعالى بخبر صادق قص من نبى أو رسول . ᵈوبالرجاء يتخلص العبد من الوقوع فى الإياس من رحمة الله ، وبالخوف يتخلص العبد من الوقوع فى الأمن من مكر الله ، وبمعرفة قدر النفس وعظمة الحق يتخلص العبد من الجرأة على الله تعالى .

235 ᵃقال الشيخ رحمه الله تعالى : والدرجة * الثانية الخروج من الخوف *fol. 71 a إلى ميدان القبض ، والصعود عن الرجاء إلى ميدان البسط ، والترقى عن السرور إلى ميدان المشاهدة . ᵇقلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها فى الأحوال دونها ؛ فان حال القبض بملازمة الأدب أكبر من حال الخوف ، إذ لا يُخشى على المتخلق به الخروج إلى الإياس من روح الله وإن تعالت فيه درجته . ᶜوكذلك البسط أمكن من الرجاء ، فانه وجود والرجاء ظن وأمل . ᵈوكذلك الشهود أتم من السرور ، فان الشهود مكاشفة ومحاضرة * والسرور يكون بالوعد ومبادى لذة القرب والمسامرة .

236 ᵃقال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة معرفة الأدب ، ثم الفناء عن التأدب بتأديب الحق ، ثم الخلاص من شهود أعباء الأدب . ᵇقلت : وهذه الدرجة فى الأدب أبلغ مما قبلها ، فان ما قبلها بقاء مع الأحوال ورؤية الأدب من نفسه وكسبه وهذا ، وإن كان صحيحاً مكتسباً للعبد جارياً عليه * فهو خلق لربه تعالى وفضل منه لديه . ᶜفغلب على قلب هذا الموفق النظر لفضل ربه * حتى غفل عن كسبه * وهو المراد بفنائه عن التأدب أى عن رؤيته ، لا أنه خالٍ عن الأدب بل هو فى أفضله وأكمله . ᵈثم هو فى هذا المقام قد يبقى عليه

تكلف فى الإعراض عن الأدب ، وإن رآه فضلاً من ربه * وعوناً له عليه لاختصاصه به * فاذا ترقى فى حاله سقط عنه شهود أعباء ذلك فى الأدب ، * فيكون جارياً عليه من الحق بلا كلفة لكمال إعراضه . [c] وهذا (والله أعلم) معنى قول سيد هذه الطائفة الجنيد رضى الله عنه : « إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب » أى تكلفه وتعاطيه ، فيكون جارياً على العبد بسهولة لكمال محبته وسرعة مبادرته . * fol. 71 b

[٤٥] . باب اليقين

237 [a] قال الله تعالى : ﴿ وفى الأرض آيات للموقنين . ﴾ [a] قلت : فوجه التنبيه بالآية أن أصحاب اليقين هم أهل الآيات وخوارق العادات .

238 [a] قال الشيخ رحمه الله : اليقين مركب الآخذ فى هذا الطريق ، وهو غاية درجات العامة وأول خطوة الخاصة . [a] قلت : ويعنى بالآخذ السالك لتحصيل مقام الجمع .

239 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى ﴿ علم اليقين ﴾ وهو قبول ما ظهر من الحق * وقبول ما غاب للحق * والوقوف على ما قام بالحق . [a] قلت : وهذه الدرجة من اليقين أول الدرجات ، وهو التصديق للأنبياء صلوات الله عليهم ، فيقبل العبد لقوة يقينه ما أظهره الحق على أيديهم من الأعلام * وبيّنه من الأحكام * الحلال والحرام * وغير ذلك مما يطول فيه الكلام . [c] وكذلك يقبل ما غاب عنه مما أخبروا به مما سيكون أوكان فى الدنيا

237 : *a.* C LI 20.
239 : *a.* C CII 5 — *c.* C XXXV 39/41.

والآخرة * للحق يعنى المعجزة الدالة على صدقهم قطعاً . [d] وأما قوله والوقوف على ما قام بالحق فيرجع (والله أعلم) إلى يقينه بأن العالم بأسره ، ملكه وآدميه وجنه وسماءه وأرضه وجنته وناره وكرسيه وعرشه ، وجميع ما جواه من تفاصيل مخلوقاته * وبديع مصنوعاته * قائم بالحق سبحانه بقدرته وخلقه وإمداده وعونه وتيسيره . [e] ولهذا كان الحى القيوم ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده . الآية ﴾ . *fol. 72 a

240 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية ﴿ عين اليقين ﴾ وهو الغناء بالاستدراك عن الاستدلال ، وعن الخبر بالعيان ، وخرق الشهود حجاب العلم . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها من اليقين المتلقى من الأنبياء صلوات الله عليهم ، مما يتعلق بالحق سبحانه وصفاته وآثار قدرته وحكمته ، قد يناله العبد مباشرةً وسماعاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد يحصل له بالخبر المتواتر عنه ، وقد يصل إليه بطريق النظر والاستدلال بالعقل . [c] وإذا تمكن العبد فى معرفة الحق سبحانه وتحقق ذلك فى قلبه ، استغنى به عن ذكر الاستدلال بالأدلة العقلية والأخبار المتواترة بحصول الكشف والوضوح عنده . [d] فانه إنما يحتاج إلى السبب والاستدلال الغافل عن المسبب المطلوب * فاذا كان المطلوب حاصلاً فى * القلوب * استغنى عن الأسباب الموصلة إليه وهو الاستدلال بالعقل أو النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم . [e] فهذا معنى قوله استغنى عن الخبر بالعيان يعنى أنه صار المعلوم مذكوراً حيال عين القلب ، فلا حاجة إلى الأخبار عنه . [f] وقوله : وخرق الشهود حجاب العلم أى أنه يترقى فى دوام المشاهدة للحق حتى لا يذكر علم نفسه به لكمال الاشتغال . [g] وسمى العلم حجاباً بهذا الاعتبار ، أى أن العبد ، إذا بقى واقفاً مع *fol. 72 b

240 : *a.* C CII 7.

ذكره لكونه عالماً ، حجبه ذلك عما فوقه من الشغل بمعلومه ومشاهدة مجريه عليه ومنشئه له ، ومعنى خرقه له ذهابه عن ذكره .

241 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة ﴿ حق اليقين ﴾ وهو إسفار صبح الكشف ، ثم الخلاص من كلفة اليقين ، ثم الفناء فى ﴿ حق اليقين ﴾ .
" قلت : والفرق بين حق اليقين وعين اليقين أن كل حق له حقيقة ، والحقيقة كما تقدم فى سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحارثة وجوابه إياه بالحال من قوله : ﴿ وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً . الحديث . ﴾ ' فعين اليقين إشارة إلى المشاهدة وحق اليقين إشارة إلى الاستغراق فى حق الحقيقة . " ولذلك قال هو إسفار صبح الكشف يعنى كمال استنارة القلب بالكشف التام ولتوالى الأنوار عليه حتى يصير فى صفائه كاملاً ، وقلبه مستغرقاً فى صفات الحق ، وعمن سواه معرضاً غافلاً ، وهو فناؤه فى ﴿ حق اليقين ﴾ .

[٤٦] . * باب الأنس * fol. 73 a

242 " قال الله تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى . ﴾ الأنس عبارة عن رَوح القرب . " قلت : يعنى نعيم القرب وراحته .

243 " قال الشيخ : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى الأنس بالشواهد ؛ وهو استحلاء الذكر ، والتغذى بالسماع ، والوقوف على الإشارات .
" قلت : وهذه الدرجة من الأنس من أوائل مقامات المستأنسين بالحق ، إذ فيهم بقايا يتنعمون بها . ' فيستحلون ذكرهم لمولاهم ، وتقوى قلوبهم بسماع ما يطرق

241 : a d. C LVI 95, LXIX 51.
242 : a. C II 182/186.

أسماعهم من جميل نجواهم ، وتعيش أرواحهم بما تدركه من إشارات الحق لها فى أنفسها وغيرها مما يدل على إكرامه إياهم .

244 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية الأنس بنور الكشف ، وهو أنس شاخص" عن الأنس الأول ، تشوبه صولة الهيمان ، ويضربه موج الفناء ؛ وهذا الذى غلب قوماً على عقولهم وسلب قوماً طاقة الاصطبار وحل عنهم قيود العلم .
" وفى هذا ورد الخبر بهذا الدعاء : ﴿ أسألك شوقاً إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة . ﴾ ' قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها ، فان ما قبلها أنس بأوائل الأحوال ، وهذه أنس بالتمكن فى مقامات الرجال ، وشغل عن التلذذ بالوجد لما قهر العقل وغلب القوة من طوارق الإقبال ، * وأنوار الاتصال بلا اتصال ، * fol. 73 b
فقد ارتفعت همته عن التنعم بالأحوال ، لتشوفه لمقام الجمع وكمال الإقبال ، حتى استولى عليه الهيمان ، وضربته أمواج الفناء يعنى طوارقه وبوادره . " وقوله وحل عنهم قيود العلم يعنى أن العبد ، إذا وصل إلى هذا الحد ، خفت عليه الأعمال ، وقوى نشاطه فى السلوك وطلب الجمع والإقبال ، بخلاف العالم بهذه المقامات خاصة" غير المتخلق بها ، فانه محبوس بعد علمه بقيود نفسه ومحبة راحته وقلة شوقه . ' ويحتمل وجهاً آخر وهو أن الأحوال قهرت عقولهم وضعفوا عن حملها ، فيخشى عليهم أن يهملوا قوانين الشريعة وآدابها فيخالفوا العلم ، وهذه فتنة عظيمة فى محل الغنيمة . " ولهذا المعنى استشهد بالخبر الذى أورده ﴿ أسألك شوقاً إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ﴾ ، وذلك لخوف الضرر من غلبة الحال أو لخفة الأمر عليه فى السلوك ، ووجود الحوامل له من غير فتور ولا دلوك .

245 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة أنس اضمحلال فى شهود

244 : c. عن : من — f. دلوك : marg. add. الحضرة .

الحضرة صرفاً ، لا يعبر عن عينه ◦ ولا يشار إلى حده ◦ ولا يوقف على كنهه .
[b] قلت : وهذه الدرجة فى الأنس أبلغ مما قبلها ، فان ما قبلها فيه للعبد بقايا لمقاواة الأحوال والتنعم بالواردات ، وهنا فناء عن رسمه ◦ واضمحلال عن شهوده وإدراكه ◦ فصاحب هذا الأنس مأخوذ * عن أنسه فضلاً عن غيره . * fol. 74 a

[٤٧]. باب الذكر

246 [a] قال الله عز وجل : ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ يعنى إذا نسيت غيره ونسيت نفسك فى ذكرك ، ثم نسيت ذكرك فى ذكرك ، ثم نسيت فى ذكر الحق إياك كل ذكر. والذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان . [b] قلت : الذكر مقدور للعبد ومكتسب ويمكن العبد الموفق تحصيله بالفكر، فمعنى الآية تكلف الذكر إذا جرى على العبد نسيان أو غفلة . [c] وما ذكره الشيخ فى قوله إذا نسيت يعنى إذا نسيت غيره من باب التنبيه على تفاوت درجات الذاكرين ، لا بمعنى التفسير. [d] فان الآية نزلت أمراً للرسول صلى الله عليه وسلم وتعليماً له وتكريماً لما سئل عن ذى القرنين وغيره ، فقال عليه السلام ﴿غداً﴾ فأخر الله تعالى عنه الوحى ثم أنزل عليه أنه الاستثناء ثم قال : ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ . [e] قال الطبرى : استثن فى يمينك إذا ذكرت ولو بعد مدة . ه

247 [a] قال الشيخ رحمه الله : الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان .
[b] قلت : وهذا صحيح ، فان الذكر بالحقيقة محله القلب واللسان ترجمان عنه ، والغفلة والنسيان يضادان ذكر القلب ، فاذا ذكر العبد الحق ذهب عنه * الأضداد من الغفلة وغيرها ؛ ولكنه عبر عن الذكر بزوال ضده ولم يذكر حقيقته ، وأيضاً * fol. 74 b

246 : a. C xviii 23/24 — d. C xviii 23.

فان العلم والاعتقاد الصحيح والظن والشك والجهل أضداد الغفلة والنسيان . [c] فحقيقة الذكر نطق القلب بالمذكور، واللسان ترجمان عن كلام النفس على مذهب أهل الحق فى إثبات كلام النفس .

248 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى الذكر الظاهر من ثناء أو دعاء أو رغباء . [b] قلت : وإنما كان ظاهراً من وجهين : أحدهما أنه بظاهر البدن ، والثانى أنه يعرف كونه ذكراً أكثر الناس وما عداه من أنواع الذكر قد يخفى على كثير منهم كما سيأتى . [c] والثناء على الله سبحانه يكون بذكر صفاته الكاملة ونعوته الجميلة ويكون بذكر إفضاله وإنعامه على عبده ، والسؤال يكون بالقلب واللسان ، والرغباء يكون بالحال والمقال .

249 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية الذكر الخفى وهو الخلاص من الفتور ، والبقاء مع الشهود ، ولزوم المسامرة . [b] قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها ، فان ما قبلها ذكر لسان وبهذا يتوالى ذكر القلب حتى ينور ويقوى ، ويصير مشاهداً للحق بنور اليقين ، ويذهب عنه الكسل والفتور. [c] ويلزم القلب المسامرة وهى مخاطبة الحق له فى قلبه إما بالفهم عنه لما يتلوه أو يذكره * أو يخلق له خواطر صادقة يطلعه بها على الأسرار والأخبار المتعلقة بغير الأحكام من الحلال والحرام ، فان ذلك مختص بالأنبياء عليهم السلام دون غيرهم . * fol. 75 a

250 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة الذكر الحقيقى وهو شهود ذكر الحق إياك ، والتخلص من شهود ذكرك ، ومعرفة افتراء الذاكر فى بقائه مع ذكره . [b] قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها ، وإنما كان ذكراً حقيقياً من حيث أضيف إلى الذاكر تحقيقاً وهو الحق سبحانه ، إذ هو صفته القديمة ومن عداه من الذاكرين محال لما يخلق الحق فيهم من الذكر إذ لا خلق لهم فيه قطعاً . [c] فمن شهد ذكر الحق

له قبل ذكره إياه وأنه الذى خصه بذكره له وخلقه فيه ، وتوالى ذلك على قلبه حتى أنساه ذكر نفسه ، فقد تخلص من شهود ذكره . [d] وإذا تحقق عنده أن كمال الذكر غيبة الذاكر عن ذكر نفسه ، تيقن افتراءه فى ذكره أى كذبه وقلة صدقه فى دعوى ذكره بنفسه .

[٤٨] . باب الفقر

251 [a] قال الله عز وجل : ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله .﴾ الفقر اسم للبراءة من رؤية الملكة . [b] قلت : وهذا الحد بالغ فى الفقر فان الفقير من يتبرأ من الملك ؛ لكن البراءة من الملك قد تكون اختياراً وطوعاً وقد تكون جبراً وكرهاً ، والفقر المحمود * ها هنا هو الذى يكون اختياراً . [c] فيتبرأ العبد من ملك شىء دون الحق عيناً وغرضاً ، عملاً أو حالاً أو مقاماً ؛ وبمقدار تبريه وخلاصه من الأملاك يتمكن فى فقره ٭ وبمقدار تمكنه فى فقره يكون استغناؤه بربه . * fol. 75 b

252 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى فقر الزهاد ، وهو نفض اليدين من الدنيا قبضاً أو طلباً ٭ وإسكات اللسان عنها ذماً أو مدحاً ٭ والسلامة منها طلباً أو تركاً ٭ وهذا هو الفقر الذى تكلموا فى شرفه . [b] قلت : وهذه أول درجة من الفقر ، وهى الفقر من الدنيا . [c] فيبرىء منها الزاهد سائر أعضائه ، فلا يمسكها فى يده حباً لها ٭ ولا يسعى فى تحصيلها لغير الحق الشرعى طلباً ٭ ولا يشغل لسانه بها ذماً لها ٭ فضلاً عن مدحه إياها ٭ فان الزاهد بعيد من مدحها ٭ [d] وكذلك يسلم منها دينه فى حالتى طلبه لها لله أو تركه إياها ٭ فان أخذها لأمره فلا يتعدى الحدود ٭ ولا يتشوف لمفقود ٭ وإن تركها

251 : a. C xxxv 16/15.

لله تعالى لم يخل بواجب ولا مندوب ٭ هو فى نظر الشرع أولى بالإمساك له من الإخراج المطلوب . [e] وقوله : وهذا الفقر الذى تكلموا فى شرفه . قلت : وفضلوه على كسب المال من وجهه والتصدق به ، وقد قال سمنون من أصحابنا : ترك الدنيا زهداً فيها أفضل * من كسبها والتصدق بها . هـ * fol. 76 a

253 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية الرجوع إلى السبق بمطالعة الفضل ، وهو يورث الخلاص من رؤية الأعمال ٭ ويقطع شهود الأحوال ٭ ويمحص من أدناس مطالعة المقامات . [b] قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها ، فان ما قبلها براءة من أسباب الدنيا وهذه براءة من أسباب الأخرى . [c] ولست أعنى بالبراءة ترك الأعمال ٭ وعدم منازلة الأحوال ٭ والتمكن فى مقامات القرب من فضل ﴿الكبير المتعال﴾ ٭ بل نقول : جميع ذلك جار عليهم وهم عنه مشغولون ٭ وإلى ما سبق لهم عند الحق ناظرون ٭ ولما خصهم به فى أزله من نعمه التى أجراها عليهم فى أبده شاكرون . [d] فبهذا النظر القويم يتخلصون من إضافة أعمالهم لأنفسهم أو يستحسنون منها حالاً أو يسكنون بهممهم إلى غير البر الكريم ، وبه أيضاً تعلو رتبهم حتى يتمحصون أى يتنظفون من أدناس مطالعة المقامات . [e] وإنما سمى الشيخ النظر إلى المقامات فى هذا الموطن أدناساً لعلو المقام ورفعة المحل الذى بلغوه ، فلا يحتمل لكماله أن يكون فيه التفات لغير ولا رؤية لسوى الحق سبحانه . [f] فأصحاب المقامات هم المتمكنون ، ولا يليق بالوزير الغفلة عن الملك طرفة عين ما دام فى الحضرة ، والمتمكن هو الدائم الحضور . [g] لا أماتنى الله وإياكم حتى يوصلنا إلى هذه الخيرات ٭ ويتفضل علينا بها على أحسن الحالات ٭ بمنه وكرمه .

253 : c. C xiii 10/9.

254 *[a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة صحة الاضطرار والوقوع في يد التقطع الوحداني والاحتباس في قيد التجريد ، وهذا فقر الصوفية . [b] قلت : وهذا الفقر لا يخفى فضله على ما تقدم ، فان الأول براءة من المال ، والثاني براءة من الأعمال والأحوال ، وهذا براءة من النفس وحظها واستغراق في عين التوحيد بالكمال . [c] قد غلب على قلبه رؤية الاضطرار ، إلى فعل الخيرات ، والتقطع في يد التوحيد جبراً لا بالاختيار ، بالتجرد عن الاختيار ، ورؤية نفسه مقيداً بقيد التجريد عن الأغيار ، شغلاً بالواحد القهار ، لا يملك لنفسه شيئاً من الاصطبار ، عما هو مصروف إليه بل مصرف فيه من آثار الاقتدار ، فتقطُّعُه شكرٌ لمولاه لحسن الاختيار ، مع غفلته عما سواه من الأغيار . * fol. 76 b

[٤٩]. باب الغنى

255 [a] قال الله عز وجل : ﴿ ووجدك عائلاً فأغنى . ﴾ [b] قلت : وهذا أحسن الوجوه في تفسير هذه الآية وهو أن غناه عليه السلام إنما كان بالمعرفة وخصائص النبوة والزلفى لديه . [c] وقد تمسك بعض العلماء بهذه الآية في تفضيل الغنى بالمال على الفقر لأنه تعالى امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم به ، وبيان المراد بالآية كما تقدم يصده عن ذلك . [d] ويعضد ما قلناه ما ورد به الخبر الصحيح * من دعائه عليه السلام ﴿ أن يجعل رزق آل محمد كفافاً ﴾ وفي رواية ﴿ قوتاً ﴾ ، * fol. 77 a
أفكان يختاره لنفسه ويدعو به لعياله وهو عنده نقيصة حاش لله ؟ [e] ولم يكن فقره عليه السلام عجزاً بدليل جريان خوارق العادات بسؤاله من تكثير الطعام ونبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك ، ولو شاء لدعا ربه فأغناه بالدنيا ، بل قد عُرضت

255 : *a.* C XCIII 8 — *d.* أفكان : فكان — *e.* C XLVI 34/35.

عليه فأباها واختار جوع يوم وشبع يوم توفيراً لآخرته وليقتدي به ﴿ أولوا العزم ﴾ من صحابته رضى الله عنهم أجمعين .

256 [a] قال الشيخ رحمه الله : الغنى اسم للملك التام . [b] قلت : لأنه ضد لما تقضّى الفراغ منه وهو الفقر ، فان الفقر اسم للبراءة من الملك وهذا ملك كامل لا نقص فيه ، وعلى هذا فلا غنى في الحقيقة إلا لله وبالله فانه المالك والمملك لا غيره .

257 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى غنى القلب ، وهو سلامته من السبب ، ومسالمته للحكم ، وخلاصه من الخصومة . [b] قلت : وغنى القلب بالله تعالى هو أن ينفرد نظره له خاصةً ، فلا يرى الأسباب لما غلب على قلبه من رؤية المسبب ؛ وإن كان ملابساً لها للأمر ، فهو فيها مع الحق لا مع نفسه وسكونها إليها . [c] ومسالمته للحكم أي لا يقع في نفسه خلاف عليه ولا خصومة مع نفسه على فوات حظوظها العاجلة .

*fol. 77 b 258 *[a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية غنى النفس ، وهو استقامتها على المرغوب ، وسلامتها من المسخوط ، وبراءتها من المراءاة . [b] قلت : وهذه الدرجة إنما كانت ثانيةً ، وإن كان القلب أشرف من النفس ، من جهة أن الغنى في الأولى يرجع إلى محض العلم وله تقدم على العمل والحال وهذه عمل القلب والجوارح . [c] وهي أيضاً تشتمل عليه ويدخل جميعه في قوله المرغوب فيه والمسخوط عليه ، فان المرغوب فيه يشمل سائر الواجبات والمندوبات ، وإن تعالت في الدرجات .

259 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة الغنى بالحق ، وهو على ثلاث

مراتب : الأولى شهود ذكره إياك ، والثانية دوام مطالعة أوليته ، والثالثة الفوز بوجوده . [b] قلت : وقوله الغنى بالحق على ثلاث مراتب وذكرها كلها فى مقام التوحيد بالغ ، فان من شاهد بقلبه ذكر الحق سبحانه له فى أزله من غير طاعة سبقت ولا سبب من جهته هو بل محض فضل ربه عليه ، وتحقق أن من أجلّ ما سبق له من فضله تعريفه إياه بنفسه تعالى وإيجاده القرب له منه والأنس به ، وأدرك ذلك جارياً عليه فى وقته ، ومن وصل إلى هذا المقام ، سكنت نفسه إلى مولاه ⁕ واستغنت به عمن سواه ⁕ وفاز وأفلح بوجوده ورؤيته بقلبه فى دنياه ⁕ وبعين رأسه فى أخراه .

[٥٠] . *باب مقام المراد

*fol. 78 *a*

260 [a] قال الله تعالى : ﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمةً من ربك . ﴾ [b] أكثر المتكلمين فى هذا العلم جعلوا المراد والمريد اثنين ، وجعلوا المراد فوق المريد ؛ وإنما أشاروا باسم المراد إلى الضنائن الذين ورد فيهم الخبر . [c] وللمراد ثلاث درجات : الأولى 〈 أن 〉 يعصم العبد وهو يستشرف للجفاء اضطراراً ، بتنغيص الشهوات وتعويق الملاذ وسد مسالك المعاطب عليه إكراهاً . [d] والدرجة الثانية أن يضع عن العبد عوار النقص ، ويعافيه من سمة اللائمة ويملكه عواقب الهفوات ؛ كما فعل بسليمان عليه السلام فى قتل الخيل ، حمله على الريح الرخاء

260 : *a*. C xxviii 86 — *a e*. Le texte, omis par le copiste, a été rajouté en marge. Le fol. 78 *a* commence par les derniers mots وأبقى منه رسماً معاراً — *b*. اثنين : لشىء — *c*. يستشرف : يشرف ; الجفاء : للجفاء ; وتعويق : وتفريق — *d*. قتل : قيد ; Salomon, v. C xxxiv 11/12, xxi 81 ; Moïse, vii 149/150 ; Adam, v. ii 34/36, vii 21/22 sqq. ; Noé, v. xi 48/46 ; David, v. xxxviii. 23/24 ; حين : حتى ; Jonas, v. xxi 87, lxviii 48-49 — *e*. v. C xx 10, xxvii 7.

〈 و 〉 العاصف فأغناه عن الخيل ؛ وفعل بموسى عليه السلام حين ﴿ ألقى الألواح وأخذ برأس أخيه ﴾ لم يعتب عليه كما عتب على آدم ونوح وداود ويونس عليهم السلام . [e] والدرجة الثالثة اجتباء الحق عبده واستخلاصه إياه بخالصته ، كما ابتدأ بموسى وهو خرج يقتبس ناراً ، فاصطنعه لنفسه وأبقى منه رسماً معاراً .

261 [a] قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها ، فان الأولى حفظ على وجه الجبر والقهر ، والثانية تجاوز عن نقص الزلل لطفاً وحملاً على أحسن العمل ، وكلاهما مترتب على سبب من جهة العبد ، وهذه الدرجة اجتباء أزلى ولطف باصطفاء أولى من غير تقدم سبب من الأسباب ⁕ لا من جهة العبد ولا من جهة رب الأرباب ⁕ بل فعل مبتدأ اختصاصى كما اختص موسى عليه السلام بالكلام فانه ذهب يقتبس لأهله ناراً فكلمه الحق سبحانه بلا واسطة وأراه من آياته البالغة ما قصه تعالى فى الكتاب .

[VI - قسم الأودية]

262 " وأما قسم الأودية فهو عشرة أبواب ، وهى : الإحسان ، والعلم ، والحكمة ، والبصيرة ، والفراسة ، والتعظيم ، والإلهام ، والسكينة ، والطمأنينة ، والهمة .

[٥١] . باب الإحسان

263 " قال الله عز وجل : ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴾ قد ذكرنا فى صدر هذا الكتاب أن الإحسان اسم جامع نبوى يجمع أبواب الحقائق ، وهو ﴿ أن تعبد الله كأنك تراه ﴾ . " قلت : هذا الخبر صحيح خرجه مسلم فى أول الديوان ، وقد تقدم * ذكره وبيان الإحسان وتفاوت المقامين ممن يعبد الله كأنه يرى الحق سبحانه أو يعبده كأن الحق يراه ، وبيّنّا أن المقام الأول أتم . * fol. 78 b

264 " قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى الإحسان فى القصد بتهذيبه علماً ◦ وإبرامه عزماً ◦ وتصفيته حالاً . " قلت : وإنما كان الإحسان فى القصد من أول الدرجات لأن القصد من أعمال القلوب وهو أول عامل من العبد . " فيهذب قصده على مقتضى العلم ويكون منبرماً بالعزم ، ويصفيه حالاً أى يصير حاله جريان سائر قصوده على مقتضى العلم . " فاذا تهذب القصد بالعلم وقوى بالعزم وصفا من الشوائب حالاً ، دخل صاحبه به فى باب الإحسان وهو الإخلاص والصدق فى الأعمال .

263 : a. C LV 60; v. § 27 — b. v. § 188 et 190.

265 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية الإحسان فى الأحوال ، وهو أن تراعيها غيرةً ◦ وتسترها تظرفاً ◦ وتصححها تحقيقاً . " قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها من جهة أن الإحسان فى الأولى وقع فى قصد الدخول للأعمال وها هنا وقع الإحسان بعد الاستقامة فيها وقوة الأحوال الحاملة عليها . " وإحسانه فيها مراعاتها حتى لا تغلبه فتظهر عليه ، غيرةً عليها من ملاحظة الناظرين ◦ وستراً عن أبصار الخلق . . . ◦ وتخليصاً وتحقيقاً وتصحيحاً ليرتقى بها فى درجات المتقين .

266 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة * الإحسان فى الوقت ، * fol. 79 a
وهو ألا تزايل المشاهدة أبداً ◦ ولا تلحظ بهمتك أمداً ◦ وتجعل هجرتك إلى الحق سرمداً . " قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها ، فان ما قبلها فيه تفرقة مع الأحوال وتمييز لما هو فيه منها محمود فيصونه عن المشوشات ويستره عن الآفات ، وهذه الدرجة أقرب إلى الجمع . " وهى ملازمة المشاهدة فى الوقت على الدوام ◦ وقصر الهمة عليه فلا يلتفت إلى ما بين يديه من الأنام ◦ بل يجمع همته فى وقته مع الحق على الدوام ◦ على أبلغ وجه وتمام .

[٥٢] . باب العلم

267 " قال الله تعالى : ﴿ وعلّمناه من لدنا علماً . ﴾ العلم ما قام بدليل ودفع الجهل ، وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى علم جلىّ يقع بعيان أو استفاضة صحيحة أو صحة تجربة قديمة . " قلت : العلم الضرورى والإلهامى لا يفتقر إلى دليل فى ثبوته ، وقوله علم جلىّ العلوم كلها فى الكشف على وتيرة واحدة ، ليس فيها شىء أجلى من شىء ولا علم أوضح من علم . " فان حقيقة العلم معقولة

266 : a. سرمدا : marg. add. ولا تخلط همتك أحدا .

واحدة وهى معرفة المعلوم على ما هو عليه ؛ وإنما المختلف أسبابها والطرق الموصلة إليها ومتعلقاتها خاصةً ، وبها كانت ضروريةً وبديهيةً وكسبيةً : ومنها ما تتأتى الغفلة عنها كالعلوم النظرية ، ومنها ما لا يتأتى الانفكاك عنه كبعض الضروريات . ᵈ ومراد الشيخ بكونه جلياً سرعة إدراكه كالبديهى * أو الضرورى ، ولذلك قال *fol. 79 b
بعيان أى بحاسة العين ، أو استفادة أى بالتواتر ، أو تجربة قديمة أى العلوم العادية ، وكلها من الضروريات التى لا يمكن العبد دفعها عن نفسه إذا جرت أسبابها ، ولكن أسبابها حاصلة غير مكتسبة بنظر وطلب فلذلك كانت أسهل . ᵉ والعلوم النظرية أسبابها ، وهى أدلتها ، مكتسبة بالبحث عن ثبوت العلم بصحتها ووجه دلالتها على مدلولها .

268 ᵃ قال الشيخ : والدرجة الثانية علم خفىّ ينبت فى الأسرار الطاهرة ٭ من الأبدان الزاكية ٭ بماء الرياضة الخالصة ٭ ويظهر فى الأنفاس الصادقة ٭ لأهل الهمة العالية ٭ فى الأحايين الخالية ٭ فى الأسماع الصاحية ٭ وهو علم يُظهِر الغائب ويغيب الشاهد ويشير إلى الجمع . ᵇ قلت : وإنما سمى الشيخ هذا العلم خفياً ، وإن كان ذلك محالاً فى العلم ، إذ لو قدر أن أحد العلمين المتعلقين بمعلوم واحد كشف ما لم يكشفه الثانى لخرج الثانى عن كونه علماً به على ما هو به ، وإن تعددت وجوه المعلوم الواحد كان ذلك كتعدد المعلومات ؛ وإنما سماه خفياً من جهة أنه مما يختص بإدراكه بعض الناس ويخفى عن بعضهم . ᶜ فانه من العلوم الموهبية الإلهامية ٭ بخلاف ما تقدم من العلوم الضرورية والكسبية ٭ فانهـا مدركة لسائر العقلاء ، وعلم الأحوال والمقامات ٭ والتنقل فى الدرجات ٭ يهبه الحق سبحانه لمن استقام على سلوك الطريق ٭ *وتهذب بعلم *fol. 80 a

268 : c. C L 36/37, أو : الا — f. C XXXIV 25/26.

الشرائع بالتحقيق . ᵈ ويخلقه سبحانه فى القلوب الطاهرة بالمجاهدة وهى المنورة بالنور الساطع ، يظهر على الأنفاس الصادقة فى الأحايين الخالية يعنى الأوقات الخالية من ذكر غيره تعالى ، بالأسماع الصاحية إلى فهم خطابه . ᵉ قال الله تعالى : ﴿ أو ألقى السمع وهو شهيد . ﴾ قال أهل التفسير : لا يحدث نفسه بغير ما هو فيه . هـ ᶠ وقول الشيخ : وهو علم يظهر الغائب يعنى غائباً عن أفهام الناس ، ويغيب الشاهد يعنى أن العبد يستغرق فيه وبه ٭ حتى يغيب عن شاهده ٭ لجلالة قدر من استغرق بذكره ٭ وكمال فتحه له ﴿ وهو الفتاح العليم ﴾ ؛ ومن هاهنا أشار هذا المقام إلى الجمع .

269 ᵃ قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة علم لدنى إسناده وجوده ٭ وإدراكه عيانه ٭ ونعته حكمه ٭ ليس بينه وبين الغيب حجاب . ᵇ قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها ، فان ما قبلها كان ثمرة مجاهدة وتصفية ففيه التفات إلى الأسباب فى الاكتساب فقد اشتمل على نوع من التفرقة ، وهاهنا علم بغير سبب ولا طلب بل فتح لدنى واختصاص أزلى . ᶜ إسناده وجوده أى لا إسناد له إلى أحد ، بل مستنده ما يجده العبد فى نفسه ؛ وإدراكه معاينته أى كشفه لمعلومه ، ونعته حكمه ، ليس بينه وبين الغيب حجاب أى واسطة ودليل .

[٥٣] . باب الحكمة

270 * ᵃ قال الله تعالى : ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء . ﴾ الحكمة اسم لإحكام *fol. 80 b
وضع الشىء موضعه . ᵇ قلت : وهذا بالغ فان العالم بجهات المصالح والمفاسد هو الذى يضع الأشياء مواضعها ٭ وعلى أحسن وجوهها ٭ وأبلغ منافعها ٭ وأوثقها فى وضعها ٭ وهو الحكيم .

270 : a. C II 272/269.

271 ° قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى أن تعطى كل شىء حقه ° ولا تعديه حده ° ولا تعجله وقته . ° قلت : وهذا مطرد فى نفسك وفى غيرك وفى الأعمال والأحوال . ° فلا يضع الحكيم شيئاً من أعماله وأحواله إلا على وجهه المطلوب، ولا يعديه حده فيخرج فى عمله عن الشرع وفى حاله إلى الدعوى والكذب ، ولا يعطى أحداً من المخلوقين من الإجلال فوق قدره المأذون فيه شرعاً فيطغيه ° ولا يهمل حرمته فيستنقصه ويوذيه . ° ولا يتعدى بنفسه عن مقام أو حال حتى يحكمه ° ولا يحمله شوقه إلى ما فوقه فيستعجله قبل وقته فيخل بأحكام ما هو فيه ويهمله .

272 ° قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية أن تشهد نظر الله فى وعيده ° وتعرف نظره فى حكمه ° وتلحظ بره فى منعه . ° قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها فى الحكمة ، فان متعلق حكمته فى الأولى أفعال نفسه وأفعال غيره من المخلوقين
*fol. 81 a * إذ هو محكمها ، وهاهنا متعلق نظره حكمة رب العالمين وكمال علمه وجمال صنعه . * ° فيشهد فى وعيد الحق سبحانه للعاصين رحمته بهم وهو نظره لهم ، فان تقديم الوعيد للعاصين ° تحذير لهم وإنذار لينكفوا عن الوقوع فى أسباب الهلاك من موافقة اللعين . ° وكذلك تعرف نظره تعالى للخلق فى حكمه فتعرف رحمته فيه لهم ، فان الشرائع والأحكام إنما جاءت رحمةً للعالمين ، فانهم ، إذا عرفوا الحق سبحانه بدلائل أفعاله ولم يعرفوا كيف يتعبدون له ، وقعوا فى غمرة الجهل ؛ فمن رحمته بهم إرسال الرسل وبيان الأحكام ° من الحلال والحرام . ° وكذلك يلاحظ فى منع الحق إياه بعض المحبوبات والمشتهيات بره ولطفه به فى ذلك بل فى بعض الأحوال والمقامات ؛ فكم من محبوب حصل كان سبب هلاك طالبه وباغيه ، وكم من حال تمناه متمن علم الحق سبحانه أن عقله لا يحتمله فى وقته فصرفه

عنه ومنعه إياه فكان فيه عليه أعظم بركة وأتم مصلحة ! ° فله الحمد على نعمه التى لا تحصى ° ديناً ودنيا وأولى وأخرى .

273 ° قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة أن تبلغ فى استدلالك البصيرة ° وفى إرشادك الحقيقة ° وفى إشارتك الغاية . ° قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها فى الحكمة ، فان ما قبلها نظر فى تعلم الحكمة وهذه الدرجة تعليم للخلق واستعمال الحكمة فى الإرشاد والنصيحة . ° فمن حكمته التى حصلها فى الدرجة الأولى ألا يدخر عن المتعلم ممكناً يليق بعقله * *fol. 81 b ويوضحه له ولا يقصر عن غاية تصلح لمثله بأقرب الطرق فى التفهيم والنصح والشفقة وعدم رؤية الفضل لنفسه عليه ، فان ذلك سبب عظيم فى الفتح من الله عليه وعليهم . ° ويبلغ فى إرشادهم حقائق الأمور ولا يخفى عنهم شيئاً مما فيه صلاحهم ، فان الحق سبحانه جعله طبيباً وواسطة بينه وبين العباد . ° وكذلك إذا كانوا ممن تصلح لهم الإشارة فليشر إلى غاية المقصود اللائق بهم ، فان ذلك أبلغ فى وضع الحكمة مواضعها ، فيحسن إليهم ويكرمهم ؛ «وابعد عن منعها لمستحقها فتظلمها وتظلمهم» كقول عيسى عليه السلام للحواريين.

[٥٤]. باب البصيرة

274 ° قال الله عز وجل : ﴿ قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى . ﴾ البصيرة ما يخلصك من الحيرة ، وهى على ثلاث درجات : ° الدرجة الأولى أن تعلم أن الخبر القائم لتمهيد الشريعة يصدر عن عين لا تخاف عواقبها ، فترى من حقه أن تلذه يقيناً وتغضب له غيرةً . ° قلت : البصيرة هى

273 : b. واستعمال للحكمة : واستعمال الحكمة .
274 : a. C xii 108.

العلم الذى توالى وقلت الغفلات على المتصف به . [d] وقد تطلق البصائر والمراد بها القلوب : يقال « عميت بصائرهم عن الحق » و « لهم أنوار بصائر » فالأنوار مضافة إلى البصائر وهى القلوب . [e] ومراد الشيخ (والله أعلم) ها هنا بالبصيرة الكشف والعلم ، فقوله أن تعلم أن الخبر القائم لتمهيد * الشريعة إلى آخره يعنى به كل ما * fol. 82 a
أثبتته الشريعة وأخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى ، فانه مستند إلى دلالة المعجزة على صدقه عليه السلام ، فهى عين وحق لا تخشى عواقبه وهو كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام . [f] فينبغى للعبد أن يلذه يقيناً ويحبه بكليته ، فانه يدل على كمال محبته . [g] وكان بعضهم إذا فتح المصحف يقول : « هذا كلام ربى ! هذا كلام ربى ! » تنعماً به ومحبةً له . [h] وقال بعضهم :

وكتبك حولى لا تفارق مضجعى ❊ وفيها شفاء للذى أنا كاتم

[i] وكذلك تغضب له إذا استُنقص ولم يُقَم بحقه غيرةً ، فانه دليل على محبتك وإجلالك له ، وتعظيمك للمتكلم به والمبلغ له .

275 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية أن تشهد فى هداية الحق وإضلاله إصابة العدل ، وفى تلوين أقسامه رعاية البر ، وتعاين فى جذبه حبل الوصال . [b] قلت : وهذه الدرجة أبلغ فى البصيرة مما قبلها ، فان الأولى تبصرة فى أصول الاعتقاد وقواعد الإيمان ، وهذه الدرجة تبصرة فى تصاريف الأقدار ، وأسرار التفرقة بين الأشرار والأبرار . [c] فمن كملت بصيرته شاهد جميع أفعال الحق سبحانه من الهداية والإضلال ، والطاعة والعصيان ، والتوفيق والخذلان ، عدلاً وحقاً لاستحالة الجور فى وصفه ونسبة الظلم إليه . [d] فان حقيقته راجعة إلى * التصرف * fol. 82 b
فى ملك الغير بغير إذنه أو فى ملكك شرعاً على غير الوجه المأذون فيه ، وهذان الوجهان محالان فى حقه تعالى إذ لا ملك لغيره ولا آمر له ولا ناه ، تعالى عن ذلك

علواً كبيراً . [e] وكذلك يشاهد فى تلوين أقسامه رعاية البر ، فان الحق سبحانه أعلم بأحوال خلقه وما يصلحهم من الأرزاق الدنيوية والأخروية ، فهو تعالى يعطى كل عبد ما يصلحه وتستقيم حاله به إذا كان ممن سبقت له منه الحسنى . [f] وإن أجرى عليه المعاصى فانه يجرى عليه التوبة منها ، فلا تضره معاصيه فى آخرته لكونه أجرى عليه ما محاها من صحيفته . [g] ولا نقول أنه فى وقت معصيته لم يكن عاصياً حقيقةً ولا كافراً ، أعنى من وقع منه الكفر وأسلم ، بل هو كافر والآخر عاص لربه تحقيقاً ؛ وهو فى حال كفره عدو لربه وفى حال معصيته بعيد من ربه مخالف له ، وفى حال إسلامه وطاعته مسلم محبوب مكرم قريب . [h] وكلاهما معلوم لله تعالى ، سبق فى علمه القديم وقوعهما وجريانهما على العبد فى دنياه ، إلا أنه يموت على أحسنهما إن كان ممن سبق له ذلك ، أو على أسوأ أحواله إن كان ممن تقدم له إسلام ومات على كفر أو ممن تقدم له طاعة ومات على عصيان . [i] ولا استحالة فى شىء من ذلك ، فان علم الحق سبحانه ومعلومه لم تتغير بل وقع المعلوم على حسب العلم ؛ والإيمان أو الكفر والطاعة أو العصيان معلومات شرعاً ، * وقد
* fol. 83 a اتصف المكلف بهما فى حالين ووقتين ، وعَلِمَه الحق سبحانه فى حال كفره كافراً وفى حال إيمانه مؤمناً ، وعَلِمَه الخلق كذلك . [j] وخاتمة أمره معلومة لله تعالى غائبة عنا ، وهى واقعة على حسب علمه تعالى ؛ فلا تغيير فى وصفه تعالى وإنما المتغير عندنا المعلوم لا العلم ، فهى معلومات مختلفة كالمعلومات كلها والعلم فى نفسه واحد قديم .

276 [a] قال الشيخ رحمه الله : وتعاين فى جذبه حبل الوصال . [b] قلت : وهو صحيح ، فان من نارت بصيرته وتحسس لأفعال ربه به ، عرف زيادته من

276 : c. G III 98/103.

نقصه وإبعاده من تقريبه ، ورأى السبب الذى به قُربُه لمولاه فتمسك به واعتصم ، ثم تبرأ من حوله وقوته فسلم وغنم . قال الله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ وكل معتصم فعصمته على حسب حاله ومقامه .

277 قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة بصيرة تفجر المعرفة ، وتثبت الإشارة ، وتنبت الفراسة . قلت : وهذه البصيرة أبلغ مما قبلها ، فان الأولى نظر واستعمال البصيرة للتخلص من ورطة جهل العادلين عن الحق المتحكمين على الله فى أفعاله بوجوب رعاية الأصلح للخلق فى زعمهم عليه أو الجريان على مقتضى الحكمة عندهم ، وهاهنا بصيرة تحققت بحق اليقين ، وأعرضت عن المخلوقين ، لما هى فيه من كمال * الشغل بالمشاهدة وتوالى الآيات عليها والبراهين فى كل حين . فأنوار المعرفة متفجرة من قلبه على لسانه رحمةً للعالمين ، وإشاراته فيما أشار إليه عن علم ويقين ، لا عن حسبان وتخمين . وعن هذه الحالة تنبت الفراسة الصادقة بالخواطر الصحيحة لبُعده عن أحوال الغافلين المدعين ، والله الموفق وهو المعين ، بمنه وكرمه .

* fol. 83 b

[٥٥] . باب الفراسة

278 قال الله عز وجل : ﴿ إن فى ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ التوسم التفرس وهو استئناس حكم غيب من غير استدلال بشاهد ولا اعتبار بتجربة . قلت : السمة العلامة الدالة على الشىء ، والتوسم هو التعرف بالسمة الدالة على الشىء . وقد تكون السمة وهى العلامة عادية ، وقد تكون شرعية ، وقد تكون معرفية كسبية ، وقد تكون موهبةً من الله تعالى وإلهاماً . وقد قال عليه السلام : ﴿ اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ﴾ فاذا وهب الله سبحانه للعبد نوراً فى

278 : a. C xv 75.

قلبه ، كشف به ما لم يكشف لغيره ، بغير قياس على شىء ولا تجربة بأمثاله ، بل بخاطر صحيح يخلقه له لا يكذب أو بنور كاشف لا يخطىء ، كما جرى لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى قوله : « يا سارية الجبل ! والحق أهلك فقد احترقوا » وغيره . وقد حكى أن الجنيد رضى الله عنه بلغه أن شاباً يتكلم على ضمائر الناس لا تخطىء فراسته ، فاجتمع به الجنيد وسأله عن حاله فقال له الشاب : « أضمر فى نفسك شيئاً . » * فقال الجنيد : « قد أضمرت . » فقال الشاب للجنيد : « أضمرت كيت وكيت. » فقال له الجنيد : « لا . » فقال له الشاب : « أضمر ثانيةً . » فقال : « أضمرت كيت وكيت. » فقال له الجنيد : « لا . » فقال له : « أضمر ثالثةً . » فقال له الجنيد مثل ذلك ، فقال الشاب : « هذا عجب ! أنت صدوق وأنا أعرف قلبى ! » فقال له الجنيد : « صدقت فى الأولى والثانية والثالثة ولكنى أردت أن أمتحن خاطرك هل يتغير . » وقول الجنيد رضى الله عنه فى كل مرة « لا » ليس بكذب وإنما هو عدول إلى المعاريض ، ومراده « لا يكفينى فى الامتحان » (والله أعلم) .

* fol. 84 a

279 قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى فراسة طارية نادرة ، تسقط على لسان وحشى فى العمر مرةً ، لحاجة مريد صادق إليها ، لا يوقف على مخرجها ولا يوبه بصاحبها . وهذا شىء لا يخلص من الكهانة وما ضاهاها ، لأنها لم تشر عن عين ولم تصدر عن علم ولم تسق بوجود . قلت : وهذه الفراسة إنما سميت فراسة لكونها دلت على حق وصدق ، وإن كانت نادرة وجرت على لسان قائلها رحمةً لغيره وتنبيهاً للمريد الصادق ، ودلته على نقص فيه ، وقصور يحتاج إلى تلافيه ، أو ما يضاهيه . والفراسة التى تمكن صاحبها تكون عن نور معروف وهو العين المفتوحة المضيئة بالعلم الثابت . وقوله :

ولم تسق بوجود يعنى وجود حال يثمر حقيقة الفراسة ، * ولا تمكن فيها ولا تكررت عليه أمثالها . * fol. 84 b

280 ᵃ قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية فراسة تجنى من غرس الإيمان ، وتطلع من صحة الحال ، وتلمع من نور الكشف . ᵇ قلت : وهذه الدرجة هى التى فقدها صاحب الدرجة الأولى من الفراسة ، فصحة الإيمان غرسها وهو أصلها ٭ والحال يطلع نباتها ويظهر آثارها ٭ وبنور الكشف تلمع فى عين ناظرها أزهارها .

281 ᵃ قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة فراسة سرية لم تجتلبها رؤية على لسان مصطنع تصريحاً أو رمزاً . ᵇ قلت : وهذا النوع من الفراسة عند الشيخ غير مكتسب ، فان أدنى الكسب الرؤية والنظر اليسير فى الشىء قبل النطق به لتعرف صحته إما بميزان العلم الصحيح ٭ أو بثمرات الأحوال المفهومة بالإشارات والتلويح . ᶜ بل هذه الفراسة مواهب يجريها الحق سبحانه فى قلوب المصطنعين من خواصه وعلى ألسنتهم قهراً وجبراً ، رحمةً للخلق وعوناً لهم وتقويةً فى أحوالهم وتمكناً فى مقاماتهم ﴿ وهو الفتاح العليم ﴾ .

[٥٦] . باب التعظيم

282 ᵃ قال الله عز وجل : ﴿ ما لكم لا ترجون لله وقاراً . ﴾ التعظيم معرفة العظمة مع التذلل لها . ᵇ قلت : والتعظيم كما ذكره الشيخ رحمه الله مركب من ركنين : علم وحال ؛ فاذا صحت المعرفة بعظمة * الشىء ، أذعنت النفس له وانقادت وذلت وخشعت واستكانت لعظمته . * fol. 85 a

281 : c. C XXXIV 25/26.
282 : a. C LXXI 12/13.

283 ᵃ قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى تعظيم الأمر والنهى ، وهو ألا يعارضا بترخص جاف ، ولا يعرضا لتشديد غال ، ولا يحملا على علة توهن الانقياد . ᵇ قلت : وهذا صحيح وأول التعظيم تعظيم الأمر والنهى ، فانه أصل للعامى والخاصى فى هذا الشأن ، إذ هما أسباب الطاعة واجتناب المعصية . ᶜ فمتى لم يحصل فى القلب تعظيم الأمر والنهى ضعف الإقدام والإحجام ٭ وتعظيمهما على حسب عظمة الآمر والناهى فى القلب وهو تابع لأهل الإيمان ٭ بالاعتقاد الصحيح أو بالعرفان . ᵈ ومن تعظيمهما ألا يعارضا بترخص مترخص جاف فى ترخصه ، يعنى أنه يتمسك بأضعف الأدلة فى الترخص ولذلك سماه جاف ؛ وهذا لا يتم إلا فى حق من له نظر فى الأدلة ، وإلا فالعامى وظيفته التقليد لا غير ؛ ومن له نظر ، إذا ظهر له وجه يقتضى الوجوب أو الحظر وخالفه لغيره وترخص متمسكاً بما يضعف عنده ، فلا يلتفت إليه . ᵉ وقوله ولا يعرضا لتشديد غال يعنى متغال فى الدين على زعمه فيُجعلان له حجةً ومتمسكاً ويتكلف لتغاليه وتشديده وجه ؛ فان الدين مبنى على الحنيفية السمحة ، و ﴿ إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ﴾ ولا تبغض إلا نفسك عبادة الله فان « المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » و ﴿ يسروا ولا تنفروا ﴾ ، * فالتغالى وتكلف الشدائد مكروه وغيره الأولى فى نظر الشرع إذ هو ضد مقصوده . ᶠ وقوله ولا يحملا على علة توهن الانقياد أى لا يُستنبط من محل الحكم علة توهن الانقياد ٭ وتنفر عنه أنفس العباد ٭ بل حقه أن يُستنبط منه المعانى والأسرار ٭ المعرّفة للقلوب كمال اللطف والرحمة من الله بالمتقين الأخيار . * fol. 85 b

284 ᵃ قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية تعظيم الحكم ، ⟨ وهو ⟩ أن ⟨ لا ⟩ يبغى له عوج ، أو يدافع بعلم ، أو يرضى بعوض . ᵇ قلت : والحكم ها هنا ما وقع

وجرت به الأقدار ٭ وإن خالف الغرض والاختيار ٭ فتعظيمه ألا يُطلب له عوج عن العدل ولا خروج عن الحكمة ، كما يظنه أهل الجهالة فى خروج بعض الأفعال الجارية فى العالم عن المصالح فى زعمهم ؛ وكل أفعاله تعالى حسنة ، وافقت غرض العبد أو خالفت ، من حيث كان له أن يفعل ما يشاء . ′ وقوله ولا يدافع بعلم أى علم عادى ولا تجربى وجد العبد المصلحة فيه من نفسه فى الحال ٭ فان مسأل المقادير مغيب عنه فى الاستقبال . ″ وعن هذا لا يرضى بعوض عنه أى لا يريد تغيير ما وقع ولا يطلبه ، بل من تعظيمه حصول الرضى به كيف ما وقع وجرى به القدر ٭ ما لم يكن مما نهى الحق سبحانه عنه وزجر.

285 ″ قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة تعظيم الحق ، وهو ألا يجعل دونه سبباً ٭ أو يرى عليه حقاً ٭ أو ينازع * له اختياراً . ″ قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها لمزاحمتها مقام الجمع وبُعدها عن حال التفرقة . ′ وقوله ألا يجعل دونه سبباً أى ملجأ ولا معتمداً عليه من عمل أو حال أو مقام . ″ وكذلك لا يرى عليه حقاً وإن بالغ فى الطاعة له ، فان جازى عليها فبفضله وإن لم يجاز عليها فبعدله ، بل الحق له لأنه المالك المتفضل بالأسباب والمسببات جميعاً . ′ وكذلك لا ينازع له اختياراً بل يجرى تحت الأقدار ٭ مجرى المحب له المختار ٭ وإن خالفت أغراضه فى هذه الدار ٭ ويرضى بسائر الأقدار ٭ ما لم يكن من علامات أهل النار ٭ فانه مأمور بالتألم بها والبكاء والندم على ذلك مع ربه إذ . . . . ٭ وإليه المشتكى خوفاً من العطب.

* fol. 86 a

[٥٧]. باب الإلهام

286 ″ قال الله تعالى : ﴿ قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به

286 : a c. C xxvii 40 — b. C xxvii 39.

قبل أن يرتد إليك طرفك . ﴾ ″ قلت : ووجه الإشارة بالآية إلهام ﴿ الذى عنده علم من الكتاب ﴾ لما قام بنفس سليمان صلوات الله على نبينا وعليه من طلب السرعة فى إحضار العرش بعد قول العفريت ﴿ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك . الآية . ﴾ ′ فألهم الحق سبحانه ﴿ الذى عنده علم من الكتاب ﴾ سرعة أتم من ذلك هى مطلوب النبى عليه السلام فقال : ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ وفعل ، فلما رآه سليمان مستقراً عنده قال : ﴿ هذا من فضل ربى * ليبلونى أأشكر أم أكفر . ﴾

* fol. 86 b

287 ″ قال الشيخ رحمه الله : الإلهام مقام المحدثين وهو فوق الفراسة ، لأن الفراسة ربما وقعت نادرةً أو استعصت أو استصعبت على صاحبها ، والإلهام لا يكون إلا فى مقام عتيد . ″ قلت : وما ذكره الشيخ من الفرق بين الفراسة والإلهام صحيح ، فانه عليه السلام قال : ﴿ اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ﴾ ولفظ ﴿ المؤمن ﴾ هاهنا ظاهر فى إرادة الجنس ليس لمؤمن مخصوص . ′ وقد قال عليه السلام إنه ﴿ قد كان قبلكم فى الأمم محدثون وإن يأت فى أمتى أحد فانه عمر ﴾ والخبر صحيح ، فخص عمر رضى الله عنه دون غيره من المؤمنين بكونه محدثاً ، وقد أجرى الله على لسانه من ذلك كثيراً ونزل الوحى على موافقته فى أسرى بدر وقصة عبد الله بن أبى بن سلول وحجب أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك . ″ فصاحب هذا المقام أمكن وكشفه للأشياء أوضح وأتم ، وكأن الفراسة أوائل مقام الإلهام فاذا تمكن صار إلهاماً .

288 ″ قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى

287 : c. Le texte exact rapporté par *Buḫārī* est le suivant : إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه إن كان فى أمتى هذه منهم فانه عمر بن الخطاب . Bu. lx 54.

إلهام نبى يقع وحياً قاطعاً ، مقروناً بسماع أو مطلقاً . [a] قلت : الوحى أصله الاستعجال ومنه « الوحى الوحى » ، فلما كان الحق سبحانه ينشئه فى قلب العبد سرعةً سمى وحياً وإلهاماً . [b] وقد يكون بواسطة وبغير واسطة وفى النوم واليقظة [c] كما ابتدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم * بالوحى فى النوم فكانت رؤياه تجىء مثل فلق الصبح . [d] وهذه الدرجة من الوحى تكون بسماع وبغير سماع ، وهو المراد بكونه مطلقاً أى غير مقترن بسماع . * fol. 87 a

289 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية إلهام يقع عيناً ؛ وعلامة صحته أنه لا يخرق ستراً ، ولا يجاوز حداً ، ولا يخطىء أبداً . [b] قلت : 〈 وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها إلهام يكون .... المراد وهذا الإلهام بعين 〈 المراد 〉 ولذلك قال 〈 إنه 〉 عيناً كما قال عمر رضى الله عنه « يا سارية الجبل ! » [c] وقوله 〈 وعلامة صحته 〉 أنه لا 〈 يخرق ستراً 〉 إلى آخر كلامه أى لا يتعدى فى الكشف .... التجلى مصلحة فى حقهم ورحمةً .... ره كما ستر رسول الله صلى الله عليه وسلم المنافقين 〈 عن رؤية 〉 الخلق وكان يعلمهم وأعلم حذيفة بهم ، وكذلك أمور الد .... كشف أحوال الناس وما يسترونه عن غيرهم فى بيوتهم . [d] فلا يُظهره من أطلعه الله عليه إلا إذا كان مقصود الشرع إظهاره لمصلحة أيضاً . ومن علامة صحته أنه لا يخطىء أبداً عادة أجراها الحق سبحانه لأوليائه وكرامة أكرمهم بها . [e] وقد قال حذيفة أنه جلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً فأعلمه بما كان ويكون إلى يوم القيامة ، يعنى أن الشىء إذا وقع فى العالم ذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم رآه . [f] وهذا كله * بخلاف الخرقاء .... فى الأحكام ، ومعرفة * الحلال من الحرام ، فان ذلك ، وإن جاز وقوعه للأولياء ، فانه لا يقع لهم لاختصاص الأنبياء به المبلغين عن * fol. 87 b

الحق أحكامه . [a] ولو وقع ذلك لهم لوزنوه بما ثبت عن الأنبياء صلوات الله عليهم ، ولو عملوا به من غير وزن لأدى ذلك إلى باطل وهو كونهم أنبياء تعدوا رسالة المبين وخاتم النبيين وهو عليه السلام آخر الأنبياء . [b] وقد قال صلى الله عليه وسلم : .... عن ربه بنفسه لكان .... 〈 صلى الله 〉 عليه وسلم وذلك لا يصح .... الأحكام وحكمه .... ذلك من الأسرار .

290 [a] 〈 قال الشيخ رحمه الله : والدرجة 〉 الثالثة 〈 إلهام يجلو عين التحقيق صرفاً ، وينطق عن 〉 عين الأزل محضاً ، والإلهام غاية 〈 تمتنع عن 〉 الإشارة إليها . [b] قلت : وهذه الدرجة 〈 فى الإلهام أتم 〉 مما قبلها من جهة المتعلق ، فان صاحب الدرجة الأولى قد يكون ما يقع الإلهام له متعلقاً بالخلق ومصالحهم وإن كان كشفاً حقاً عيناً ، وهذه الدرجة من الإلهام متعلقة بالصفات الأزلية والأحكام التحقيقية صرفاً لا يشوبها ذكر غيره . [c] ولذلك قال وللإلهام غاية تمتنع عن الإشارة إذ صفات الحق سبحانه وتعلقها بمتعلقاتها لا غاية لها ، ولا لما يمكن أن يعرفه العبد من جلاله وعظمته ، ولا فى حال الجمع بين يديه والإقبال .

[٥٨] . * باب السكينة
* fol. 88 a

291 [a] قال الله عز وجل : ﴿ هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين . ﴾ [b] اسم السكينة لثلاثة أشياء : الأولى سكينة بنى إسرائيل التى أعطوها فى التابوت ، قال أهل التفسير : « وهى ريح هفافة » وذكروا صفتها وفيها ثلاثة أشياء : هى لأنبيائهم معجزة ، ولملوكهم كرامة ، وهى آية النصر تخلع قلوب العدو بصوتها رعباً

291 : a. C XLVIII 4.

〈إذا التقى〉 الصفان للقتال . [e] والسكينة الثانية هى التى تنطق على 〈ألسن〉 المحدثين ، ليست هى شيئاً يُملك ، إنما هى 〈شىء من〉 لطائف صنع الحق ، تلقى 〈على لسان〉 المحدث الحكمة كما يلقى الملك الوحى على قلوب الأنبياء ، 〈وتُنطق〉 المحدثين بنكت الحقائق مع ترويح الأسرار وكشف الشُبَه . [d] والسكينة الثالثة هى التى أنزلت فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم وقلوب المؤمنين ، وهى شىء يجمع نوراً وقوةً ورَوْحاً ، يسكن إليه الخائف ، ويتسلى به الحزين والضجر ، ويستكين إليه العصى والجرىء والأبى . [e] وأما سكينة الوقار التى تراها نعتاً لأربابها ، فانها ضياء تلك السكينة الثالثة التى ذكرناها .

292 [a] قلت : وما ذكره الشيخ من إطلاق اسم السكينة على المعانى التى ذكرها صحيح . [b] وقد قال تعالى : ﴿ فيه سكينة من ربكم . الآية ﴾ ، وقال فى السكينة الثانية على بن أبى طالب رضى الله عنه : « إنا كنا أصحاب محمد ونحن متوافرون لنرى أن السكينة * نطق على لسان عمر بن الخطاب رضى الله عنه . » * fol. 88 b
[c] وقد قال تعالى فى السكينة الثالثة : ﴿ فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ وقال : ﴿ هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين . ﴾ [d] وهذه السكينة اسم لثلاثة معان : نور وقوة ورَوْح ؛ وأما النور فالكشف ، وأما القوة فالصدق بقوة اليقين ، وأما الرَوْح فالتنعم بالحال الذى اجتمع له فيه الكشف والصدق ، فالقلب إذا تعمر بهذه المعانى استراح من همّ التدبير و〈استقام〉 على متن التقوى والصراط المستقيم ، ولذلك قال تعالى : ﴿ وألزمهم 〈كلمة〉 التقوى وكانوا أحق بها وأهلها . ﴾ [e] قال : وأما سكينة الوقار التى تكون نعتاً لأربابها فانها ضياء تلك السكينة الثالثة التى ذكرناها وهو صحيح ، فان المعانى إذا قويت فى القلوب تبعتها الجوارح ،

292 : b. C II 249/248 — c. C XLVIII 26; XLVIII 4 — d. C XLVIII 26.

وبمقدار خلوها من الخير تخلو الجوارح منه . [f] والسكينة التى هى نعت فى الجوارح إطراق فى الرأس وسكون فى الجوارح وهدو فى المشى وتثبت فى الكلام وحياء فى الوجه إلى غير ذلك .

293 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى سكينة الخشوع عند القيام للخدمة ، رعايةً ∘ وتعظيماً ∘ وحضوراً . [b] قلت : وهذا التقسيم للسكينة الثالثة خاصةً التى نزلها الله فى قلوب الأنبياء والمؤمنين ، والخشوع السكون والهدو ؛ قال الله تعالى : ﴿ ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت * وربت . الآية . ﴾ [c] وإنما كان ذلك عند القيام للخدمة لأنه * fol. 89 a
وقت حضور بين يدى الحق سبحانه ، رعايةً لحقه وتعظيماً لرؤيته وحضوراً بين يديه ومعه وبعداً عن الكسل والفتور . [d] وإذا تمكن العبد فى هذا المقام ، اطرد له ذلك فى سائر الأحوال ∘ من التصرفات الدينية والدنيوية من الأعمال .

294 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية السكينة عند المعاملة ، بمحاسبة النفس وملاطفة الخلق وموافقة الحق . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان الطاعة لا بد لها من النية وقصد الحق ، بخلاف معاملة الخلق ومبايعتهم . [c] فان الشرع لم يشترط فى صحته أن تكون له ، بل يصح أن يكون طاعةً ويصح ألا يكون طاعةً ؛ فاذا أوقعها العبد طاعةً ، دل ذلك على كمال عزمه ∘ وشدة إشفاقه ∘ من ضياع أوقاته وأعماله . [d] وكذلك لا يؤثرهم على نفسه ∘ ولا يبالغ فى نصحهم إلا لكمال قوته ∘ وشدة زهده .

295 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة هى التى تثبت الرضاء بالقِسَم ،

293 : a. وحضورا : marg. add. وهى كيانة عن السكينة الثالثة — b. C XLI 32.
295 : d. على : عن — e. C XLVIII 26; III 61/68.

وتمنع من الشطح الفاحش ، ويقف صاحبها على حد الرتبة . والسكينة لا تنزل قط إلا فى قلب نبى أو ولى . " قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها ؛ فان ما قبلها أدب مع الخلق للحق ، وهذه أدب مع الحق بالحق . " فهو أن يرضى بقسم الله أدباً مع الله ؛ وكذلك يمسك نفسه بالأدب وحسن الاعتياد مع الحق ، حتى لا يجرى على لسانه فى وقت غلبة * حاله شىء من الشطح الفاحش وهو كلمات * fol. 89 b
تجرى على ألسنة الصادقين وقت غلبة الأحوال عليهم . " فيقف صاحب هذه السكينة على كل مشكل وريبة حتى يأتيه الشىء الواضح الذى لا إشكال فيه . " وقوله والسكينة لا تنزل قط إلا فى قلب نبى أو ولى صحيح ، ودليله قوله تعالى : ﴿ فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ ثم قال : ﴿ وكانوا أحق بها وأهلها ﴾ فجعلهم أهلها لا غير ؛ ﴿ والله ولى المؤمنين ﴾ بخلاف الكفار .

[٥٩] . باب الطمأنينة

296 " قال الله عز وجل : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة . ﴾ الطمأنينة سكون يقويه أمن صحيح شبيه بالعيان . " وبينه وبين السكينة فرقان : أحدهما أن السكينة صولة تورث خمود الهيبة أحياناً ، والطمأنينة سكون أمن فيه استراحة أنس ؛ والثانى أن السكينة تكون نعتاً وتكون حيناً بعد حين ، والطمأنينة نعت لا تزايل صاحبها . " قلت : وما ذكره الشيخ من الفرق بين السكينة والطمأنينة لا تدرك حقيقته إلا بالمنازلة والذوق ، ولكن ما ذكره فيه إشارة . " فأحد الفرقين أن للسكينة صولة تطرق القلب ويغلب حكمها عليه ، فيخمد ويهدأ من هيبته لما يخشاه ويزول عنه القلق والهلع ، وليس ذلك من جنس الغفلة الطارية على القلب

296 : a. C LXXXIX 27.

فتزول عنه أضدادها ، والطمأنينة سكون رجاء وأمن * وسرور . " والفرق الثانى * fol. 90 a
أن السكينة قد لا يستمر مكثها فى القلب ولا تتوالى أمثالها بخلاف الطمأنينة ، وكأنها فى التقريب أوائل المقام والطمأنينة نهايته ؛ ونسأله التوفيق والسلامة .

297 " قال الشيخ رحمه الله : وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى طمأنينة القلب بذكر الله ؛ وهى طمأنينة الخائف إلى الرجآء ، والضجر إلى الحكم ، والمبتلى إلى المثوبة . " قلت : وهذه الدرجة من الطمأنينة أول درجات الطمأنينة ؛ قال الله تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ يعنى به ذكر وعده تعالى . " فان السالك إذا قدر نفسه بميزان الحقيقة ، ووجدها غير مستقيمة على الطريقة ، ثار من قلبه الخوف على نفسه من فوات مطلوبه ، على حسب همته ومرغوبه . " فاذا منّ الحق سبحانه عليه بالنظر إلى جهة لطفه به ، بإثارة الخوف من قلبه ، وإن ذلك رحمة منه سبحانه به ، أكسبه ذلك النظر الرجاء لفضله . " وكذلك إذا ساءت أخلاقه وضجر على أهله ومن يعامله ، ثم تداركه الله بالنظر لكونه من فضل ربه وحكمه ، والطمأنينة إلى وعده ، لمن حلم عند غضبه ، فرجع إلى ربه ، وعرف خسة قدره وغضبه ، وقبح منظره وتغير حاله ، رجع إلى مقام الحكم . " وكذلك من نزل به بلاء من ربه ، وتألم بسببه ، وتكدر عليه عيشه ، ثم منّ عليه مولاه بالنظر إلى ثوابه ، زال عنه ثقل البلاء ، واطمأن بجميل العطاء ، وربما عد البلاء من جملة النعماء .

298 * " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية طمأنينة الروح فى القصد * fol. 90 b
إلى الكشف ، وفى الشوق إلى العدة ، وفى التفرقة إلى الجمع . " قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان الأولى كانت بوعده ، وفى هذه حصلت بوجود عونه

297 : b. C XIII 28.

ورفده . [c] والروح ألطف معنىً من القلب عندهم ، فان القلب محل الفكر فى جهة الخلاص من النقائص والتخلق بالأخلاق الحميدة ، والروح شىء له ميل إلى التعلق والانتقال عن الأوصاف إلى المعارف والارتياح برَوْح القرب والأنس . [d] ولذلك كانت الطمأنينة فى هذه الدرجة مع صحة القصد إلى الكشف ، فصحة القصد أثر القلب والكشف تعلق الروح ؛ فيكون عاملاً على صحة القصد لله تعالى ، مطمئناً إلى مزيد الكشف والفتح . [e] ويكون مشتاقاً إلى بلوغ مقام منيف ، ساعياً فيه * مطمئن القلب لوعد الله سبحانه لمن تعاطى أسباب الوصول إليه . [f] ويكون أيضاً فى حال التفرقة والنظر لتدبير نفسه على حسب الأوامر والنواحى مطمئناً لنيل مقام الجمع ، وهو أن تغلب على قلبه رؤية التصريف فيه للحق أمراً ونهياً وفعلاً واقتداراً ، فيكون عاملاً بالأوامر والنواهى ، متبرئاً من عمله بقلبه ، رائياً لفضل ربه عليه فى توفيقه إياه ، غافلاً عن نفسه .

299 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة (طمأنينة) شهود الحضرة إلى اللطف ، وطمأنينة الجمع إلى البقاء ، وطمأنينة المقام إلى * نور الأزل . *fol. 91 a

[b] قلت : وهذه الدرجة أبلغ ، ونسأله أن يوصل إليها كل مشتاق . [c] وذلك أن ما قبلها طمأنينة مع صحة القصد إلى الكشف ، وهذه طمأنينة إلى دوام المشاهدة مع صحة الكشف . [d] ولذلك كان فى الأولى مطمئناً إلى مقام الجمع مع وجود التفرقة ، وهاهنا طمأنينة إلى البقاء فى حال الجمع مع وجود أصل الجمع ، فانه قد يحصل له الجمع ولا يدوم له ولا يتمكن فيه . [e] وكذلك أرباب المقامات والمتمكنون فيها مطمئنون إلى نور الأزل ، وهو ما يشغلهم عن مقاماتهم ويستغرقهم فى حين التوحيد عن رؤية الفعل .

299 : a. الحضرة : للحضرة (corr. marg.); إلى اللطف : om. (add. marg.).

[٦٠] . باب الهمة

300 [a] قال الله تعالى : ﴿ما زاغ البصر وما طغى .﴾ الهمة ما يملك الانبعاث إلى المقصود صرفاً ، لا يتمالك صاحبها ولا يلتفت عنها . [b] قلت : قوله : ما يملك الانبعاث إلى المقصود صرفاً أى معنىً له سطوة وملك للحمل على المقصود الصحيح ، ويبعث عليه بعثاً لا يخالطه غيره * مما يفتره أو يغيره . [c] وهذا المعنى هو المعبر عنه بالهمة ، ولذلك قال : لا يتمالك صاحبها ولا يلتفت عنها .

301 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى همة تصون القلب من خسة الرغبة فى الفانى * وتحمله على الرغبة فى الباقى * وتصفيه من كدر التوانى . * [b] قلت : وهذه الهمة أول همة المريد للسلوك ، فان شدة عزمه *fol. 91 b فى البداية تحمله على الاشتغال بأعمال البر ، فيعرض لذلك عن أشغال الدنيا الفانية * ويزول عنه لذلك الكسل والتوانى فى أعمال الآخرة الباقية .

302 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية همة تورث أنفةً من المبالاة بالعلل * والنزول عن العمل * والثقة بالأمل . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان الهمة الأولى أثمرت صيانة القلب عن الاشتغال بأعمال الدنيا الفانية والرغبة فى الأعمال الباقية ، وهذه الدرجة أورثت أنفةً وتعززاً عن التعلق والسكون لأعمال الآخرة دون الحق سبحانه ، فان العلل هى السكون إلى الأسباب . [c] فلا يبالى صاحب هذه الهمة بورود خاطرٍ داعٍ إلى التعلق بالأسباب ، ولا يعلق نفسه بأمل يمنعه من المبادرة فى الحال * إلى إتقان ما هو فيه من الخيرات النافعة له فى المآل .

300 : a. C LIII 17.

303 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة همة تصاعد عن الأحوال والمقامات ، وتزرى بالأعواض والدرجات ، وتنحو عن النعوت نحو الذات .

" قلت : وهذه الهمة أرفع مما قبلها ، فان هذه الهمة صار مطلوبها دوام النظر إلى الحق سبحانه فى الحال والمآل ، وبُعدها عن الغفلة عنه فى سائر الأحوال والأعمال ، لا ترضى بالسكون إلى حال شريف ،* ولا تلتفت إلى ما تمكنت فيه من مقام عال منيف ، فضلاً عن طلب الجزاء من الحق على الأعمال ، وتمنى الدرجات فى الآخرة على ما هى عليه من حسن الفعال . ° بل هى مشغولة عن هذا كله ، بجلال مالكها وكماله ، وعظمته وكبريائه ، ووحدانيته فى أزله ودوام بقائه . " قد شغلها النظر فى كمال الذات ، وتنزهها عن الأقطار والجهات ، وكمالها وجمالها عن ذكر الصفات ، التى دلت عليها أفعاله ومخلوقاته الناطقات والجامدات . ° وبهاذا الاعتبار تنحو عن الصفات بنحو الذات ، لا إنكاراً للصفات ، ولا يجعلها أغياراً للذات .

* fol. 92 a

[VII – قسم الأحوال]

304 " قال الشيخ رحمه الله : وأما قسم الأحوال فهو عشرة أبواب وهى : المحبة ، والغيرة ، والشوق ، والقلق ، والعطش ، والوجد ، والدهش ، والهيمان ، والبرق ، والذوق .

[٦١]. باب المحبة

305 " قال الله عز وجل : ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه . ﴾ المحبة تعلق القلب بين الهمة والأنس فى البذل والمنع على الإفراد . " والمحبة أول أودية الفناء * والعقبة التى ينحدر منها على منازل المحو ، وهى آخر منزل تلتقى فيه مقدمة العامة ساقة الخاصة ، وما دونها أغراض لأعواض . ° والمحبة هى سمة الطائفة وعنوان الطريقة ومعدن النسبة .

* fol. 92 b

306 " قلت (والله الموفق) : ما ذكره الشيخ فى حد المحبة بالغ جداً فى البيان لأن أهل الأصول قالوا : المحبة هى الإرادة للمحبوب ؛ فمحبة الحق سبحانه لعبده إرادته الخيرية وتخصيصه بالإلطاف والإكرام ، ومحبة العبد لله تعالى هى إرادته لموافقته وامتثال أمره وطاعته . " وإن كانت المحبة فى اللغة الميل إلى المحبوب فهى مخصوصة بمحبة الخلق ؛ فان الحق سبحانه منزه عن أن يميل أو يُمال إليه ، فان ذلك مخصوص بذوى الأحيار والجهات المستحيلة على الحق سبحانه . ه ° هذا قول بعضهم ونحن نقول : الميل يكون بالقلب ويكون بالبدن ، وما ذكره فى الميل بالبدن صحيح . " وأما الميل بالقلب فانه لا يختص بالأجسام ذوى الجهات

305 : a. C v 59/54.

والتحيرات * بل بالمستحسنات المعلومات المذكورات * والحق سبحانه متصف بأكمل الصفات * منزه عن النقائص والآفات * علم ذلك بالأدلة الواضحات . [e] والقلوب لمن هذه صفاته تائقة مشتاقة * محبة تواقة * ولكمال معرفتها برؤيته ناظرة حداقة * عاملة باحثة طالبة سائلة باكية متملقة ممتثلة لأوامره سباقة [f] . وهذه نعوت المحبين لله سبحانه * مع تنزه محبوبهم عن التقديرات والجهات ، ولذلك حده الشيخ بأنه تعلق القلب بين الهمة والأنس ، فالهمة حاملة على الطلب * والأنس تنعم بما أنعم به ووهب . *fol. 93 a

307 [a] وقوله : والمحبة أول أودية الفناء والعقبة التى ينحدر منها إلى منازل المحو . [b] قلت : وإنما كان كذلك لأن القلب المحب متعلق بمحبوبه * مشغول به عن غيره * فهذا هو الفناء فيه عن غيره . [c] فان كملت محبته له وقوى شغله به ، اشتغل به عن ذكر نفسه وعن ذكر كونه محباً ، وهذا هو محو ذكر نفسه عن القلب بالكلية شغلاً بالمذكور تعالى .

308 [a] وقوله : وهى آخر منزل تلقى فيه مقدمة العامة ساقة الخاصة صحيح ، وذلك أن العامة من السالكين ناظرون إلى أعمالهم ، طالبون الجزاء من ربهم على إتقانها وكثرتها ؛ فحاملهم تارةً الخوف من فوات الأحوال ، وتارةً الرجاء لحصولها . [b] فاذا تمكنوا فى معرفة الله سبحانه بصفاته * وتكرر نظرهم فى جميل أفعاله معهم ومع غيرهم من عباده * فأحبوه وأجلوه واشتاقوا إلى قربه * جرت عليهم أعمالهم وهم معرضون عن استحسانها من أنفسهم * شاكرون فضل ربهم عليهم فى توفيقهم * فقد انتقلوا إلى درجة الخاصة من السالكين وهم أهل التوحيد وأرباب الجمع مع الحق سبحانه .

308 : *b.* وهم معرضون : وهم عنها معرضون .

309 * [a] وقوله : والمحبة سمة الطائفة ، أى علامتهم يعنى أهل الخصوص . *fol. 93 b

[b] وعنوان الطريقة ، يعنى علامة صحة السلوك والدليل عليه . [c] ومعدن النسبة ، أى من وصل إلى مقام محبة الله فقد وجد محل صحة نسبته إلى الله تعالى ، لقوله فى الخبر الصحيح : ﴿كنت سمعه الذى يسمع به . الحديث﴾ ولقوله : ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ فهم أهل ولايته والمنسبون إليه . [d] فانظر ، هداك الله لفهم كلامه تعالى وتقدس ، كيف أعلم عدوك بعجزه عنك وواجهه بالخطاب قطعاً لطمعه فيك وتقويةً لقلبك بكونه تعالى نائباً عنك بقوله : ﴿وكفى بربك وكيلاً﴾ أى حافظاً ومعيناً .

310 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى محبة تقطع الوسواس ، وتلذ الخدمة ، وتسلى عن المصائب ؛ وهى محبة تنبت من مطالعة المنة * وتثبت باتباع السنة * وتنمو على الإجابة للفاقة . [b] قلت : وهذه الدرجة من المحبة إنما كانت أول الدرجات لكونها نشأت عن الإحسان * ورؤية الفضل على العبد من ربه والامتنان . [c] والقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها ، ولو قطع الحق سبحانه إحسانه عن هذه القلوب ، لتغيرت أو لخيف عليها التغير والرجوع عن محبتها . [d] فان صاحبها برؤية الإحسان عليه مشغول * وبتوالى النعم عليه محمول * قد انقطعت عن قلبه وساوس الأطماع * لما هو فيه * من كمال التنعم ووجود الاستماع * مبادر لخدمة المنعم عليه * متلذذ بذلك بين يديه * قد أنساه ما هو فيه من توالى النعم * ما تقدم جريانه عليه من المصائب والنقم . [e] فأصل محبته رؤية الإحسان * وثباتها فى قلبه باتباع السنة بواضح البرهان * قال الله عز *fol. 94 a

309 : *a.* علامتهم : marg. حالتهم — *c.* C xv 42, xvii 67/65 — *d.* C xvii 67/65.
310 : *a.* الوسواس : الوساوس (corr. marg.) — *e.* C iii 29/31.

وجل : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . ﴾ ' وإذا أحبه الله ثبتت محبة الحق فى قلب العبد ، وتتزايد المحبة فى قلب العبد بإجابته لدواعى الفقر والفاقة إلى ربه ، فكلما أخطر الحق فى قلبه خواطر الفقر إليه أجاب مبادراً بالذل والسكينة بين يديه .

311 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية محبة تبعث على إيثار الحق على غيره ٭ وتلهج اللسان بذكره ٭ وتعلق القلب بشهوده ٭ وهى محبة تظهر من مطالعة الصفات ٭ والنظر فى الآيات ٭ والارتياض بالمقامات . " قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها فى المحبة ، فان الأولى كانت عن توالى النعم وهى أفعال وأغيار ٭ وهذه نشأت عن النظر فى كمال صفات الحق سبحانه وعموم تعلقها بمتعلقاتها فى الآخرة وفى هذه الدار ٭ كالإرادة المتعلقة بسائر المرادات الممكنات ٭ ما وقع منها فى الدنيا والآخرة إلى غير نهايات ٭ أعنى أعراض العذاب فى الجحيم
وأعراض النعيم فى الجنات ٭ ' وكذلك كمال القدرة التى يوجد الحق * بها ما يشاء * fol. 94 b
من المخلوقات ٭ لا من شىء كائن يفعل منه كما يفعله أهل الصنائع بالأسباب والآلات ٭ " وكذلك كمال علمه القديم الواحد المتعلق بسائر المعلومات ٭ الواجبات والجائزات والمستحيلات ٭ ما وقع من الجائزات ٭ وما سيقع إلى غير غايات ونهايات ٭ على ما صحت به الأخبار ونطقت به الآيات المحكمات ٭ وأجمعت عليه الأمة من خلود الكافرين فى النار والمؤمنين فى الجنات ٭ ' والحق سبحانه يجدد عليهم فى كل وقت ما يتنعمون به وتتعذب به الطائفة الأخرى ، والعياذ بالله خالق الأرض والسموات ٭ وهو سبحانه عالم فى أزله بعلمه القديم بتفصيل ما يخلقه لهم ويجدده عليهم لاستحالة قيام العلم الحادث بذاته أو صدور الأفعال خارجة عن

311 : *f.* C VII 140/143.

معلومه بالأدلة البينات . ' فاذا أدرك العبد كمال هذه الصفات وعرف كمال المتصف بها ، امتلأ قلبه بمحبته وتعظيمه وإجلاله فى عموم الأوقات ، ودام ذكره لمولاه ٭ وآثره فى تصرفاته على من سواه ٭ وتعلق قلبه بمشاهدته والتنعم برؤيته ، كما فعله الكليم (صلوات الله على نبينا وعليه) لما سمع كلام الحق سبحانه بغير واسطة : سأل رؤية الذات ، وأعلمه سبحانه أنه لا يطيق ذلك بما أراه من حال الجبل ، وصعق موسى (عليه السلام) لكمال العظمة والاحتشام ٭ ﴿ فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك ﴾ ثم رجع إلى قومه وعليه خلع التقريب والإكرام .

312 *" قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة محبة خاطفة تقطع العبارة ٭ * fol. 95 a
وتدقق الإشارة ٭ ولا تنتهى بالنعوت ، وهذه المحبة هى قطب هذا الشأن وما دونها محاب ؛ نادت عليها الألسن ، وادعتها الخليقة ، وأوجبتها العقول . " قلت : وهذه الدرجة فى المحبة أبلغ ، وهى كائنة عن كمال الاستغراق فى كمال الذات التى لم تزل ولا تزال ٭ والمنزهة عن التغير والزوال ٭ التى لا توصف بتقريب العبارة والأمثال ٭ القريبة من كل موجود من غير مداناة ولا اتصال ٭ البعيدة حتى حارت عقول من لم يثبته تثبيتها عن إدراك وجودها فضلاً عن صفاتها ذات الكمال ٭ التى لا أول لوجودها حتى يحصرها حد بمقال ٭ ولا آخر لبقائها حتى يتخيل لها زوال ٭ ' فسبحان من قرب من قلوب أحبائه بالرحمة لهم والإقبال ٭ وبعُد من قلوب أعدائه حتى صاروا عنه فى حيرة وضلال ٭ ونسأله أن يديم علينا كمال الإفضال ٭ ولا يسلب عنا من نعمه ما لا قدرة لنا على القيام بشكره بحال ٭ إنه ﴿ الكبير المتعال ﴾ . " فى مثل هذا البحر غرقت قلوب العارفين ٭ واستغرقت أرواح المحبين ٭ ولهذا كانت خاطفة للقلوب ٭ قاطعة للعبارة عما شاهدوه من الغيوب ٭ وما أشار

312 : *c.* C XIII 10/9.

إليه مَن هذه منزلته ۞ دقت فيه إشارته ۞ ولم يقدر أن يصف ما فى قلبه ، إذ لا ينتهى بالصفات والنعوت لانتفاء النهاية عما يجوز * أن يبلغه الحق عبيده من المقامات ۞ ويطلعهم عليه من أنواع الكشوفات ۞ فان القدرة الأزلية صالحة لكل ممكن ، والإمكان لا نهاية له . * fol. 95 b

313 [a] وقوله : وهذه المحبة قطب هذا الشأن أى قطب لمقام الخواص وما عداها من المحبة ، تبينها الألسن وتشرحها ، ويدعيها أكثر الخلق . [b] وتوجبها العقول أى تثبتها وتدل عليها ، فانها متعلقة بالإحسان والقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها . [c] وقوله عليه السلام : ﴿ اللهم لا تجعل لكافر علىّ يداً فيحبه قلبى . ﴾

[٦٢] . باب الغيرة

314 [a] قال الله عز وجل حاكياً عن سليمان عليه السلام : ﴿ ردوها علىّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق . ﴾ [b] قلت : ووجه الاستدلال بالآية غيرة سليمان عليه السلام على وقته الذى شغل فيه عن فكر ربه .

315 [a] قال الشيخ رحمه الله : الغيرة سقوط الاحتمال ضناً ۞ والضيق عن الصبر نفاسةً . [b] قلت : وهذا الحد فى الغيرة بالغ ، فان الخبر الصحيح فى مسلم قوله عليه السلام : ﴿ المؤمن يغار والحق يغار ومن غيرته حرم الفواحش ﴾ أو نحو هذا ، فقد جعل صلى الله عليه وسلم إبعاد ما يكره والإعراض عنه من الغيرة . [c] وقوله رحمه الله : الغيرة سقوط الاحتمال ضناً ، أى بخلاً بما هو فيه من الحال أن * يتشوش أو ينسب إلى نقص . [d] والضيق عن الصبر نفاسةً لا جزعاً ، يعنى * fol. 96 a

314 : a. C xxxviii 32/33.

أن ضيق صدره عن الصبر لا يكون الموجب له الجزع من البلاء أو لفوات المحبوب ، بل يكون الحامل عليه المنافسة فى الخير المغار عليه والألم لفواته أو المشاركة فيه .

316 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى غيرة العابد على ضائع يستردّ ضياعه ۞ ويستدرك فواته ۞ ويتدارك تواه . [b] قلت : والعابد عندهم عبارة عمن علق همته بالأعمال ولم يشتغل بمراعاة قلبه وحاله ، والتخلق بالورع والزهد والصبر والتوكل والرضى والتسليم إلى غير ذلك من أعمال القلوب . [c] فغيرة مَن هذه صفته على وقت له ضائع فى البطالة ، يستردّ ضياعه بدوام الأعمال ۞ ويستدرك فائتـه بالذكر والابتهـال ۞ ويتدارك تواه أى هلاكه بملازمة الرعاية له خوفاً من الاختلال .

317 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية غيرة المريد على وقت فات ؛ وهى غيرة قاتلة ، فان الوقت وحى الغضب ، أبى الجانب ، بطىء الرجوع . [b] قلت : وهذه الدرجة أبلغ فى الغيرة فان المريد هو السالك المتخلق كما قدمناه ، وما من وقت يمر عليه إلا وهو يخشى فوات مقصده فيه ؛ فكل وقت مضى عليه وهو غافل عن مقصوده أهلكه ولذلك قال غيرة قاتلة . [c] فان وقته وحى الغضب
* fol. 96 b أى سريعه ؛ أبى الجانب أى ممتنع ، * إذا طلب رجوعه لم يقدر عليه ؛ بطىء الرجوع يعنى حاله فى وقته ، لا نفس الوقت الذى هو الزمان ، فانه لا يتأتى عوده .

318 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة غيرة العارف على عين غطاها غين ۞ وسر غشيه رين ۞ ونَفَس علق برجاء أو التفت إلى عطاء . [b] قلت :

318 : c. C xii 39, xiii 17/16, xiv 49/48, xxxviii 65, xxxix 6/4, xl 16.

وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها ، فان غيرة السالك على ضياع أحواله وأوقاته فى غير السلوك ٭ وغيرة العارف على وجود حاصل يخشى عليه الرجوع أو الدلوك ٭ [e] وهو عين انفتحت لنظر الحق غطاها غين أى غفلة ، وسر بينه وبين مولاه ستره عنه هواه ، ونفَس أشار إلى محض الجمع ومقام الحقائق علق أى تعلق برجاء عوض أو التفت إلى جزاء ، فان جميع ذلك أغيار ٭ وحجب عن ﴿الواحد القهار﴾ .

[٦٣] . باب الشوق

319 [a] قال الله عز وجل : ﴿ من كان يرجوا لقاء الله فان أجل الله لآت . ﴾ [b] الشوق هبوب القلب إلى غائب ؛ وفى مذهب هذه الطائفة علة الشوق عظيمة ، فان الشوق إنما يكون إلى غائب ، ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة ؛ ولهذه العلة لم ينطق القرآن باسمه . [c] قلت : قوله الشوق هبوب القلب إلى غائب صحيح ، فان الحاصل لا يشتاق إلى حصوله كائناً ما * كان . [d] وقوله : فى مذهب * fol. 97 a
هذه الطائفة علة الشوق عظيمة ، فان الشوق إنما يكون لغائب ، ومذهب هذه الطائفة إنما قام على المشاهدة يعنى بذلك أرفع مقامات القرب وكمال التوحيد فانهم فى أفضل الأحوال . [e] فأما من كان من السالكين مع الحق فى حال أو مقام ، وكشف له الحق ما هو أشرف منه وأفضل ، اشتاق إليه ولم يكن شوقه علة فى حاله بل زيادة . [f] وقوله : ولهذه العلة لم ينطق القرآن باسمه ، يعنى فى أسمائه تعالى ونعوته بدلاً من المحبة فقال تعالى · ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ ولم يقل : « يشتاقهم ويشتاقونه » لأن الحق سبحانه لا يغيب عنه شىء ؛ هذا مراده (والله أعلم) .

320 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى

319 : *a.* C xxix 4/5 — *f.* C v 59/54.

شوق العابد إلى الجنة ، ليأمن الخائف ويفرح الحزين ويظفر الآمل . [b] قلت : وهذه الدرجة من الشوق إنما كانت الأولى لأنها شوق إلى مخلوق وهى الجنة . [c] ليأمن الخائف من النار ، ويفرح الحزين من خوف التقصير بالسلامة ، ويظفر الآمل بحصول أمله وهو دخول الجنة .

321 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية شوق إلى الله عز وجل ، زرعه الحب الذى نبت على حافات المنن ، فعلق قلبه بصفاته المقدسة ، فاشتاق إلى معاينة لطائف * كرمه ٭ وآيات بره ٭ وأعلام فضله ٭ وهذا شوق تغشاه * fol. 97 b
المبار ٭ وتخالجه المسار ٭ ويقاويه الاصطبار . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان هذه شوق إلى الخالق وتلك شوق إلى مخلوق ، ومتى صح لك حب الخالق فكل مخلوق حبه فى يدك . [c] وهذا الشوق زرعه أى بذره حب نبت على حافات المنن أى أنشأه الفكر فى جهات منن الله تعالى وهى نعمه المتوالية . [d] فأثمر هذا الفكر فى القلب محبة المتصف بالصفات القديمة المقدسة المطهرة عن الحديث المنزهة عن المماسة للمخلوق أو الحلول فيه أو به أو منه بجهة ﴿ تعالى ﴾ ربنا وصفاته عن ذلك ﴿ علواً كبيراً ﴾ ، فاشتاق إلى معاينة كرمه ولطفه فى خرق العادات ودلائل البينات . [e] وقوله : وهذا شوق تغشاه المبار أى تتوالى على صاحبه النعم فانه شاكر ، وقد قال تعالى : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ ؛ ويخالجه السرور أى يتخلله ، ويقوى فيه الصبر والاصطبار ٭ وحتى يلتحق بالخواص من الأبرار .

322 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة نار أضرمها صفو محبة ، فنغصت العيش ، وسلبت السلوة ، ولم ينهنها معزى دون اللقاء . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها بُعدٌ عن مقام الجمع وهذه الدرجة أقرب .

321 : *c.* المنن : النعم (corr. marg.) — *d.* C xvii 45/43 — *e.* C xiv 7.

* fol. 98 a [c] فان صاحبها * لا يرى لكمال شوقه غير ما اشتاق إليه ، فشوقه إليه نار تأجج ٭ وعيش مضيق عليه محرج ٭ وقلب فى بحار الشوق قد لحج ٭ لا يرده عن مقصوده شىء من التأويلات للنفس والحجج ٭ حتى يلقى من تبذل فى مرضاته الأرواح والمهج .

[٦٤]. باب القلق

323 [a] قال الله عز وجل حاكياً عن موسى عليه السلام : ﴿ وعجلت إليك رب لترضى . ﴾ القلق تحريك الشوق بإسقاط الصبر. [b] قلت : فهو على هذا من ثمرات الشوق ، فانه إذا قوى الشوق قلق المشتاق وقل صبره .

324 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى قلق يضيق الخُلق ، ويبغض الخَلق ، ويلذذ الموت. [b] قلت : وهذا القلق المزعج يفوت معه الصبر لغلبته على القلب ويكون صاحبه معذوراً لكونه محمولاً بشوقه ، فاذا ضاقت أخلاقه لتعذر الوصول إلى محبوبه ٭ ولم ير لنفسه شيئاً على مطلوبه ٭ أبغض كل ما يشغله عن طلبه ٭ وتمنى حصول الموت لنيل أربه .

325 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية قلق يغالب العقل ، ويخلى السمع ، ويصاول الطاقة. [b] قلت : ولا يخفى ما بين الدرجتين من التفاوت ، فان القلق الأول منع الصبر * مع إدراكه لفوات صبره ٭ وكونه محمولاً مغلوباً لقوة شوقه ٭ وهذه الدرجة قلق أخذ عقله فشغله عن ذكر غيره ٭ وأصم سمعه فأخلاه ٭ من سماع سواه ٭ وصال على قوته وطاقته فى الصبر فخمدت تحت إشارته ، فهو مشتغل عامل محرك فتحرك باعتبارين ووجهين . * fol. 98 b

323 : a. C xx 86/84.

326 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة قلق لا يرحم أبداً ٭ ولا يقبل أمداً ٭ ولا يبقى أحداً ٭ [b] قلت : وهذه الدرجة من القلق (والله أعلم) قلق من خص بلطائف التقريب ٭ وامتدت بصيرته بضياء الكشف إلى ما لا نهاية له من أنواع المعارف والتأديب ٭ فهو يترقى بالقلق العجيب ٭ وليس يقبل قلقه أمداً لانتفاء النهاية عن الإمكان فيما يطلعه عليه ﴿ القريب المجيب ﴾ ٭ ويزيل قلقه عن قلبه كل مذكور ٭ ولا يبقى عنده مذكور ٭ سوى من بيده تصريف الأمور .

[٦٥]. باب العطش

327 [a] قال الله عز وجل حاكياً عن خليله عليه السلام : ﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى . ﴾ [b] قلت : ووجه الإشارة بالآية قوله ﴿ هذا ربى ﴾ فان كان هذا القول من إبراهيم عليه السلام ، على أحد قولى أصل التفسير ، فى حال الصغر والطفولية ، فهو بحث وتفتيش عن الحق وتعطش * إليه ؛ وعلى القول الآخر إنه بمعنى الإنكار والتوبيخ والتفزيع لقومه ، ويدل عليه قوله عز وجل فى آخر الآية : ﴿ فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون ﴾ ، ففيه التعطش والتلهف فى إظهار الحق لقومه . * fol. 99 a

328 [a] قال الشيخ رحمه الله : العطش كناية عن غلبة ولوع بمأمول. [b] قلت : وهذا الحد جيد شامل لكل ما يتعطش إليه من المعانى والمحسوسات ؛ والولوع هو كثرة الشغل بالذكر لما يؤمل حصوله ، فلو كان مما لا يؤمل حصوله

326 : b. C xi 64/61.
327 : a. C vi 76.

لم يتعلق به قلبه إذ ليس من الممكنات له ، فان كل ممكن يصح وقوعه ؛ وإن كان مستحيلاً عادةً ، فالعادة يجوز خرقها فى كل شىء ، استمرت العادة عليه من غير تفصيل هذا فى الجواز العقلى . ' ووقوع هذا الخارق تتبع فيه شروط صحة النقل : فان كان مما يصح أن ينقله الأحاد (يث) ، اشترطنا فيه العدالة فحسب ليحصل الظن المعتبر شرعاً من الناقل . " وإن كان لا ينقل مثله إلا متواتراً ، كانقلاب بحر ملح عذباً لسائر الخلق أو تسيير جبل يشاهده الخلق أو قتل ملك أو دخوله بلدة عظيمة ، فهذا لا بد فيه من نقل عدد التواتر له وإلا كذبت العادة ناقله لاستمرار العلم بخلاف ما قاله . ' وإذا نقل متواتراً زال العلم الأول من الصدور لاستحالة كون الشىء الواحد معلوماً على النقيضين . ' وكذلك إذا منع وقوع بعض الممكنات مانعٌ شرعى ، فانه لا يقع لأدائه إلى المحال * وهو انقلاب الصدق *fol. 99 b
كذباً والصدق الحق خبر الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ مثاله أن العقل يجوز قيام الساعة اليوم ، ولكن قد أخبر الشرع أنها لا تقوم حتى يظهر الدجال وتطلع الشمس من مغربها والسدانة وعيسى بن مريم وياجوج وماجوج وغير ذلك ، ولم يقع شىء من ذلك فامتنع قيامها .

329 " قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى عطش المريد إلى شاهد يرويه ∘ أو إشارة تسقيه ∘ أو عطفة تؤويه . " قلت : وهذه الدرجة من العطش محمودة فى حق المريد السالك وإن كانت نقصاً فى منزلة الخواص لأنها أسباب وهم مجمعون بهممهم على الحق سبحانه . ' نعم المريد يحتاج إلى من يرقيه ويعينه على ما هو فيه ∘ فوجده الشواهد من نفسه يقويه ويرويه ∘ فيسكن بعض ما يجده من العطش لتفضل باريه ومنشيه ∘ ويجد الراحة بقلبه أيضاً إذا فهم إشارة الحق له باختصاصه بما يفعله وما يقرب قلبه منه ويدنيه ∘

وهذه هى العطفة التى من الحق عليه تؤويه ∘ أى تحفظ قلبه من الالتفات إلى غير الحق سبحانه وترزقه الثبات فى أحواله وأموره المقربة إليه .

330 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية عطش السالك إلى أجل يطويه ∘ ويوم يريه ما يعنيه ∘ ومنزل يستريح فيه . " قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان المريد الأول * كان عطشه لشىء يحمله على السلوك ، وهذه درجة السالك *fol. 100 a
فهو متعطش لقطع صفة من صفات نفسه المشغلة وهو المعبر عنه بأجل يطويه ؛ وإلى يوم يكون له فيه رؤية من يطلبه بسلوكه ويعنيه وهو الحق سبحانه ليستعين بذلك على ما هو فيه ؛ وإلى منزل يستريح فيه أى مقام تنقطع عنه فيه إشارات النفس ويقوى فيه القلب على الأدب مع خالق الأرض والسموات ∘ وتطيب فيه الأنفاس واللحظات .

331 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة عطش المحب إلى جلوة ما دونها سحاب علة ∘ ولا يغطيها حجاب تفرقة ∘ ولا يعرج دونها على انتظار . " قلت : وهذه الدرجة أبلغ فان السالك متعطش لذرة مما وجده المحب والمحب متعطش لأعلى مما هو فيه ، وهى جلوة من محبوبه ما دونها سحاب أى بكشف ووضوح ليس عليها حجاب علة من نفس المحب ، فان الحجب كلها على العبد من جهته والحق سبحانه يستحيل أن يحجب لا بسحاب ولا بحجاب . ' والسحاب هو ألطف من الحجاب ولذلك نوعه الشيخ فى كلامه ، ومراده زوال الحجب بالكلية ، اللطيفة منها والكثيفة ، عن سر المحب . " ولا يعرج المحب مع وجود هذه الحلاوة لكمالها على انتظار زيادة لما هو فيه من صحو الكشف ووضوح الشهود ∘ وذهاب العلل * من النفس وكمال التلف تحت الهيبة فضلاً عن الجمود . *fol. 100 b

[٦٦]. باب الوجد

332 "قال الله عز وجل : ﴿ وربطنا على قلوبهم إذ قاموا . ﴾ " قلت : ووجه الإشارة بالآية قوله ﴿ إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض . الآية ﴾ فقومتهم كانت عن وجد للحق .

333 "قال الشيخ رحمه الله : الوجد لهب يتأجج من شهود عارض مقلق ؛ وهو على ثلاث درجات : "الدرجة الأولى وجد عارض يستفيق له شاهد السمع أو شاهد البصر أو شاهد الفكر ، أبقى على صاحبه أثراً أو لم يبق . " قلت : وهذه الدرجة من الوجد تكون لعامة السالكين إذ تكون بواسطة السمع للأقوال التى فيها العبر والتذكار ، وتكون بواسطة البصر لما فيه من النظر لكمال الصنع بالاعتبار ، وتكون بالفكر فيما غاب عن السمع والعيان من أنواع المعتقدات أو المعلومات ، من عجائب المخلوقات وغرائب الصفات . "وقول الشيخ : أبقى على صاحبه أثراً أو لم يبق يعنى فى ظاهره ، تعود بركته عليه مدةً من الزمان فانه وجدٌ صحيح عن سبب صحيح .

334 "قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية وجد تستفيق له الروح بلمع نور أزلى ، أو سماع نداء أولى ، أو جذب حقيقى ، إن أبقى على صاحبه لباسه وإلا أبقى عليه نوره . * " قلت : وهذه الدرجة أرفع مما قبلها من وجهين : أحدهما (* fol. 101 a) أنه وجدٌ بغير واسطة الحواس ولا الفكر وإنما هو أنوار طرقت القلب . "وهو نور أزلى يعنى أن الحق سبحانه اختصه به فى الأزل إذ ليس فى الوجود أزلى غير الحق

332 : a. C xviii 13/14.
334 : d. C xxxv 21/22; xxvii 82/80.

سبحانه بصفاته ، وسائر الأنوار آثار قدرته وبره بخليقته . "وسماع نداء أولى صحيح أيضاً فان الحق سبحانه لم يزل متكلماً ولا يزال ؛ والحق يسمع كلامه من يشاء ، تارةً بأذنى رأسه كما اختص موسى عليه السلام ، وتارةً بأذن قلبه كما قال تعالى : ﴿ إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور ﴾ وقال : ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾ وإن كانوا أحياء يسمعون بأذنى رؤوسهم كلامه عليه السلام . "الوجه الثانى فى رفعة هذه الدرجة أن الوجد يبقى على صاحبه أثراً ينتفع به مدةً فى سكره وبعد صحوه ، إن أبقى عليه لباسه وهو تململه وبقايا سكره وإلا أبقى عليه نوره وهو انكساره فى ظاهره وأدبه وحسن كلامه ولطيف إشارته .

335 "قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة وجد يخطف العبد من يد الكونين ، ويمحص معناه من درن الحظ ، ويسلبه من رق الماء والطين ، إن سلبه أنساه اسمه ، وإن أبقاه أعاره رسمه . " قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها ، فان ما قبلها فيه تفرقة مع ملاحظة النور وسماع النداء ، *وهذه الدرجة اصطلام (* fol. 101 b) بالكلية ، تزيل عن قلب العبد ذكر الدنيا والآخرة ؛ وهى خطفه من يد الكونين ، وتمحيص معناه للحق من سائر الحظوظ . "وتسلبه من رق الماء والطين أى ملاحظته لنفسه وتدبيره لأمر بدنه ، إن سلبه مولاه الوجد بالكلية أنساه اسم نفسه ، وإن أبقاه الحق أعاره رسمه أى أدرك نفسه مستعملة مقهورة تحت رق الوجد .

[٦٧]. باب الدهش

336 "قال الله عز وجل : ﴿ فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن . ﴾ الدهش بهتة تأخذ العبد إذا فاجأه ما يغلب عقله أو صبره أو علمه . " قلت : ووجه

336 : ab. C xii 31.

الإشارة بالآية من قوله : ﴿ فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن ﴾ وهن لا يشعرن بذلك .

337 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى دهشة المريد عند صولة الحال على علمه * والوجد على طاقته * والكشف على همته . [b] قلت : صولة الحال على علمه يعنى أوائل ما يطرقه من البروق واللوائح التى تلوح للصادقين ، فيذوقها الصادق حقاً وحالاً * بعد ما كان يعلمها علماً . [c] وكذلك يدهش لصولة الوجد على طاقته وقوة عزيمته على كتم وجده ، فيطرى منه ما يغلبه . [d] وكذلك يدهش ⟨ لصولة الكشف على همته ⟩ : إذا كانت همته متعلقة بمطلوب وكشف له عنه ورأى *جمال الحال وكماله ، دهش لذلك . * fol. 102 a

338 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية دهشة السالك عند صولة الجمع على رسمه * والسبق على وقته * والمشاهدة على روحه . [b] قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها ، فان المبتدىء يعمل فى تبديل الأخلاق المذمومة بالأخلاق المحمودة والسالك هو المتلون مع الأحوال والمتمكن فى المقامات ، فيدهش إذا كان ملاحظاً لنفسه وأعماله ثم ورد عليه وارد جمعٍ . [c] وكذلك عند صولة خاطر السبق ، وهو ما سبق له عند الحق سبحانه ، على وقته أى ما هو فيه من الاستقامة فى الحال * فيدهش لملاحظة اللطف فى الأزل عن الحال * وكذلك من خوف التغيير فى الاستقبال [d] وكذلك يدهش عند صولة الفتح بالمشاهدة على روحه لضعفها عن حمل ما يرد عليها من الكشف والأنوار.

339 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة دهشة المحب عند صولة

337 : *a.* الحال : marg. الحق; همته : marg. add. فيغلبه ويبطل مقتضاه ويحكم عليه بمقتضى الحال — *b.* الحال : الحق (corr. marg.).

الاتصال على لطف العطية ، وصولة نور القرب على نور العطف ، وصولة شوق العيان على شوق الخبر. [b] قلت : وحال المحب أتم من حال السالك ، فان المحب نعم الحق سبحانه عليه متوالية * وألطافه به متواترة متعالية * فاذا صال لطف رؤية الاتصال * على لطف العطية من ذى الأفضال * دهش قلبه بذلك فى الحال . [c] وإذا صال برق نور *قربه من مولاه فى قلبه * وأشرق نور عطفه عليه وعطائه * دهش لنور القرب وغفل عن نور العطاء والعطف . [d] وكذلك يدهش عند خطور شوق المعاينة بالبال * وصولته على ما اتصف به من شوق سماع الخبر عنه فى المآل أو الحال . * fol. 102 b

[٦٨] . باب الهيمان

340 [a] قال الله عز وجل : ﴿ وخر موسى صعقاً . ﴾ [b] قلت : ووجه الإشارة بالآية أن غلبة الكشف على قلب الكليم عليه السلام وقوته * أوجبت له الصعق والهيمان فى وجده ودوامه * ﴿ فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك ﴾ وذلك لكمال وجده وثبوت حاله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك كان أثبت من الدهش فانه قد يكون الدهش لحظةً ويذهب عن العبد ولا يدوم .

341 [a] قال الشيخ رحمه الله : الهيمان ذهاب عن التمسك تعجباً أو حيرةً ، وهو أثبت دواماً وأملك بالنعت من الدهش . [b] وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى هيمان فى شيم أوائل برق اللطف عند قصد الطريق ، مع ملاحظة العبد خسة قدره * وسفال منزلته * وتفاهة قيمته . [c] قلت : وهذا هيمان المبتدىء فى الطريق * عند لوائح برق التوفيق * وكمال الإيمان فى قلبه بالتصديق * ورؤية ما هو فيه من التقصير فى حق مولاه * وتفكره فى خسة نفسه وقت مخالفتها لأوامره

340 : *a.* C VII 139/143 — *b.* C VII 140/143.

ونواهيه * وسفال مرتبتها *وهو نزولها * وتفاهة قدرها وهو قلة قيمتها . d فاذا اجتمع فى القلب نور التنبيه على هذه الجهات * مع صحة الإيمان بالله وقبح المخالفات * هام القلب فى هذه الحالات * هيمان المتحير فى الخلاص من الآفات * وهذا هو الهيمان للحيرة فى بعض الأوقات . * fol. 103 a

342 a قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية هيمان فى تلاطم أمواج التحقيق عند ظهور براهينه * وتواصل عجائبه * ولياح أنواره . b قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها فى الهيمان ، فانها هيمان فى كمال الأنوار وترادفها واختلاف أفوارها على المتقين . c فمتى ارتفعت درجة العبد وانفتحت بصيرته فى عجائب الملكوت * وتفرغ قلبه من المشغلات فى أسباب دفع ألم الحر والبرد والقوت * توالت على قلبه أدلة التحقيق من ﴿الحى القيوم﴾ الذى لا يموت * فهامن فيها وفى عجائبها * وفيما ظهر له من أنواعها .

343 a قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة هيمان عند الوقوع فى عين القدم ، ومعاينة سلطان الأزل ، والغرق فى بحر الكشف . b قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها من جهة تعلق الهيمان فيها بالتوحيد * وبُـعد القلب عن الأسباب والأدلة على التجريد والتفريد . c فاذا لاح للقلب كمال الذات الموصوفة بالصفات * وتنزهها عن النقائص والآفات * *واستحالة نسبتها إلى الأقطار والجهات * وعلوها ورفعتها عن مداناة الأرض والسموات * وتعلق صفاتها القديمة بسائر المتعلقات * وتخصيص أفعاله بالوقوع على ما سبق به علمه من الهيئات والصفات والأوقات * غرق القلب وهام فى بحار التحقيق * واستغرق فى مقام الجمع عن مقام التفريق . * fol. 103 b

342 : a. التحقيق : marg. gl. العلمى وهو العلم الذى (: اللدنى) هو ميراث العمل ولياح أنواره — c. C II 256/255, III 1/2, XX 110/111.

[٦٩] . باب البرق

344 a قال الله عز وجل : ﴿إذ رأى ناراً .﴾ البرق باكورة تلمع للعبد فتدعوه إلى الدخول فى هذا الطريق ؛ والفرق بينه وبين الوجد أن الوجد يقع بعد الدخول فيه ، والوجد زاد والبرق إذن . b قلت : وما ذكره الشيخ رحمه الله فى حد البرق واضح ، فان البرق ⟨من⟩ مقدمات الخير والغيث والوجد ، وهو مقدم عليه * وسبب فى تحصيله * وحامل على نيله . c والبروق لموامع تطرق القلوب وتحمل على الدخول فى الطلب * والمواجيد أزودة وأسباب لتحصيل المقصد والأرب * والبرق يخطف البصر ويذهب * والوجد يحرق الفؤاد للطلب ويلهب .

345 a قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى برق يلمع من جانب العدة فى عين الرجاء * يستكثر فيه العبد القليل من العطاء * ويستقل فيه الكثير من الأعباء * ويستحلى فيه مرارة القضاء . b قلت : وهذه الدرجة *أول درجات البرق ، فان البرق نور يبشر بغيث وفتح ، فتحسن إضافته إلى الرجاء ؛ وإنما يلمع برق الرجاء من أقطار الوعد الصادق بواسطة جريان أسبابه . c فمتى استشعر العبد حسن ظنه بربه * وعمل على رجائه * وشكر قليل العطاء من ربه * لامتلاء قلبه بحسن الجزاء * لم يستثقل الكثير من التعب والعناء * فى جنب ما يأمله من العطاء * ويستحلى فى ذلك ما يقاسيه من مر القضاء . * fol. 104 a

346 a قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية برق يلمع من جانب الوعيد فى عين الحذر ؛ فيستقصر فيه العبد الطويل من الأمل ، ويزهد فى الخلق على القرب ، ويرغب فى تطهير السر . b قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها ، فان

344 : a. C XX 9/10.

الخوف يقبض والرجاء يبسط ، وإنما يستضىء بالخوف من جانب الوعيد من اتسع نظره فى الألطاف . [e] فانه متى حذر العبد الفوت اشتد عزمه فى تحصيل مطلوبه إن كان مسدداً ، فيصير كل بعيد قصيراً فى عينه لقوة عزمه ٭ وكل عمل يؤخره عنه الأمل نصب عينه ٭ ويقطع كل مشغل يشغله عن الطلب ٭ ويزيل كل مشوش لقلبه من محبوب أوسبب ٭ رغبةً فى تطهير قلبه من المشغلات وعمارة الأوقات .

347 [d] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة برق يلمع من جانب اللطف فى عين الافتقار ٭ فينشىء سحاب السرور ، *ويمطر قطر الطرب ، ويجرى نهر الافتخار . [d] قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها ، فان ما قبلها برق يحمل على الأعمال ٭ وهذا برق يثير من القلب صافى الأحوال . [e] فان العبد إذا لاحظ ما هو فيه من الألطاف بعين الافتقار إليه ، كان ذلك من أعظم الشكر وأجل سبب فى المزيد . [d] وإذا توالت عليه النعم نشأت فى قلبه سحائب السرور ، وإذا غيمت على قلبه هذه السحائب وامتلأت أقطاره بذلك ، أمطرت قلبه قطر الطرب بما هو فيه من لذيذ السرور وجرى على ظاهره نهر الافتخار ٭ من غير عجب ولا إضرار ٭ بل فرح بفضل ﴿الواحد القهار﴾ . [d] ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ ، وقال عليه السلام : ﴿أنا سيد ولد آدم يوم القيامة﴾ ولا فخر يعنى على أحد من الخلق ، بل هو ذكر لفضل الله عليه .

* fol. 104 b

[٧٠] . باب الذوق

348 [a] قال الله عز وجل : ﴿هذا ذكرٌ .﴾ [b] قلت : ووجه الإشارة

347 : d. C xii 39, xiii 17/16, xiv 49/48, xxxviii 65, xxxix 6/4, xl 16 — e. C x 59/58.
348 : a. C xxxviii 49.

بالآية (والله أعلم) أن الذوق أوائل الشرب كما أن ذكر النعيم وما أعد الله للمتقين أوائل نعيمهم فى الدنيا قبل وصولهم لكمال التنعم فى الأخرى بالحلول فيه .

349 [c] قال الشيخ رحمه الله : الذوق أبقى من الوجد وأجلى من البرق ؛ وهو على ثلاث درجات : [d] الدرجة الأولى ذوق التصديق طعم العدة ، فلا يغفله ظن ولا *يقطعه أمل ولا تعوقه أمنية . [e] قلت : ومن ذاق طعم وعده سبحانه بما أجراه عليه فى دنياه ٭ من لطفه له وإكرامه إياه ٭ فى سائر أحواله ٭ من طلبه من ربه وسؤاله ٭ لقوله تعالى مادحاً نفسه وذاكراً لإيجازة وعده : ﴿أم من يجيب المضطر إذا دعاه﴾ وصار تصديقه وإيمانه يقيناً ، لم يغفله عن طلبه من ربه ظن تأخير ولا تأويل ٭ ولم يقطعه بُعد أمل من حصوله مرغوبه ولا تأجيل ٭ ولا يعوقه عن الجد فى تحصيل يقصده اشتغال بأمنيته ولا تعطيل .

* fol. 105 a

350 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية ذوق الإرادة طعم الأنس ؛ فلا يعلق به شاغل ، ولا يفتنه عارض ، ولا تكدره تفرقة . [d] قلت : وهذه الدرجة فى الذوق أبلغ ، فان الأولى ذوق إيمان وتصديق طعم وعد الله ووفائه بذلك ورسوخه فى القلب كما قال عليه السلام : ﴿ذاق طعم الإيمان مَن رضى بالله رباً .﴾ ، وهذه الدرجة ذوق الإرادة ، وهى عند القوم التجرد عن الإرادات والأغراض ، فيذوق طعم الأنس بالله . [e] فان من تفرغ قلبه من المشغلات ٭ وأعرض عن اللذات العاجلات ٭ مع صحة يقينه وتصديقه وشغله بالأعمال المقربات ٭ ذاق طعم الأنس بالله والتلذذ بمناجاته فى الخلوات ٭ فلا يعلق بقلبه شاغل يشغله عن مرامه ، ولا يفتنه عارض أى يرده على عقبه ، ولا تكدر أنسه تفرقة أى لا تشوب جمعه مع من تأنس به تفرقة .

349 : c. C xxvii 63/62.

*fol. 105 b

351 *" قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة ذوق الانقطاع طعم الاتصال ، وذوق الهمة طعم الجمع ، وذوق المسامرة طعم العيان . " قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها بقاء مع الأحوال وهذه الدرجة خروج عنها . ' وذلك أن المتمكن فى حال الإعراض عن الأسباب ، أعمالاً كانت أو أحوالاً ، هو الذى يجد طعم الوصال حقيقةً ، وبمقدار إعراض قلبه عن الأغيار يكون انقطاعه عنهم ، وإذا انقطع عنهم له اتصل به . " وكذلك من تمكن فى جمع همه على الحق سبحانه وجد لذة الجمع بين يديه وذاق طعم قربه منه ، حتى قلت غفلاته عنه وانفتحت عين قلبه فدام نظره إليه بها ؛ والله ﴿الفتاح ⟨العليم⟩﴾ .

351 : d. C xxxiv 25/26.

[VIII - قسم الولايات]

352 " وأما قسم الولايات فهى عشرة أبواب ، وهى : اللحظ ، والوقت ، والصفاء ، والسرور ، والسر ، والنفَس ، والغربة ، والغرق ، والغيبة ، والتمكن .

[٧١] . باب اللحظ

353 " قال الله عز وجل : ﴿أنظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى .﴾ " قلت : وموضع الإشارة بالآية قوله تعالى : ﴿أنظر إلى الجبل﴾ أى لكمال العظمة والاقتدار فيه * لصيرورة الجبل دكاً لمشاهدته ما تجلى له من الحق . *fol. 106 a

354 " قال الشيخ رحمه الله : (اللحظ لمع مسترق) وهو فى هذا الباب على ثلاث درجات : " الدرجة الأولى ملاحظة الفضل سبقاً ، وهى تقطع طريق السؤال إلا ما استحقته الربوبية من إظهار التذلل لها ، وتنبت السرور إلا ما يشوبه من حذر المكر ، ويبعث على الشكر إلا ما قام به الحق عز وجل من حق الصفة . ' قلت : ومن لاحظ بعين قلبه ما سبق له من مولاه من جزيل الفضل والإحسان ۝ من غير عمل من قلبه ولا تقرب إليه بقربان ۝ ورأى ما هو فيه من أنواع الحبور ۝ فينشرح صدره لقبول سائر الأمور ۝ إلا ما يخشاه من المكر والعياذ بالله الذى بيده تصاريف الأمور . " وكذلك يبعثه على كمال الشكر لرب العالمين ۝ على السراء والضراء فى كل حين ۝ إلا ما عجزت قدرته عن شكره ۝ فان الحق سبحانه

353 : a. C vii 139/143 — b. استحقته الربوبية : استحقه الحق سبحانه (corr. marg.); لها : له (corr. marg.).

يقوم به لنفسه ، لحق كماله وجلاله وصفات ذاته ، إذ كل شكر نعمة منه على العبد فلا سبيل له إلى استيفائه .

355 "قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية ملاحظة نور الكشف ؛ وهى تسبل لباس التولى ، وتذيق طعم التجلى ، وتعصم من عوار التسلى . "قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها ملاحظة ما سبق بنور العلم ، وهذه ملاحظة كشف لحال قد استولى على قلبه حتى شغله عن الخلق ، *وهو المعبر عنه *fol. 106 b
بإسبال لباس التولى . "وتذيقه طعم التجلى أى تمكنه فيه ، وبه تكون عصمته عن عوار التسلى أى نقصه فلا يسلو عن طلب حاله والزيادة فيه أبداً .

356 "قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة ملاحظة عين الجمع ؛ وهى توقظ لاستهانة المجاهدات ، وتخلص من رعونة المعارضات ، وتفيد مطالعة البدايات . "قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها مطالعة كشف وأنوار ، وتدقيق إشارة إلى كسب واختيار ، وهاهنا مطالعة تبعث القلب من التفرق فى أودية الإرادات ، والأحوال والمقامات ، إلى ما استولى عليه من عين الجمع إلى نظر الواحد الفرد المتصف بكمال الصفات ، "فحالته هذه توقظ قلبه لاستهانته بالمجاهدات ، لما ناله مما هو من عظيم اللذات ، وعون خالق الأرض والسموات ، وتخلصه من رعونة المعارضات ، أى تردد خواطره فى الحمل على القربات ، وتفيده دوام مطالعة البدايات ، أى السوابق فانه ثمرة جمع الهمة على ما سبق له من التقديرات .

[٧٢] . باب الوقت

357 "قال الله عز وجل : ﴿ثم جئت على قدر يا موسى .﴾ الوقت اسم

357 : *a*. C xx 42/40.

لظرف الكون ، وهو اسم فى هذا الباب لثلاثة معان على ثلاث درجات : "المعنى الأول حين وجدٍ صادق لإيناس ضياء فضل *جذبه صفاء رجاء ، أو لعصمة *fol. 107 a
جذبها صدق خوف ، أو لتلهيب شوق جذبه اشتعال محبة . "قلت : قوله : الوقت اسم لظرف الكون صحيح وإن كان الوقت من جملة الأكوان والأفعال ، فان الوقت عند أهل الأصول مقارنة حادث لحادث ؛ ألا أن حركة الفلك مثلاً ، وإن كانت حادثة ، فهى وقت لحركة الإنسان أو لكونه ووجوده . "وأما على رأى القوم فوقت العبد ما هو فيه من الزمان ، ووقته فى حاله ما أوجده الحق سبحانه له فهو ظرفه أيضاً ؛ وله معان ثلاث : "الأول قيام وجدٍ بقلبه ، يكون سببه إدراك ضياء فضل عن رجاء صاف لا يكدره رجاء غيره ؛ أو يكون سبب وجده ملاحظته لعصمة هو فيها ، كانت عن خوف صادق ؛ أو يكون سبب وجده تلهيب شوق عن محبة صحيحة ؛ وذلك أن الحوامل على الأعمال وعمارة الأوقات إما خوف أو رجاء أو محبة وامتثال .

358 "قال الشيخ رحمه الله : والمعنى الثانى اسم لطريق سالك يسير بين تمكن وتلون لكنه إلى التمكن ، ما هو يسلك الحال ويلتفت إلى العلم ، فالعلم يشغله فى حين والحال تحمله فى حين ؛ فبلاؤه بينهما تذيقه شهوداً طوراً ، وتكسوه غيرةً طوراً ، ويريه عبرة تفرقٍ طوراً . "قلت : وهذه الدرجة فى الوقت أتم ، فان الأول وقت وجدٍ حاملٍ على السلوك ، إما *خوف أو رجاء أو محبة ، وهاهنا *fol. 107 b
وقت سالك متلون مع الأحوال ، التى تطرق قلبه من فضل ربه ﴿الكبير المتعال﴾ ، "فتارةً يغلب على قلبه حال الهيبة والإجلال ، فيشغله عن تدبير نفسه فى الحال ، وتارةً يغلب عليه نور العلم والتفرقة مع نفسه فيشتغل بتدبيرها ، والنظر فى مصالحها ،

358 : *a*. عبرة تفرق : marg. غيرة تفرقاً — *b*. C xiii 10/9.

التى أباحها لها ربها . " والحال الأول الذى يحمله ويشغله عن نفسه يكون تارةً شهوداً وتارةً غيرةً وتارةً عبرةً ، وإنما كانت العبرة تفرقة من جهة اعتباره بالأفعال واستدلاله عليه بها .

359 " قال الشيخ رحمه الله : والمعنى الثالث قالوا : « الوقت الحق » ، أرادوا به استغراق رسم الوقت فى وجود الحق ؛ وهذا المعنى يشق على هذا الاسم عندى ، لكنه هو اسم فى هذا المعنى الثالث لحين يتلاشى فيه الرسم كشفاً لا وجوداً محضاً ؛ وهو فوق البرق والوجد ، وهو يشارف مقام الجمع لو دام وبقى ؛ ولا يبلغ وادى الوجود ، لكنه يكفى مؤنة المعاملة ، ويصفى عين المسامرة ، ويشم روائح الوجود . " قلت : وهذا المعنى فى الوقت أتم ، فان الأول وقت سلوك بتلون ◦ وهذا وقت كشف بتمكن . " وكذلك أطلقوا عليه اسم الحق لغلبة حكمه على قلب صاحبه ، فلا يحس برسم الوقت بل يتلاشى ذكر وقته من قلبه لما قهره
من نور الكشف . * " وقوله : لا وجوداً محضاً يعنى أن الوجود المحض أتم من *fol. 108 a
الكشف ، فان الكشف قد لا يدوم والوجود يشعر بالدوام . " وكذلك جعل الكشف فوق البرق والوجد ودون الوجود ، فان دلالة لفظ الوجود على معنى تمكن الكشف أتم وأبلغ . " ولذلك كان قريباً من مقام الجمع وهو ذهاب شعور القلب بغير الحق شغلاً به عن غيره . " وقوله : ولكنه يكفى مؤنة المعاملة يعنى الكشف أى يخففها ، ويصفى عين المسامرة أى يخلصها من ذكر غيره ، ويشم رائحة الوجود أى يذيق أوائله ◦ ويفيد رائحته وبرده .

[٧٣] . باب الصفاء

360 " قال الله عز وجل : ﴿ وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار . ﴾ الصفاء

360 : a. C xxxviii 47.

اسم للبراءة من الكدر ، وهو فى هذا الباب سقوط التلوين ؛ وهو على ثلاث درجات : " الدرجة الأولى صفاء علم يهذب لسلوك الطريق ، ويبصر غاية الحد ، ويصحح همة القاصد . " قلت : وإذا كان الصفاء اسم للبراءة من الكدر ، فالعلم بعيد من الكدر بالكلية إذا صح ، سواء تعلق بمعاملة أو مكاشفة ، فانه ضد الظن والشك والاعتقاد وغيرها . " فبالعلم يتهذب السالك فى الحال والاستقبال ◦ وبه يبصر
غاية الحد العقلى أو الشرعى فيحسن منه الجد فى الطلب * للمنال ◦ وبه تعلو *fol. 108 b
همته ويشرف مقصده على كل حال ◦ فى سائر المقامات والأحوال .

361 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية صفاء حال تشاهد به شواهد التحقيق ، وتذاق به حلاوة المناجاة ، وينسى به الكون . " قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان الحال ثمرة العلم ، فلا يصفو الحال إلا بصفاء العلم المتعلق به المثمر له ، وعلى حسب شوب العلم يكون شوب الحال . " وإذا صفا الحال ، شاهد العبد بصفائه آثار الحقائق وهى شواهده فيه وعليه وعلى غيره ، ووجد حلاوة المناجاة مع الحق . " وإذا تمكن فى ذلك نسى ما سواه من الكون وربما نسى الكونين .

362 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة صفاء اتصال يدرج حظ العبودية فى حق الربوبية ، ويغرق نهايات الخبر فى بدايات العيان ، ويطوى خسة التكاليف فى عز الأزل . " قلت : وهذه الدرجة أبلغ ولا يخفى ما بين أرباب الأحوال وأصحاب التمكين من التفاوت . " فمن تمكن فى قلبه تعظيم الواحد الفرد ، اندرج قدر علمه جميعه فى حق مولاه ◦ وسقط عن قلبه طلب الجزاء عليه لحقارته وقلته عنده ◦ وغلب على قلبه مما هو فيه من إكرام مولاه فى دنياه ◦ من ثمرات
عمل أخراه ◦ ما أنساه لمعاينته إياه ◦ * ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم *fol. 109 a

من الإكرام فى أخراه . وهو مراده بغرق نهايات الخبر فى بدايات العيان (والله أعلم) . [b] وكذلك يسهل عليه القيام بسائر التكاليف الشاقة على غيره . نظراً إلى فضل المكلف وعزه وجلاله . وهو قوله : ويطوى خسة التكاليف فى عز الأزل ؛ وتسميتها بالخسة أى بالقلة والخفة بالإضافة إلى جلال المكلف ، وفى اللفظ قلق وغيره أولى فلذلك شرحناه (والله الموفق) .

[٧٤] . باب السرور

363 [a] قال الله عز وجل : ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون.﴾ السرور اسم لاستبشار جامع ؛ وهو أصفى من الفرح لأن الأفراح ربما شابتها الأحزان ، ولذلك نزل القرآن باسمه فى أفراح الدنيا فى مواضع وورد اسم السرور فى موضعين فى القرآن فى حال الآخرة . [b] قلت : ما ذكره الشيخ (وفقه الله تعالى) من أن السرور اسم لاستبشار جامع وهو أصفى من الفرح لأن الأفراح ربما شابتها الأحزان بخلاف السرور فانه لا يشوبه حزن ، هذه قضية اعتيادية وجودية : [c] إذا امتلأ القلب وابتهج بشىء حتى صار مسروراً بحصوله ، بعُد خطور الحزن من قلبه بخلاف الفرح ، فانه حركة القلب لحصول محبوب (*fol. 109 b) وهو مدرك لما يحزن عليه . *[d] وقوله : ولذلك نزل القرآن باسم الفرح فى أفراح الدنيا يعنى أن أفراح الدنيا لا تخلو من ممازجة الحزن بخلاف أفراح الآخرة فانه لا حزن فى الجنة . [e] ولذلك ورد الفرح فى الدنيا فى مواضع منها قوله تعالى : ﴿فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ و ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله﴾ وغير ذلك . [f] وأما السرور فقال تعالى : ﴿وينقلب إلى أهله مسروراً﴾ فهذا

363 : *a*. C x 59/58 — *c*. بقلبه : من قلبه — *e*. C x 59/58; IX 82/81 — *f*. C LXXXIV 9; LXXVI 11.

فى الآخرة ، وقال تعالى : ﴿ولقاهم نضرة وسروراً﴾ فهذا فى الآخرة . فقد تحقق بهذا نزول القرآن بالفرح فى الدنيا والسرور فى الآخرة (والله أعلم) .

364 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو فى هذا الباب على ثلاث درجات : الدرجة الأولى سرور ذوق ذهب بثلاثة أحزان : حزن أورثه خوف الانقطاع ، وحزن هاجته ظلمة الجهل ، وحزن أغشته وحشة التفرق . [b] قلت : أورد الشيخ التقسيم هاهنا على ضد السرور وهو الحزن ، وكان حقه أن يورده على نفس المسرور به فانه المتعلق بعين تقسيم المذكور فى الباب . [c] ويمكن أن يقال سروره بتحصيل الوصال الذى هو ضد الانقطاع ، ويكون سروره بضياء العلم الذى هو ضد ظلمة الجهل ، ويكون سروره بنور الجمع الذى هو ضد التفرقة ، فينتفى الضد لوجود ضده .

(*fol. 110 a) 365 *[a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية سرور شهود كشف حجاب العلم ، وفك رق التكليف ، ونفى صغار الاختيار . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها سرور ذوق ينفى عنه أحزاناً مذكورة . وهذا سرور كشف وإيضاح يجلى له فوائد مستورة . [c] وقوله : كشف حجاب العلم أى الوقوف مع ما يقتضى العلم صحته من الأعمال خاصةً ، فمتى اعتقد العبد أن العلم بهذا غاية الكمال ولم يدرك ما وراءه من الفضائل ووقف معه ، كان ذلك حجاباً له عما هو أعلى منه وهو الانتقال إلى الأحوال وعدم سكون النفس إلى ما علمته أو عملته من الطاعات . ورؤية الفضل فى ذلك لخالق الأرض والسموات . [d] وقوله : وفك رق التكليف ليس مراده أنه يخرج عن التكاليف الشرعية ولا أنه يترك استعمالها فى نفسه أو يأمر غيره به ، بل المراد أنها تجرى عليه بسهولة ولا تبقى عليه فى تعاطيها كلفة وهذا المراد بقوله من رقها . [e] وقوله : نفى صغار الاختيار يريد بذلك أن العبد ،

متى كان مربوطاً باختياراته ، محبوساً فى سجن شهواته ومراداته ، فهو فى ذل وصغار ، ومتى وصل إلى هذا الحد من المعرفة ، نفى عن قلبه صغار الاختيار ، وصار حراً من الأحرار.

366 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة سرور سماع الإجابة ؛ وهو سرور يمحو آثار الوحشة ، *ويقرع باب المشاهدة ، ويضحك الروح . " قلت : وهذا السرور يدركه العبد من نفسه بقلبه ، بعد دعائه ربه فى حوائجه . ' فيعرف وقت حصول إجابة مسألته ، تارةً عقيب اضطراره وحصول رقة قلبه وجريان دمعه مأخوذ من قوله تعالى : ﴿أم من يجيب المضطر إذا دعاه﴾ و ﴿ادعونى أستجب لكم﴾ ، وتارةً بما جربه العبد من نفسه ومن جريان المدعو به على حسب مراده ومطلبه . " وإذا تكرر هذا النوع على القلب ، محى عنه آثار وحشة البُعد وحمله على دوام النظر إلى فضل الحق ، وهذا قرع باب المشاهدة . ' ويضحك الروح أى يفرحه ويوقظه ويحركه ويستخرج فوائده . * fol. 110 b

[٧٥] . باب السر

367 " قال الله عز وجل : ﴿الله أعلم بما فى أنفسهم .﴾ أصحاب السر هم الأخفياء الذين ورد فيهم الخبر. " قلت : يعنى (والله أعلم) قوله عليه السلام : ﴿الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا وإذا شهدوا لم يستشاروا﴾ وهم أخفياء أتقياء على ما ورد فيهم الحديث .

368 " قال الشيخ رحمه الله : وهم على ثلاث طبقات : الطبقة الأولى

366 : c. C XXVII 63/62; XL 62/60.

367 : a. C XI 33/31.

طائفة علت هممهم ، وصفت قصودهم ، وصح سلوكهم ، ولم يوقف لهم على رسم ، ولم ينسبوا إلى اسم ، ولم تشر إليهم الأصابع ؛ أولئك ذخائر الله حيث كانوا . " قلت : هذه الطائفة ملطوف *بهم محفوظون من كثير من الفتن ؛ فان كل متعين فى الخلق تتعلق به حقوق وتلزمه لوازم ويحتاج إلى مجاهدة أكثر من غيره ، وإن كان فى نفسه همته عالية وقصوده صافية ، فان المشوشات تشغله وتعوقه عن سلوكه على حسب حاله . ' فهم فى أنفسهم مسرون أى مخفون ، ومعهم أيضاً من الله سر فى قلوبهم به امتازوا عن غيرهم . * fol. 111 a

369 " قال الشيخ رحمه الله : والطبقة الثانية طائفة أشاروا عن منزل وهم فى غيره ، ووروا بأمر هم لغيره ، ونادوا على شأن وهم على غيره ، بين غيرة عليهم تسترهم ، وأدب فيهم يصونهم ، وظرف يهذبهم . " قلت : وهذه الطبقة أرفع مما قبلها ، فان ما قبلها استسروا قهراً وجبراً وهؤلاء مستسرون اختياراً وصيانةً لأحوالهم وكمالاً فى تمكنهم ، فمقاماتهم عالية وظواهرهم مما اتصفت به قلوبهم سالمة طاهرة ، يشيرون إلى ما يعرفونه من مقامات المريدين السالكين وهم محققون فى معرفتها وسلوكها ، ويخفون ما مكنهم الحق سبحانه فيه من أحوال المحبة ومواجيدها ، وآثار المعرفة وكمال توحيدها . ' وهذه هى المعاريض وهى التورية : يورون بشيء أى يظهرون شيئاً ويخفون غيره ، وهم محققون فى الحالين لكنهم يسترون أشرف أحوالهم عن الخليقة .

370 *" قال الشيخ رحمه الله : فأحوالهم بين غيرة يعنى من الحق بها يسترون ، وبين أدب مع الحق به يصانون ، وبين ظرف فى كمال معاملتهم * fol. 111 b

370 : a. Cette phrase ne fait pas partie du texte des *Manāzil;* elle n'est que la paraphrase de la seconde partie de § 369 a dont l'auteur rappelle le contenu pour introduire son commentaire (cf. § 119 a, 398 a.).

به يتهذبون . " قلت : الغيرة منهم على أن يطلع غيرهم على ما بينهم وبين مولاهم ◦ والأدب مع الحق يصونهم عن النزول عما أولاهم ◦ والظرف ، وهو كمال اللطف فى المعاملة مع الحق والخلق ، يهذب عقولهم وعلومهم فيكمل سرهم ونجواهم .

371 "قال الشيخ رحمه الله : والطبقة الثالثة طائفة أسرّهم الحق عن أنفسهم ، فألاح لهم لائحاً أذهلهم عن إدراك ما هم فيه ، وهيمهم عن شهود ما هم له ، وضن بحالهم عن علمهم بما هم به . " فاستسروا عنهم مع شواهد تشهد لهم بصحة مقامهم ، عن قصد صادق يهيجه عينه ◦ وحب صادق يخفى عليهم حكمه ◦ ووجد غريب لا ينكشف لهم موقده ؛ وهذا من أرق مقامات أهل الولاية . ' قلت : وهؤلاء أحق باسم السر من غيرهم ممن تقدم ذكره ، فانه متى كانت أحوال القلب ومواهب الحق فيه سراً عن ذى القلب حتى لا يشعر بها ◦ شغلاً عنها بالحق سبحانه مجريها ومنشئها ◦ وهذا أقوى وجوه الإسرار وأعظم الإخفاء أن يخفى الله حال العبد عنه لما شغله به من جماله وجلاله ◦ أو غير ذلك من صفات كماله ◦ فيكون *مستغرقاً بذلك ، فظاهره يدل على ما اتصف به باطنه من كمال *fol. 112 a
مقامه مع مولاه ◦ وحسن نواله ممن تولاه . " وقوله : ألاح لهم أى أظهر وإن كانت اللوائح أوائل المقام ، فكل مقام شريف له أوائل وأواسط وأواخر ، وأواخره أفضل من أوائل ما قبله . ' وقوله : أذهلهم وهيمهم عن إدراك ما هم فيه أى شغلهم . وقد تقدم معنى الهيمان ، عن شهود ما هم فيه وله من الخيرات ؛ فضن بحالهم عن أن يبلغ علمهم حقيقة ما يفتح الحق به عليهم ، بل إذا ألاح لقلوبهم لائحاً استغرق قلوبهم وشغل عقولهم عن التفكر من حقيقة الوارد ، بل هم مقهورون

371 : *a.* إدراك : marg. شهوده ; علمهم بما : interl. معرفة ما — *b.* عينه : marg. عتب ; غريب : مخرب .

محمولون مأخوذون عن أنفسهم فهم أسراء الحق سبحانه ، بقصد صادق هيجه عينه أو حب صادق أو وجد غرب عن صاحبه موقده أى مهيجه وملهبه .

[٧٦] . باب النفَس

372 "قال الله عز وجل : ﴿ فلما أفاق قال سبحانك . ﴾ " قلت : ووجه الإشارة بالآية إلى أن النفَس يكون بعد مفارقة الحال وانفصاله عن صاحبه .

373 "قال الشيخ رحمه الله : يسمى النفَس نفَساً لتروح المتنفس به ؛ وهو على ثلاث درجات وهى تشابه درجات الوقت . " والأنفاس ثلاثة : نفَس فى حين استتار مملوء من الكظم متعلق بالعلم ، إن تنفس تنفس المتأسف أو إن نطق نطق بالحرب ؛ *وعندى هو متولد من وحشة الاستتار وهى الظلمة *fol. 112 b
التى قالوا أنها مقام . ' قلت : وما ذكره الشيخ رحمه الله من قوله : نفس فى حين استتار مملوء من الكظم متعلق بالعلم صحيح ، وإنما كان من درجات الولاية من حيث أنه لا يكون استتاراً إلا بعد كشف ووصول ، وإنما يستر الحق ما يستره عنهم رحمةً بهم ولطفاً بضعفهم أو ليتزايد طلبهم وشوقهم . " وبهذا الاعتبار سموه مقاماً لأن الحق سبحانه يقيم العبد فيه لما ذكرناه ◦ أو ليعرفه قدر نعمته عليه فيما أولاه ◦ أو ليعرفه عجز نفسه وقلة طاقتها عن تحصيل ما تحبه وتهواه . ' فصاحب هذا المقام أنفاسه أنفاس حزن وأسف وهلاك وتلف لما حجب عنه من لذيذ المقام وجميل المرام . ' وهو باعتبار الحال والستر ظلمة ، وباعتبار المآل وما يترتب عليه فى الاستقبال مقام محمود .

372 : *a.* C VII 140/143.

373 : *b.* حين : ضيق — *c.* id. (corr. marg.).

374 " قال الشيخ رحمه الله : والنفس الثانى نفس فى حين التجلى ؛ وهو نفس شاخص عن مقام السرور إلى روح المعاينة ، مملوء من نور الوجود شاخص إلى منقطع الإشارة . " قلت : وهذا النفس أبلغ مما قبله ، فان الأول فى حين استتار وظلمة وهاهنا نفس فى حال تجل ونور . ' وقوله شاخص أى ظاهر والشخوص الظهور عن حالة سرور إلى مقام معاينة ، وعلى هذا يكون التجلى دون المعاينة ، فانه قد يتجلى من وراء ستر رقيق والكشف والمعاينة من غير ستر . * " فاذا كان مستوراً بحال التجلى ، كانت أنفاسه متعلقة بمقام المعاينة وهو زيادة الكشف وكمال المشاهدة ، مملوء القلب من نور الوجود وهو المعاينة ، فانه شاخص بقلبه إليها مستفرغ كليته فيها ؛ وهناك تنقطع الإشارة فضلاً عن العبارة لاستيلاء الحق على القلب . * fol. 113 a

375 " قال الشيخ رحمه الله : والنفس الثالث نفس مطهر بماء القدس ، قائم باشارات الأزل ؛ وهو النفس الذى يسمى صدف النور . " فالنفس الأول للعثور سراج ؛ والثانى للقاصد معراج ؛ والنفس الثالث للمحقق تاج . ' قلت : وهذا النفس أتم مما قبله ، فان الأول نفس مفرق بين تجل ومعاينة وكشف وأوضح منه ، وهذا نفس مطهر بالطهر المقدس عن كل غير وعن ملاحظة كل مقام . " بل هو مستغرق بنور الحق وآثار الحق تنطق عليه ، ولهذا كان صدف النور أى متعلق به وملازم له (والله أعلم) .

376 " قال الشيخ رحمه الله : فالنفس الأول للعثور سراج . قلت : خوفاً من وقعته ؛ والثانى للقاصد معراج . قلت : للوصول إلى طلبته من الحق وبغيته ؛ قال : والنفس الثالث *للمحقق تاج . قلت : لدلالته على شرف مقامه ومنزلته . * fol. 113 b

[٧٧] . باب الغربة

377 " قال الله عز وجل : ﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض . الآية . ﴾ " قلت : ووجه الإشارة بالآية أن القليل هو المتصف بهذه الأخلاق الحميدة .

378 " قال الشيخ : الاغتراب اسم يشار به إلى الانفراد عن الأكفاء ؛ وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى الغربة عن الأوطان ، وهذا الغريب موته شهادة ، ويقاس له فى قبره من مدفنه إلى وطنه ، ويجمع يوم القيامة إلى عيسى بن مريم عليه السلام . " قلت : وهذه الدرجة أول درجات الغربة ، فان الغربة إذا كانت حقيقتها الانفراد عن الأكفاء والأمثال ، فتارةً ينفرد عنهم بجسمه ؛ وتارةً ينفرد عنهم بصفاته وأحواله ؛ وأول مبدوء به الانفراد عنهم بجسمه ؛ طمعاً فى تفرغه لمقصوده ؛ ولسلامته من معارضة أضداده ؛ فاذا قوى خالطهم ولا يبالى ونفعهم وانتفع منهم . ' وأما كونه يفسح له فى قبره ويجمع يوم القيامة إلى عيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليه ، فمتلقى صحته من الإخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم لا غيره .

379 *" قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية غربة الحال ؛ وهذا من الغرباء الذين طوبى لهم ، وهو رجل صالح فى زمان فاسد بين قوم فاسدين ؛ أو عالم بين قوم جاهلين ؛ أو صديق بين قوم منافقين . " قلت : وهذه الغربة لا تكون اختياراً بل للضرورة والحاجة ، والضرورة إما طبيعية أو شرعية . ' فان دعاه الشرع إلى مخالطة مَن هذه صفته ، خالطه بظاهره لأمر الشرع به ، إما *fol. 114 a

377 : a. C xi 118/116.

لتعليم علم أو حكم بينهم وفصل أو حاجة ضرورية لمأكله ومشربه وما لا بد له منه من مخالطتهم . " وما عدا ما ذكرناه فلا يكون الصادق بينهم فى الغربة إلا قهراً وجبراً .

380 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة غربة الهمة ، وهى غربة طلب الحق ؛ وهى غربة العارف لأن العارف فى شاهده غريب ، ومصحوبه فى شاهده غريب ، وموجوده فيما يحمله علم أو يظهره وجد أو يقوم به رسم أو تطيقه إشارة أو يشمله اسم غريب . " فغربة العارف غربة الغربة ، لأنه غريب الدنيا وغريب الآخرة . " قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان الأولى إما غربة بالأفعال أو بالأحوال وهذه غربة بالهمم ، وذلك أن همة العارف معروفة لا غير . *fol. 114 b * " فهو غريب فى أبناء الآخرة الموقوفين مع رؤية الأعمال أو الأحوال ، كما أن الزاهد غريب فى أبناء الدنيا . " فالعارف أيضاً غريب فى أبناء الآخرة لانفراده بحاله وشاهده ، ومن يصحبه فى حاله أيضاً غريب لأنه لا يصحبه إلا جنسه فهو غريب . " وموجود العارف فى باطنه غريب أيضاً لمخالفته لموجود غيره ، سواء كان ما وجده فى قلبه من فتح ربه مما يحمله علم أى يقبله ويدل على صحة إظهاره ، أو يظهره وجد ويكون الأكمل كتمانه ، أو يقوم به رسم أى يقوى على إظهاره ، أو تطيقه إشارة أى تقدر على إفهامه ، أو يشمله اسم أى لفظ عام حتى يدخل تحت عمومه ويشمله فى الدلالة عليه فهو غريب . " فان العارف غريب الغرباء وغربته غربة الغربة ، ومن وصل إلى أقصى الأماكن فى الغربة ، جاء بأغرب الغرائب فى العودة .

[٧٨] . باب الغرق

381 " قال الله عز وجل : ﴿ فلما أسلما وتله للجبين . ﴾ " قلت : ووجه

381 : a. C xxxvii 103.

الإشارة بالآية أن إبراهيم عليه السلام ، لما بالغ فى المبادرة إلى الامتثال ، وعزم على ذبح ولده لله وألقاه لجبينه فى الحال ، وأعرض عن النفس والولد فضلاً عن المال ، ناداه ذو الجلال ، بالفداء والإقبال .

382 " قال الشيخ رحمه الله : هذا اسم يشار به فى هذا الباب إلى من توسط المقام وجاوز حد * التفرق . " قلت : يعنى أن همته مجموعة على المقصود ، *fol. 115 a معرضة عما سواه مما ليس مطلوباً للمعبود ، قد فارق مقام التفرقة والنظر إلى الأسباب ، إلا أنه لم يستكمل حاله فى الجمع بين يدى رب الأرباب .

383 " قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى استغراق العلم فى عين الحال ؛ وهذا رجل قد ظفر بالاستقامة ، وتحقق فى الإشارة ، فاستحق صحة النسبة . " قلت : وهذه الدرجة من الاستغراق أول درجات الاستغراق ، وهو أن العبد قد يكون عالماً بالشىء ولا يكون متصفاً بالتخلق به واستعماله ؛ فاذا تخلق به غلب عليه حاله حتى صار علمه به كالمغفول عنه ، وليس بمغفول عنه بل صار الحكم للحال . " ومثاله أن العبد يعرف الخوف من حيث العلم ، ولكن ، إذا اتصف بالخوف وتخلق به ، غلب عليه حال الخوف والانزعاج واستغرق فيه علمه ولم يذكر ما كان يعلمه لغلبة حال الخوف عليه فى وقته . " ومن هذه حاله فقد ظفر بالاستقامة لأن العلوم إذا أثمرت الأحوال ، لتكررها بالبال ، كانت عنها الأعمال ، " وتحقق صاحبها فى الإشارة إلى ما وجده من الأحوال ، ولم تكن إشارته عن تخمين ولا حسبان ، " واستحق اسم النسبة إلى اختصاص ذى الجلال بقوله : ﴿ وعباد الرحمن ﴾ و ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان . ﴾

384 * " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية استغراق الإشارة فى الكشف ؛ *fol. 115 b

383 : f. C xxv 64/63; xv 42, xvii 67/65.

وهذا رجل ينطق عن موجوده ◦ ويشير مع مشهوده ◦ ولا يحس برعونة رسمه . " قلت : وهذه الدرجة أتم ، فان صاحب الأولى غايته أن يشير إلى ما تحققه وإن فارقه ، وهذه الدرجة قهر صاحبها عن الإشارة لما جرى عليه ◦ لغلبة توالى نور الكشف لديه . ' فهو ينطق عن موجوده أى حاصله ، ويشير إليه مع شهوده وغفلته عن كمال حالته وعدم استحسانه لها من جهة نفسه وهى رعونته .

385 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة استغراق الشواهد فى الجمع ؛ وهذا رجل شملته أنوار الأولية ◦ ففتح عينه فى مطالعة الأزلية ◦ فتخلص من الهمم الدنية . " قلت : وهذا الاستغراق أبلغ مما قبله ، فان الذى قبله استغراق كائن عن كشف وهى تفرقة ، وهذا استغراق عن شهود كشفه فى الجمع ؛ فتمكن هذا فى حال جمع همته مع الحق حتى غاب عن إدراك شهوده وذكر رسومه ، وذلك لما توالى عليه من الأنوار التى خصه الحق بها فى الأزل . ' ففتح عين قلبه فى مطالعة الاختصاصات الأزلية ، فتخلص بذلك من الهمم الدنية المتعلقة بتأخير المضمون وتغيير المقسوم ◦ أو تقديم ما سبق تأخيره من المعلوم ◦ أو عدم *ما خصصت الإرادة وقوعه من القضاء المحكوم المحتوم . *fol. 116 a

[٧٩] . باب الغيبة

386 " قال الله عز وجل : ﴿ وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف . ﴾ " قلت : ووجه الإشارة بالآية إلى أن يعقوب عليه السلام ، لما امتلأ علمه بأمر يوسف عليه السلام ، أعرض وتولى عن ذكر أخيه القريب العهد بالفراق وغاب عن قلبه .

387 " قال الشيخ رحمه الله : الغيبة التى يشار إليها فى هذا الباب على

386 : a. C xii 84.

ثلاث درجات : الدرجة الأولى غيبة المريد فى مَخلص القصد عن أيدى العلائق ◦ ودرك العوائق ◦ لالتماس الحقائق . " قلت : وهذه الدرجة بالغة فى حق المبتدىء ، فانه إن لم يتخلص قصده فى مطلوبه عما يعوقه من المشغلات ◦ أو يدركه من الآفات ◦ لم يبلغ من مقصوده أقصى الغايات ◦ فهو يغيب فى نفسه عن غيره حتى يتخلص قصده ؛ ومَخلص القصد موضع تخليصه كالمدخل والمخرج .

388 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية غيبة السالك عن رسوم العلم ، وعلل السعى ، ورخص الفتور . " قلت : يعنى أنه يشتغل بطلب التحقيق فى الأعمال والأحوال ولا يقنع بأقل ما يجزى فى التقرب وتصح به العادات ، بل يطالب نفسه بتحقيق الصدق فى الأقوال والأفعال . *' فان قال : « الله أكبر » *fol. 116 b طالب نفسه بصدقها فيه حتى لا يكون فى قلبه أكبر منه ، وإذا ركع وسجد طالب نفسه بحقيقة التذلل والخشوع ومعنى وضع أرفع أعضائه وهو وجهه لله تعالى بالأرض وعلى التراب . " وكذلك يغيب عن علل الأعمال يعنى السكون إليها وفرح النفس بها ◦ من حيث اكتسابها ◦ لا من حيث فضل ربها . ' وكذلك يغيب عن رخص الفتور عن المندوبات ◦ لما اشتغل به من كمال الجد والصدق فى بلوغ المرادات .

389 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة غيبة العارف عن عيون الأحوال والشواهد والدرجات فى حصن الجمع . " قلت : وهذه الدرجة من الغيبة أبلغ مما قبلها ، فانها غيبة من خيرات ودرجات بما هو أكمل منها وأشرف وهو حصن الجمع والحضور بقلبه مع خالق الأرض والسموات : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ وهو حصن من كل مشوش وشيطان .

389 : a. حصن : marg. عين.

[٨٠]. باب التمكن

390 [a] قال الله عز وجل : ﴿ولا يستخفنك الذين لا يوقنون .﴾ [b] قلت : ووجه الإشارة بالآية أن المتمكن لا يبالى بخواطر المشغلات لغيره ولا بمخالطة أهل الغفلات والبطالات ، بل هو بقوته * يجذبهم ولا يجذبونه . * fol. 117 a

391 [a] قال الشيخ رحمه الله : التمكن فوق الطمأنينة ، وهو إشارة إلى غاية الاستقرار ؛ وهو على ثلاث درجات : [b] الدرجة الأولى تمكن المريد ؛ وهو أن يجتمع له صحة قصد تسيره ، ولمع شهود يحمله ، وسعة طريق تروحه . [c] قلت : وهذه الدرجة فى التمكن شريفة ، وذلك أنه إذا اجتمع فى المريد صحة القصد ، وإنما يصح بمعرفة شيئين وهما صحة المقصود وصحة الطريق الموصلة إليه ؛ فاذا تحقق العبد بالعلم الشرعى صح مقصوده وتحقق به الطريق الموصلة إلى مقصوده ، كان قصده إذ ذاك صحيحاً . [d] فان حكم القصد يتلقى من حكم المقصود ، فان كان المقصود واجباً كان القصد الموصل إليه واجباً إذ هو وسيلة إلى الواجب . [e] والصحيح من الأسباب أيضاً ما أفاد المسبب وحصل به ، ولذلك قال الشيخ : صحة قصد يسيره ، فان السير فى الطريق إلى الله تعالى يكون بقوة القصد وبه حصول المقصود . [f] وقوله : ولمع شهود يحمله أى كشف لقلبه يستعين به فى سلوكه ، إما خوف أو رجاء أو محبة أو تعظيم . [g] وكذلك لا بد له من سعة طريق يروحه ويشوقه ويخفف عنه كلفة سيره ، وإنما تتسع الطريق برؤية الإفضال * والإكرام ، من المتفضل بالأصل وعليه التمام . * fol. 117 b

392 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية تمكن السالك ؛ وهو أن يجتمع

390 : a. C xxx 60.

له صحة انقطاع ، وبرق كشف ، وصفاء حال . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها تمكن فى تصحيح قصد الأعمال وهذا تمكن فى حال . [c] فانه متى اجتمع للعبد صحة انقطاع قلبه عن المشغلات ، وتعلق بما يبدو له من المعارف ولذيذ المناجات ، وهو برق الكشف المصون من الآفات ، حسنت منه الحالات ، وتمكن فيها على اختلاف الأوقات .

393 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة تمكن العارف ؛ وهو أن يحصل فى الحضرة فوق حجب الطلب لابساً نور الوجود . [b] قلت : قوله رحمه الله : وهو أن يحصل فى الحضرة فوق حجب الطلب لابساً نور الوجود ، يعنى دوام المراقبة للحق وقلة الغفلات عنه ؛ و(إذا) لم يشغله عنه شاغل ، قد ارتفع عن مقام الطلب للمعرفة لاتصافه بها . [c] فان حال الطالب للشىء بعيد عن حال الواجد له ، محجوب عما هو فيه (والله أعلم) .

[IX – قسم الحقائق]

394 ^a^ وأما قسم الحقائق فهو عشرة أبواب * وهى : المكاشفة ، والمشاهدة ، والمعاينة ، والحياة ، والقبض ، والبسط ، والسكر ، والصحو ، والاتصال ، والانفصال . *fol. 118 a

[٨١] . باب المكاشفة

395 ^a^ قال الله عز وجل : ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى . ﴾ ^b^ قلت : ووجه الإشارة بالآية أنه تعالى كشف له ما لم يكشفه بغيره ، وأوحاه إليه أى ألهمه إياه بسرعة .

396 ^a^ قال الشيخ رحمه الله : المكاشفة مهاداة السر بين متباطنين ، وهى فى هذا الباب بلوغ ما وراء الحجاب وجوداً . ^b^ قلت : ذكر الشيخ معنى المكاشفة وهى إطلاع أحد المتحاببين المتصافيين صاحبه على باطن أمره وسره . ^c^ والمقصود بها فى هذا المحل بلوغ العبد بعون الحق إلى مطالعة ما اتصف به الحق من كمال الصفات ◦ والتفضل بأنواع المواهب والكرامات ◦ عن وجود وتحقيق ، بخلاف مَن حُجب عن ذلك ولم يوفق له ، فان الحجاب فى حق العبيد لا فى حق المعبود تعالى عن ذلك .

397 ^a^ قال الشيخ رحمه الله : وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى مكاشفة تدل على التحقيق الصحيح ، وهى أن تكون مستديمة . ^b^ فاذا كانت حيناً دون حين ، لم يعارضها تفرق * غير أن الغين ربما شاب مقامه ، على أنه قد بلغ *fol. 118 b

395 : *a*. C LIII 10.

مبلغاً لا يلفته قاطع ولا يلويه سبب ولا يقتطعه حظ ؛ وهى درجة القاصد ، فاذا استدامت فهى الدرجة الثانية . ^c^ قلت : والمكاشفة علوم يخلقها الحق سبحانه فى قلب العبد ، يطلعه بها على عجائب ملكوته وبدائع آياته ؛ وقد يواليها وقد يخلق الغفلة بدلاً منها والشغل بغيرها ، ولكن يبقى على العبد آثارها وبركاتها . ^d^ فذلك لا يلفت قلبه عنها وعن التشوف لأمثالها قاطع ، ولا يلويه أى يعرضه ويصده عنها سبب ، ولا يقتطعه حظ أى غرض فى غيرها . ^e^ وهى درجة القاصد لطريق الجمع ، وهو المجتهد فى تحصيلها ؛ وقد يكون ما يخلقه له الحق سبحانه بسبب من شيخ أو ملك أو جن أو اعتبار بشىء إلى شىء ، وقد يخلقه له الحق علماً ضرورياً إكراماً لوليه وعوناً له على سلوكه .

398 ^a^ قال الشيخ رحمه الله : فاذا دامت هذه الحالة من المكاشفة فهى الدرجة الثانية . ^b^ قلت : وإنما كانت أتم من الأولى لعدم الغفلات فيها ، أو لندورها ◦ ودوام الذكر والمناجاة والتنعم بنورها . ^c^ وهذا الكشف لا يكون فى أصول شىء من الأحكام ◦ لا من مكاشفة ولا منام ولا إلهام ◦ فان إثبات الأحكام خاصية من الأنبياء عن الله تعالى أو المرسلين . ^d^ فان رسول * الله صلى الله عليه *fol. 119 a
وسلم قال : ﴿ لا نبى بعدى ﴾ وقال تعالى : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله ﴾ فقد أخبر تعالى أنه ﴿ خاتم النبيين . ﴾ ، وإذاً لم يكن بعده نبوة فلا رسالة فان كل رسول نبى وليس كل نبى رسولاً . ^e^ وسواء تعلقت هذه الأحكام بواجب أو مندوب من حال أو مقام ، فأصولها كلها شرعية ؛ نعم إذا عرف الموفق الأصل بدليله الشرعى وعمل عليه واتقى الله ، فتح الله له من الفهم

398 : *a*. Paraphrase de § 397 *b* par le commentateur (cf. § 119 *a* et 370 *a*) — *d*. C XXXIII 40 — *f*. C II 282; VIII 29; XVI 128.

فى كتابه وحديث رسوله ما لم يفتحه لغيره مع طول البحث والتكرار إذا قل تقواه . قال الله تعالى : ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ وقال الله : ﴿يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ ، قال أهل التفسير : « فوراً يفرقون به بين الحق والباطل » ؛ وقال الله تعالى : ﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ يعنى بالنصر والمعونة . فأما تسديد العقل وتوفيقه للنظر والاستدلال ٭ والفرق بين الجائز من الأمر والمحال ٭ ففيه الفتح العظيم ٭ والتوفيق القويم ٭ والسلامة من فساد الاعتقاد ٭ والوقوف مع الأوهام والخروج عن السداد . فيكشف الحق عن قلبه غطأ الجهل ٭ وينور بصيرته بنور الإصابة والعدل ٭ ويطلعه على عجائب الملك وغرائب الصنع وكمال الحكمة وبلوغ الغاية ، وإن كان * فعله تعالى محكماً إلى غاية الحكمة فى ظنوننا فهو بالإضافة إلى ما سبق كونه ٭ لا إلى ما يمكن فعله . *fol. 119 b

399 قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة مكاشفة عين ، لا مكاشفة علم ولا مكاشفة حال ؛ وهى مكاشفة لا تذر سمة تشير إلى التذاذ ، أو تلجىء إلى توقف ، أو تنزل إلى رسم ؛ وغاية هذه المكاشفة المشاهدة . قلت : وهذه الدرجة من المكاشفة إنما كانت مكاشفة عين لغلبة نور الحق على القلب حتى لم ير فى الوجود سواه . وليست هذه المكاشفة علماً بانفراده سبحانه محضاً وتنزهه فى ذاته وصفاته وأفعاله ، ولا حالاً أثمره ذلك العلم . بل تنزلت هذه المكاشفة فى المثال منزلة العلم الضرورى الحاصل بالإبصار ٭ مع صحة البصر وزوال الأستار ٭ من حائل أو ظلمة أو مشغل للإسرار ٭ لا يشغله عن النظر شاغل ٭ ولا يلفت نظره عما هو له مقابل ٭ بخلاف العلوم النظرية والأحوال الكائنة عنها ، فانها تعتورها الغفلات ٭ ونزول الأحوال بزوالها بالأضداد والآفات ٭ ومن أوصله الحق سبحانه إلى هذه المقامات ٭ استغنى عن إدراك السمات وهى العلامات ٭

ولم يبق له التفات ٭ إلى حظ أو تلذذ بغير ما هو فيه من الكشف لكمال الصفات ٭ *ويعمى عن ملاحظة رسم أو مقام لنفسه فضلاً عن غيره من المدركات . *fol. 120 a

[٨٢] . باب المشاهدة

400 قال الله عز وجل : ﴿إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .﴾ قال الشيخ رحمه الله : المشاهدة سقوط الحجاب بتاً . قلت : يعنى قطعاً بالكلية . قال : وهى فوق المكاشفة لأن المكاشفة ولاية النعت وفيه شىء من بقايا الرسم ، والمشاهدة ولاية العين والذات . قلت : والفرق بين ولاية النعت وولاية العين والذات أن النعت صفة ومن شاهد الصفة فلا بد أن يشاهد متعلقاتها فان النظر فى متعلقاتها يفيده التعظيم للمتصف بها . وبيانه أن من شاهد العلم القديم الأزلى متعلقاً بسائر المتعلقات ٭ من الواجبات والجائزات والمستحيلات ٭ وتعلقه بما لا يتناهى من الأفعال الجائزات ٭ من نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار المتولى عليهما لا إلى غايات ونهايات ٭ كما دلت عليه الآيات ٭ والأخبار الواضحات ٭ وكذلك من شاهد كمال الإرادة المتعلقة بسائر الجائزات ٭ ما وقع وما سيقع وما لا يقع من الممكنات ٭ وكذلك القدرة المتعلقة بما لا يزال ، الصالحة لإيجاد سائر الممكنات ٭ التى يجوز وقوعها فى الدنيا والآخرة على مرور الأوقات ٭ * ومن شاهد هذه الصفات ومتعلقاتها ٭ وجال قلبه فى عظمتها ٭ فهو مشغول بالصفات ٭ ومفرق فى متعلقاتها من المخلوقات ٭ بخلاف المقصور النظر على عين الذات ٭ وتنزهها عن الآفات ٭ وقدمها وبقائها لا إلى غايات ونهايات ٭ واستغرق قلبه فى عظمة موجود لا تحويه جهات ٭ ولا تحيط به أرض ولا سموات ٭ ولا عرش ولا غيره من أنواع المخلوقات ٭ بل لم يزل تعالى متحقق *fol. 120 b

400 : a. C ı. 36/37 — f. بما : فيما — j. C ı 2.

الوجود * والعرش وما دونه معدوم مفقود . ″ فهذا هو مشاهدة العين والذات * والأول مشاهدة الصفات * والثانى فى مقام الجمع . ′ فمن استغرق قلبه فى هذا المجال * وأقبل بكليته على الحق هذا الإقبال * كان من المشاهدين لهذا الجلال * واستحق اسم المشاهدة عند القوم إذ غاب عن إدراك رسمه وكل عمل له أو حال . ′ فالله سبحانه يبلغنا أحوال المقربين * ويحجب عنا صفات المبعدين * بمنه وكرمه آمين * ‹ و ﴿ الحمد لله › رب العالمين . ﴾

401 ″ قال الشيخ رحمه الله : وهى على ثلاث درجات : الدرجة الأولى مشاهدة معرفة تجرى فوق حدود العلم فى لوائح نور الوجود منيخة بفناء الجمع .

″ قلت : قد تقدم كلام سيد هذه الطائفة أبى القاسم الجنيد رحمه الله فى قوله : « علم التوحيد مباين لوجوده ووجوده مباين لعلمه » [b] * وهو أن العبد قد يصح له العلم بانفراد الحق سبحانه فى ذاته وصفاته وأفعاله قاطعاً بذلك . [c] ولكن إذا اختلفت عليه الأسباب * وتغير عليه الأصحاب * أو وجد البعد عن الباب * لم يثبت قلبه فى أوائل صدمات * ولم يبادر إدراك لرؤية الفعل من الواحد الذى دلت على انفراده بالفعل الأدلة الواضحات * فهذا عالم بالتوحيد غير واجد لمقام التوحيد ولا متصف به . [d] وإن كان ، وقت اختلاف الأحوال عليه * وتعزز الأسباب لديه * قلبه مقبلاً على ذى العزة والجلال * مستغرقاً فى جميل فعله به فى الحال * راجياً لدوام فضله عليه فى الاستقبال * فقد حل فى مقام التوحيد . [e] وأهل هذا المقام متفاوتون فى درجات الكمال * من مدرك لما هو فيه متنعم متلذذ ، ومن مستغرق غائب عن حظه بما هو فيه من وجوده ، فمشاهدته لحاله قد غشاها نور وجود مولاه ، وقد أناخت همته بفناء مقام الجمع وبعدت عن رحب مقام التفرقة . * fol. 121 a

401 : *b*. Nous n'avons pas retrouvé cette citation dans ce qui précède, bien que le § 269 s'en inspire.

402 ″ قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية مشاهدة معاينة تقطع حبال الشواهد ، وتلبس نعوت القدس ، وتخرس ألسنة الإشارات . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها مشاهدة ترقت عن العلم النظرى * بالتوحيد وتمكنت فى وجود التوحيد ، حتى صار صاحبها يرى الفعل من واحد حالاً وأناخ بمقام الجمع ليتمكن فيه ، وبعد لم يكمل استغراقه عن إدراك رسمها بالكلية ؛ وصاحب هذه الدرجة انقطعت عنه حبال الشواهد ، وتمكن فى مقام المشاهدة ، وألبس نعوت القدس أى تطهر من الالتفات إلى حظوظه ، فخرس لذلك لسانه عن الإشارة إلى ما هو فيه من سنى المقام . * fol. 121 b

403 ″ قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة مشاهدة جمع تجذب إلى عين الجمع ، مالكة لصحة الورود * راكبة بحر الوجود . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان صاحبها أثبت فى مقام المشاهدة ، وأمكن فى مقام الجمع ، وأملك لحمل ما يرد عليه فى مقامه من أنواع الكشوفات والمعارف . [c] ولذلك كانت مشاهدته مالكة لصحة الورود * راكبة بحر الوجود بجمع الهمة إلى عين الجمع وهو المعنى الذى لأجله كان الجمع .

[٨٣] . باب المعاينة

404 ″ قال الله عز وجل : ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل . ﴾ المعاينات ثلاث : أحدها معاينة الأبصار . [b] والثانية معاينة عين القلب ، وهى معرفة الشىء على نعته علماً يقطع الريبة ولا تشوبه حيرة ؛ وهذه معاينة بشواهد العلم . [c] والمعاينة الثالثة معاينة عين الروح ، وهى التى تعاين الحق عياناً محضاً ؛ والأرواح * إنما * fol. 122 a

404 : *a*. C xxv 47/45.

ظهرت وأكرمت بالبقاء لتناغى سناء الحضرة ٭ وتشاهد بهاء العزة ٭ وتجذب القلوب إلى فناء الحضرة .

405 " قلت : قوله رضى الله عنه المعاينات ثلاث : بعين الرأس وبعين القلب وبعين الروح بالغ ، فان الإبصار ليس بنفس العين وإنما هو بالمعنى الذى يخلقه الحق فيها فتدرك به ، وكذلك القلب يدرك بمعنى يخلقه الحق فيه ، وكذلك الروح إذ كانت جوهراً قام بها معنى يقع بها الإدراك . " نعم العين التى فى الرأس تدرك بمعناها الأجسام والألوان والحركة والسكون ، والقلب تدرك بمعناه العلوم والصفات المحمودة فتكتسب ٭ والصفات المذمومة فتجتنب . ' والروح تدرك بمعناها صفات الكمال والجمال ٭ ولها تشوف للقرب لذى الجلال ٭ وهرب عن كل مشغل يشغل عنه فى حال من الأحوال ٭ وإذا كان للروح معنىً فعينه لها تعلق بما أشرنا إليه من ملاحظة جناب الإفضال . " ومتى كانت عين الرأس مطلقة مشغولة بكل منظور ٭ وكانت عين القلب مطموسة بما اشتغلت به من الشهوات وعاجل الأمور ٭ والروح متنعمة بحظوظها من الأعواض والأجور ٭ فقد فات المتصف بهذه الصفات ما ذكرناه من سىء الخلاف ؛ ولذلك قال الشيخ رحمه الله :
عين الروح هى التى تعاين الحق * عياناً محضاً ، والحق هاهنا هو الله تعالى . ' وقوله : * fol. 122 b
والأرواح إنما أكرمت بالبقاء لتناغى سناء الحضرة فيه نظر ، فان المعروف من مذهب أهل الحق أن الأرواح باقية لا تفنى ولكن هذا عام فى السعداء والأشقياء ٭ فتكون الأرواح التى تخاطب الحق فى الدنيا والآخرة وتتنعم بمناجاته أرواح السعداء والأولياء ٭ ولا يكون لغيرهم فيه نصيب وإن كانت أرواحهم باقية . ' وقد قال تعالى : ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب . ﴾

405 : *f.* C xl 49/46.

[٨٤] . باب الحياة

406 " قال الله عز وجل : ﴿ أوَ من كان ميتاً فأحييناه . ﴾ إسم الحياة فى هذا الباب يشار به إلى ثلاثة أشياء : " الحياة الأولى حياة العلم من موت الجهل ؛ ولها ثلاثة أنفاس : نفَس الخوف ، ونفَس الرجاء ، ونفَس المحبة . ' قلت : وهذه الحياة هى التى أشار إليها القرآن العزيز بقوله تعالى : ﴿ أوَ من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس . الآية . ﴾ " والأنفاس دليل الحياة : فمن عاش بمعرفة الله سبحانه فتارةً يتنفس بنفس الخوف منه ، وتارةً بنفس الرجاء لما لديه ٭ وتارة بنفس المحبة له والتعظيم والإجلال لما غلب عليه .

*fol. 123 a 407 " قال الشيخ رحمه الله : * والحياة الثانية حياة الجمع من موت التفرقة ؛ ولها ثلاثة أنفاس : نفس الاضطرار ٭ ونفس الافتقار ٭ ونفس الافتخار . " قلت : وهذه الدرجة من الحياة أرفع مما قبلها ، فان الأولى حياة من موت الجهل بالله بحصول المعرفة به ، وهذه حياة من موت الغفلة عن النظر إليه وإلى مخلوقاته ، وهو المعبر عنه بالتفرقة ، لحصول جمع همته على الحق وعكوف القلب والروح لديه ٭ ورؤية نفسه غريقاً فى بحر إحسانه إليه . ' وحيى أيضاً حياة الجمع ، والحى يتنفس : فتارة يتنفس نفس الاضطرار لما غلب على قلبه من تبريه من الأفعال ٭ وانفراد الحق بها فى سائر الأحوال ٭ وتارة يتنفس نفس الافتقار لما يدرك من نفسه من العجز والذلة عن تحصيل ذرة من مثقال ٭ ودوام فقر صاحبها إلى فضل ﴿ الكبير المتعال ﴾ ٭ وتارة يتنفس نفس الافتخار لما خصه به مولاه

406 : *a c.* C vi 122.
407 : *a.* والحياة : والدرجة. (corr. marg.) — *c.* C xiii 10/9.

من كريم المقام وسنى الإفضال ٭ فيكون افتخاره بمولاه ٭ على نفسه لا على أحد سواه .

408 ª قال الشيخ رحمه الله : والحياة الثالثة حياة الوجود ، وهى حياة بالحق ؛ ولها ثلاثة أنفاس : نفس الهيبة وهو نفس يميت الاعتلال ٭ ونفس الوجود وهو يمنع الانفصال ٭ ونفس الانفراد *وهو يورث الاتصال . ᵇ وليس وراء ذلك ملحظ للنظارة ٭ ولا طاقة للإشارة . ᶜ قلت : وهذه الحياة أتم مما قبلها ، فان حياة الجمع سبب الوجود ٭ وحياة الوجود شرف بالموجود ٭ وهو الحق سبحانه . ᵈ فمن حيى بوجوده تنفس بأنفاس ثلاثة : فتارة يتنفس بالهيبة والإجلال ٭ لما غرقه من صفات السطوة والإفضال ٭ فتموت منه علل أعماله ٭ وآثار حظوظه ٭ وتارة يتنفس نفساً يدل على الوجود وطيب الحال ٭ فيمنعه ذلك عن الانفصال ٭ وتارة يتنفس نفس الانفراد بالاقتدار والإكرام ٭ فيورثه ذلك رجوع قلبه إليه والاتصال . ᵉ وقوله : وليس وراء ذلك ملحظ للنظارة ٭ ولا طاقة للإشارة يعنى أن كمال الاتصال والشغل بالحق يشغل عن التنعم بما وجد والإشارة به إلى أحد . * fol. 123 b

[٨٥] . باب القبض

409 ª قال الله عز وجل : ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً .﴾ القبض فى هذا الباب اسم يشار به إلى مقام الضنائن الذين ادخرهم الحق اصطناعاً لنفسه ، وهم ثلاث فرق : ᵇ فرقة قبضهم الحق إليه قبض التوفى ، فضن بهم عن أعين العالمين ٭ وفرقة قبضهم بسترهم فى لباس التلبيس وأسبل عليهم أكلة الرسوم ،

409 : a. C xxv 48/46 — b. وفرقة قبضهم منهم إليه : marg. add. وسترهم عن أنفسهم وأعينهم للطف مقامهم .

فأخفاهم عن عيون العالمين ٭ *وفرقة قبضهم منهم إليه ، فصافاهم مصافاة سر ، فضن بهم عليهم . * fol. 124 a

410 ª قلت : القبض فى الأحوال غير القبض فى الحقائق : فان القبض فى الأحوال أمر يطرق القلب يمنعه عن الانبساط والفرح ، إما لذكر ذنب أو نقص أو بُـعـد ؛ وهو فى قسم الحقائق فعل من الحق بالعبد نفسه وهو إخفاؤه عن خلقه على ما سيأتى . ᵇ والفرقة الأولى ممن ذكر الشيخ أنه تعالى قبضهم قبض التوفى أى قبضاً يشبه قبض التوفى ، فغيب ذواتهم وأجسادهم عن أعين الخلق كما فعله ببعض أوليائه الذين انقطعوا فى البرارى والبحور وغابوا عن أعين الخلق فلا يرونهم . ᶜ (و) الفرقة الثانية ، وهم أقوى من الأولى ، بين الخلق يتصرفون بالأبدان وقلوبهم عنده ، فهم فى أكلة الوقوف مع الرسوم فى الظاهر وهم مع الحق القيوم فى الباطن ، قد تلبس حالهم على أكثر الخلق لما هم فيه من القوة مع الحق . ᵈ وفرقة ثالثة أعلى من هذه ، قد سترهم الحق عن أنفسهم لكمال ما أطلعهم عليه ، وشغلهم به ، فهم فى أكمل الأحوال ولا التفات لهم إليها حتى لا يروا لأنفسهم كمالاً ، قلوب عامرة بالمراقبة وأرواح طاهرة فى المشاهدة قد سترهم الحق عنهم وقبض قلوبهم عن النظر لأحوالهم فهم أسراء الحق وحالهم كما قيل :

*ᵉ [1] فمن كان فى طول الهوى ذاق سلوة ٭ فإنىَ من ليـلى لها غـير ذائـق * fol. 124 b
[2] وأكـبر شىء نلتـه من وصالهـا ٭ أمـانىّ لم تصدق كلمحـة بارق
ᶠ فلا قدر عندهم لما نالوه ، وإن كانوا فى أجل مثال ٭ وأشرف حال .

[٨٦] . باب البسط

411 ª قال الله عز وجل : ﴿يذرؤكم فيه .﴾ ᵇ قلت : ووجه الإشارة

411 : ac. C xlii 9/11.

بالآية أنه تعالى يحيى أولياءه وينعش قلوبهم بالبسط فانه أكرم وألطف . [c] قال الطبرى فى قوله تعالى ﴿ يذرؤكم فيه ﴾ : أى يعيشكم فيما خلق لكم من الأنعام المذكورة فى الآية . ه

412 [a] قال الشيخ رحمه الله : البسط أن ترسل شواهد العبد فى مدارج العلم ، ويسبل على باطنه رداء الاختصاص . [b] وهم أهل التلبيس وإنما بسطوا فى ميدان البسط لأحد ثلاثة معان لكل معنى طائفة . [c] قلت : ما ذكره الشيخ فى معنى البسط جيد ، فان البسط إرسال شواهد العبد يعنى ظواهره وأعماله على مقتضى العلم ويكون باطنه معموراً بالمراقبة والأنس ؛ فيصير حالاً فى باطنه وظاهره ، ليس عنده نقص يقبضه ولا سبب يشوشه ، سواء خالط الخلق أو لم يخالطهم ، لكمال انشراح باطنه بما هو عليه من كمال الصفات .

413 [a] قال الشيخ رحمه الله : فطائفه بسطت رحمةً * للخلق ، يباسطونهم *fol. 125 a
ويلابسونهم فيستضيئون بنورهم ، والحقائق مجموعة والسرائر مصونة . [b] قلت : وهؤلاء قوم من أهل الحق بسطهم ليكثر بهم المقتدى ، وتعود بركتهم على أنفسهم وعليهم ، فيستضيئون بالنور الذى يظهر من بركة بسطهم وجمال حركاتهم وسكونهم ؛ ونفوس الخلق إلى الاقتداء بالأفعال ◦ أميل منها إلى الاقتداء بالأقوال . [c] وقلوب هؤلاء المبسوطين مع ملابستهم للخلائق ◦ معمورة بالحقائق .

414 [a] قال الشيخ رحمه الله : والطبقة الثانية طائفة بسطت لقوة معانيهم ولصميم مناظرهم ، لأنهم طائفة لا تخالج الشواهد مشهودهم ◦ ولا تضرب رياح الرسوم موجودهم ◦ فهم مبسوطون فى قبضة القبض . [b] قلت : وهذه الدرجة من البسط أتم مما قبلها لأن ما قبلها أرباب أعمال وهذه أرباب أحوال ، بسطت

الأولى رحمةً فى حق الخلق وبسطت هذه لما تمكنت فيه من المعارف بالحق . [c] فمعانيهم قوية عتيدة ◦ وملاحظتهم للحق صمة أكيدة ◦ ليس لسلطان الشواهد على كمال حضورهم ومشاهدتهم آثار المداخلة بالتشويش ◦ ولا لأمواج رسوم أنفسهم على كمال موجودهم طيش الغفلة عن التنزيه والتقديس ◦ فهم مبسوطون
*fol. 125 b * بقبضه إياهم عن غيره .

415 [a] قال الشيخ رحمه الله : والطائفة الثالثة بسطت أعلاماً على الطريق ، وأئمةً للهدى ، ومصابيحاً للسالكين . [b] قلت : وإنما كانت هذه أعلى من التى قبلها من حيث اتصافها بما اتصفت به الطائفة التى قبلها من الأحوال ، وزادت عليها بنفع السالكين الطالبين لمثل مطلبهم السالكين لنيل الأحوال السنية . [c] فهؤلاء استوت ظواهرهم وبواطنهم لكمال قوتهم ◦ وأجرى الحق سبحانه الحِكَم على ألسنتهم والنور الساطع من شمائلهم ، فيقتدى بهم الناقص من الخلق والكامل لاشتمالهم على صفات الكمال فى الظاهر والباطن ، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ﴿ نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ﴾ .

[٨٧] . باب السكر

416 [a] قال الله عز وجل حاكياً عن كليمه عليه السلام : ﴿ رب أرنى أنظر إليك . ﴾ [b] قلت : ووجه الإشارة بالآية أن موسى صلى الله على نبينا وعليه ، لما استغرق فى كمال السكر بسماع الكلام ، جرى على لسانه طلب الرؤية له تعالى .

417 [a] قال الشيخ رحمه الله : السكر فى هذا الباب اسم يشار به إلى سقوط

415 : a. والطائفة : والدرجة — c. C xxiv 35.
416 : a. C vii 139/143.

التمالك فى الطرب ؛ وهذا من مقامات المحبين خاصةً ، فان عيون الفناء لا تقبله ۔ * ومنازل العلم لا تبلغه . ˝ قلت : يريد بذلك (والله أعلم) أن السكر * إنما يكون مع بقايا من نفسه ، بها يشرب ويتلذذ بحاله فيسكر ؛ وعيون الفناء لا تقبله لأنها استغراق محض . ˝ وأما كون منازل العلم لا تبلغه ، أى علم المحبة دون الاتصاف بحال المحبة . * fol. 126 a

418 ˝ قال الشيخ رحمه الله : وللسكر ثلاث علامات : الضيق عن الاشتغال بالخبر والتعظيم قائم ۔ واقتحام لذة الشوق والتمكين دائم ۔ والغرق فى بحر السرور والصبر هائم . ˝ وما سوى هذا فحيرة تنحل اسم السكر جهلاً ۔ أو هيمان يسمى باسمه جوراً ۔ وما سوى ذلك فكله يناقض البصائر ، كسكر الحرص ، وسكر الجهل ، وسكر الشهوة .

419 ˝ قلت : وما ذكره الشيخ من علامات السكر الصحيح بمحبة الحق بالغ ، وذلك أن المحبة لا يتمكن صاحبها فى سكره بوجوده إلا مع دوام الذكر وقلة الغفلات . ˝ ومن هذه صفته لا يحتمل سماع الخبر عنه ۔ فانه حاضر معه ۔ فيضيق قلبه عند سماعه بغير تعظيم ۔ لكمال حاله فى التعظيم ۔ ولذلك قال : والتعظيم قائم . ˝ وكذلك يدخل بشوقه كل مدخل لنيل مطلوبه ۔ وهو اقتحام لذته مع دوام تمكينه فى الأدب مع محبوبه . ˝ وكذلك يكون قلبه غريقاً فى بحر السرور به وصبره عنه هائم ، أى ذاهب عنه ، لا يقدر على صبره عنه . ˝ وقوله : وما عدا هذه * العلامات فحيرة فى حق منتحلها جهلاً بحقيقة السكر المحمود ، أو هيمان سمّى باسم السكر ظلماً وجوراً وليس بسكر . ˝ هذا هو السكر عن المحبة وما عداه نقض فى بصيرة الناظر فى هذه الحقائق ، فانه قد يسكر حرصاً ۔ وقد يسكر جهلاً وعمى ۔ وقد يسكر لغلبة شهوة ۔ وهذه كلها بعيدة عن السكر المحمود . * fol. 126 b

[٨٨] . باب الصحو

420 ˝ قال الله عز وجل : ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق .﴾ ˝ قلت : ووجه الإشارة بالآية أنهم لما سرى عنهم مما كانوا فيه من الأحوال المشغلة ﴿قالوا ماذا قال ربكم﴾ . ˝ قال الطبرى فى قوله تعالى ﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم﴾ : جلى وكشف عنها الفزع ˝ فعلى هذا لا يكون الصحو إلا بعد السكر.

421 ˝ قال الشيخ رحمه الله : الصحو فوق السكر وهو يناسب مقام البسط ؛ والصحو مقام صاعد عن الانتظار ، مغن عن الطلب ، طاهر من الحرج . ˝ فان السكر إنما هو فى الحق ۔ والصحو إنما هو بالحق ۔ وكل ما كان فى عين الحق لم يخل من حيرة ۔ لا حيرة الشبهة بل الحيرة فى مشاهدة نور العزة ۔ وما كان بالحق لم يخل من صحة ۔ ولم يخف عليه من نقيصة ۔ ولم تتعاوره علة . ˝ والصحو من منازل الحياة ، وأودية الجمع ، ولوائح الوجود .

422 ˝ قلت : * قوله رحمه الله : الصحو صاعد عن الانتظار يعنى انتظار الطالب لما يفتح به عليه ، فان الصاحى متمكن فى الحضور . ˝ ولذلك ناسب مقام البسط وكان طاهراً من الحرج ، يعنى الضيق الذى يجده أرباب السكر لما هم فيه من شدة الطلب ، فانهم لم يتمكنوا بعد فى مقامهم . ˝ ولذلك كتب بعضهم لبعض أنه شرب كأساً من محبته فلا يفيق إلا بلقائه ، فكتب إليه صاحبه هاهنا : « من شرب بحار الدنيا وهو فاتح فاه يشتكى العطش لم يرو بعد .» ˝ فالصحو قوة * fol. 127 a

420 : *abc*. C xxxiv 22/23.
422 : *c*. Il s'agit de Bisṭāmī répondant à Yaḥyā b. Muʿāḏ Rāzī. — *e*. والصحو : والصاحى .

فى المقام ولذلك قال الشيخ فى السكر إنما هو فى الحق ٭ فالسكران فى الطلب للحق ٭ والصاحى بوجود الحق . ᵉ والصحو بالحق لم يخل من صحة لوجود المقصود والأرب ، ولم يخف عليه من نقيصة ولا علة ، لأنه منزل من منازل الحياة وواد من أودية الجمع ولائح من لوائح الوجود أى أوائله ومقدماته .

[٨٩] . باب الاتصال

423 ᵃ قال الله عز وجل : ﴿ ثم دنى فتدلى ٭ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ . أيأس العقول وقطع البحث بقوله ﴿ أو أدنى . ﴾ ᵇ قلت : ومعنى الإشارة بالآية إلى كمال التقريب والإكرام ٭ والتفضيل على سائر الأنام ٭ وقوله : أيأس العقول وقطع البحث بقوله ﴿ أو أدنى ﴾ معناه أن المقصود بالقول التقريب بالأمثال * لاستحالة القرب بالمكان والمسافة فى حقه تعالى . ᶜ وقد قال أهل التفسير أن الدنو فى الآية إنما كان بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين جبريل عليه السلام ، وهذا إنما يجرى فى تقدير الدنو المحسوس ، وإلا فالدنو المعنوى لا يفتقر إلى هذا وإنما من مقال « فلان قريب من فلان » فى الحال والصفة والكمال ولا مسافةً . ᵈ فقربه عليه السلام من ربه دنوه إلى محل شريف ، لم يوصل إليه غيره من خلقه ، وهى الدرجة العالية المنيفة التى امتاز بها يوم القيامة ٭ وفى الدنيا بالرسالة للناس كافة ٭ وفى ليلة المعراج حتى ﴿ رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ . * fol. 127 b

424 ᵃ قال الشيخ رحمه الله : والاتصال ثلاث درجات : الدرجة الأولى اتصال الاعتصام ، ثم اتصال الشهود ، ثم اتصال الوجود . ᵇ فاتصال الاعتصام تصحيح القصد ، ثم تصفية الإرادة ، ثم تحقيق الحال . ᶜ قلت : وهذه الدرجة

423 : *a*. C LIII 8-9 — *d*. C LIII 18.

فى الاتصال إنما كانت أولى من حيث أن السالك لطريق الحق لا بد من صحة قصده ووزنه على صحة المقصود شرعاً . ᵈ وإذا صح شرعاً ثم توجه إخلاصاً ، وهو تصفية الإرادة ، ثم حقق سلوكه حالاً ونعتاً ، كان متصلاً بالحق الذى قصده وأراده وسلك سبيل مرضاته . ᵉ فيعتصم بصحة القصد من الانحراف عن السداد ٭ ويعتصم بتصفية * الإرادة عن الوقوع فى الفساد ٭ ويعتصم بتحقيق الحال عن الدعوى بين العباد . * fol. 128 a

425 ᵃ قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية اتصال الشهود ، وهو الخلاص من الاعتلال ٭ والغناء عن الاستدلال ٭ وسقوط شتات الأسرار. ᵇ قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها ، فان الأولى اتصال بصحة القصود والأعمال وهذه الدرجة اتصال برؤية مَن العمل له على تحقيق مشاهدته . ᶜ فيتخلص العبد بذلك عن علل الأعمال واستحسانها والسكون إليها ، لاستغنائه بمشاهدة المدلول عن الاستدلال ٭ ويسقط لذلك عنه شتات كل سر وبال وانفصال .

426 ᵃ قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة اتصال الوجود ، وهذا الاتصال لا يدرك منه نعت ولا مقدار ٭ إلا اسم معار ٭ ولمح إليه يشار . ᵇ قلت : ولما لم يعهد مثله ، لم تنطق الألسنة به ولم تدل العقول عليه ، وذلك لغلبة نور القرب على القلب وذهاب العبد فيه عن إدراكه لحاله لما قهره من أنوار الحق . ᶜ وإنما ينعت ويستدل العبد عليه ليعرف الغائب أو ليدل غيره على معروفه ٭ وهذا لا وسع عنده لذكر حاله فضلاً عن غيره . ᵈ وإنما بقى عنده اسم معار وهو كونه متصلاً ولمح إليه يشار أى تطلع ورؤية يشار إليها لا يعبر ⟨ عنها ⟩ .

425 : *a*. الاعتلال : marg. الانفصال .

[٩٠] < باب الانفصال >

427 [a] ⟨ قال الله تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه . ﴾ ليس فى المقامات شىء فيه من التفاوت ما فى الانفصال ؛ ووجوهه ثلاثة : [b] أحدها انفصال هو شرط الاتصال ، وهو الانفصال عن الكونين بانفصال نظرك إليهما ٭ وانفصال توقفك عليهما ٭ وانفصال مبالاتك بهما . [c] والثانى انفصال عن رؤية الانفصال الذى ذكرناه ، وهو أن لا يتزيا عندك فى شهود التحقيق شيئاً يوصل بالانفصال منهما إلى شىء . ⟩ . . . .

. . . .

* fol. 129 *b* * شغلاً بالله تعالى كما تقدم . [d] حاله شريف ٭ ومقامه منيف ٭ فقد تسكن نفسه إلى مقامه فى الانفصال ٭ ويراه فضلاً عليها جارياً من الحق فى الحال ٭ فكمالها انفصالها ٭ وإضافة ذلك لمجريه عليها ٭ وتحقيق تبريها عنها .

428 [a] قال الشيخ رحمه الله : والثالث انفصال عن الاتصال ، وهو انفصال من شهود مزاحمة الاتصال عين السبق ، فان الاتصال والانفصال على عظم تفاوتهما فى الاسم والرسم فى العلة سيان . [b] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها انفصال عن سكون إلى انفصاله عن رؤية انفصاله عن الأغيار ٭ وهذا انفصال عن رؤية اتصاله بدوام ملاحظة العزيز الجبار ٭ فينقطع العبد عن رؤية كونه متصلاً بنفسه وهذه علة فى الاتصال ٭ بل كمال اتصاله غيبته عن كونه متصلاً

427 : *a*. C III 27/28, 28/30 — *a c*. Cette lacune correspond aux fol. 128 *b*-129 *a*. Peut-être s'explique-t-elle par une inattention du photographe qui aurait tourné deux pages du ms. à la fois.

لكمال ما هو فيه من حقيقة الاتصال . [c] وقول الشيخ : فان الاتصال والانفصال على عظم تفاوتهما فى الاسم والرسم ، معناه أن اسم الاتصال يضادد معناه معنى اسم الانفصال ، وكذلك فى الرسم والحقيقة . [d] فانهما متساويان فى العلة أى رؤية الاتصال كرؤية الانفصال بالإضافة إلى النفس والسكون إلى المقام .

[X - قسم النهايات]

429 [a] وأما قسم النهايات *فهو عشرة أبواب ، وهى : المعرفة ، والفناء ، *fol. 130 a
والبقاء ، والتحقيق ، والتلبيس ، والوجود ، والتجريد ، والتفريد ، والجمع ، والتوحيد .

[٩١] . باب المعرفة

430 [a] قال الله عز وجل : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق . ﴾ المعرفة إحاطة بعين الشىء كما هو. [b] قلت : وهذا هو الحد الصحيح عند أهل التحقيق والأصول ، فان المعرفة هى علم المعروف على ما هو عليه . [c] نعم أهل هذا الشأن لم يكتفوا بإطلاق لفظ المعرفة على مدلول العلم خاصة ، بل لا يصفون بالمعرفة إلا من توالت على قلبه العلوم بالمعلوم الواحد ، وهو الحق سبحانه ، حتى غلبت على قلبه أحواله ، وقلت غفلاته عنه ، وظهرت عليه آثاره وعلاماته ، فحينئذ يسمونه عارفاً .

431 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهى على ثلاث درجات ، والخلق فيها ثلاث فرق : الدرجة الأولى معرفة الصفات والنعوت ، قد وردت أساميها بالرسالة وظهرت شواهدها فى الصنعة ، بتبصير النور القائم فى السر ، وطيب حياة العقل لزرع الفكر وحياة القلب بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار ؛ وهى معرفة العامة التى
لا تنعقد شرائط *اليقين إلا بها . [b] قلت : وهذه الدرجة الأولى جمعت بين *fol. 130 b
قواعد اليقين وأصول الدين ، ما يعرفك قدر هذا الرجل العظيم ، وما احتوى عليه

430 : a. C v 86/83.

من علوم النقل والعقل والأحوال والمقامات عند الملك الكريم ، كما سنرشدك إليه إن شاء الله من غير تطويل ولا ترخيم . [c] فقوله معرفة الصفات والنعوت أراد به الفرق بين صفات الذات ، كالعلم والإرادة والقدرة القديمات له تعالى ، وبين صفات الفعل كالخالق والرازق والمعطى والمانع ؛ فانها نعوت له بأفعاله تعالى وتقدس ، وإن كان سبحانه لم يزل منعوتاً بها من حيث كان متكلماً واصفاً نفسه فى كتابه بكونه خالقاً رازقاً وكلامه قديم ، وإن كان الفعل والخلق والرزق فى الأزل محالا . [d] وهذه الأسماء جميعها قد وردت بها الشريعة فى الكتاب والسنة كالعالم والقادر والمريد والحى وغيرها من صفات الذات ، وكذلك الخالق والرازق ونحوهما من أسماء الأفعال . [e] فان أهل التحقيق لا يسمون الحق سبحانه بنعت من صفات الكمال إلا بما سمى به نفسه على لسان نبيه عليه السلام . [f] وقوله فظهرت شواهدها أى
*fol. 131 a الأدلة على إثبات الصفات لله تعالى من أفعاله وبدائع صنعه ، يدرك *ذلك بالنور العقلى فى قلب قد حيى بحسن نظره فى الاعتبار ، مع تعظيم الحق سبحانه وتنزيهه عن نعوت غيره من الأخيار والأشرار . [g] وقوله : وهى معرفة العامة التى لا تنعقد شرائط اليقين إلا بها معناه أن اليقين هو توالى أنوار الإيمان على القلب حتى لا يبقى فيه التفات إلى الأسباب ، ويصير دائم النظر لرب الأرباب . [h] وأصل هذا اليقين صحة الإيمان وبه تنعقد حباله وشرائطه ، إذ اليقين لا بد له من أمر يوقن وهو اعتقاد عوام أهل الحق فانه صحيح موافق للعلم .

432 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهى على ثلاثة أركان : أحدها إثبات الصفة باسمها من غير تشبيه ، ونفى التشبيه عنها من غير تعطيل ، والإياس من إدراك كنهها وابتغاء تأويلها . [b] قلت : قوله : إثبات الصفة باسمها من غير تشبيه إلى

432 : a. أركان : درجات.

آخره فيه إشارة إلى الرد على نفاة الصفات وعلى من أثبتها حادثةً كما ذهب إليه بعض المعتزلة فى الإرادة والعلم . [c] فاثباتها قادمةً يجمع الرد عليهما وفيه تنزيه الصفات القديمة عن إدراك حقائقها والإحاطة بكيفية تعلقها بمتعلقاتها ، وهو بحر لا ساحل له ولا سبيل إلى حوضه فضلا عن التعمق * فيه . [d] فان القدرة الأزلية تتعلق بالممكن الوجود فتصيره موجوداً أو شيئاً ولم يكن شيئاً . [e] وكذلك الإرادة الأزلية تخصص سائر المرادات الممكنات ، ما علم الحق وقوعه منها وما علم استمرار عدمه من الجائزات ، إذ لا يترجح أحد جانبى الممكن من نفسه ولا بد له من سبب فى التخصيص بالوجود أو باستمرار العدم بدلاً عنه . [f] دلت على ذلك الآيات الواضحات ۞ والعقول عاجزة عن معرفة وجه تعلق العلم القديم بسائر المعلومات ۞ والإرادة بسائر الممكنات ۞ والقدرة بإيجاد الموجودات ۞ لا من شىء تقدمها قامت به الدلالات .

* fol. 131 b

433 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية معرفة الذات ۞ مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات ۞ وهى تنبت بعلم الجمع ، وتصفو فى ميدان الفناء ، وتستكمل بعين البقاء ، وتشارف عين الجمع . [b] وهى على ثلاثة أركان : إرسال الصفات على الشواهد ، وإرسال الوسائط على المدارج ، وإرسال العبارات على المعالم . وهى معرفة الخاصة التى تؤنس من أفق الحقيقة . [c] قلت : * وهذه الدرجة أرفع مما قبلها من جهة المتعلق ، فان الدرجة التى قبلها نظر فى الصفات ۞ وهذه اقتصار على الذات ۞ وإن كانت الذات لا تخلو من الصفات . [d] والصفات قائمة بالذات ، ولا نقول هى أغيار الذات لاستحالة المفارقة ، وحقيقة الغيرَيْن ما تجوز مفارقة أحدهما الثانى . [e] وإنما ترجحت هذه الدرجة من حيث رفعة همة العارف

* fol. 132 a

433 : p. C xxviii 28/29.

وجمعها على الحق تعالى . [f] وقوله : وهى تنبت بعلم الجمع يعنى هذه الدرجة ، فان حصل محصل علم الجمع ، هان عليه التخلق به ؛ وعلم الجمع هو العلم بانفراده سبحانه بالأفعال ۞ وعجز من سواه عن الاقتدار على إيجاد ذرة أو جوهر من مثقال . [g] وإذا توالى هذا العلم على القلب وسقط ذكر غيره عن الذُكر والبال ، تمكن علم الذات فى قلبه واتصف به ۞ وكلما فنى العبد عن ذكر غيره ، صفت هذه المعرفة فى قلبه . [h] وأضاف الشيخ الفناء إلى الميدان ۞ لاتساع أمد التخلق به على الانسان ۞ وذلك لالتفات نفسه إلى الأسباب ۞ وجذب روحه لها عن ذلك وعقله إلى إفراد رب الأرباب . [i] وإذا دام عكوف قلبه على الحق ونظره إليه ورؤية الفعل منه ، كملت * معرفته واستكملت بهذا البقاء الذى هى فيه وشارفت عين الجمع ، وهى الغيبة عن نفسها فضلاً عن غيرها . [j] وقوله : وهى على ثلاثة أركان : إرسال الصفات على الشواهد إلى آخر كلامه يعنى معرفة الدات ببلوغ عين الجمع لها ثلاثة أركان . [k] وهى أن العبد يعرف الحق سبحانه بما دل على كماله وتوحيده من الكتاب العزيز وأقوال الرسول عليه السلام ، وقد يدله عليه ما يشاهده ويبلغه من أحوال الأنبياء والأولياء من خوارق العادات وجريان الكرامات ۞ وقد يدله عليه ما يجده من تغير صفاته وأحواله فى سائر الأوقات . [l] فاذا كملت معرفة العبد فى التوحيد ، علم أن الحق سبحانه إنما ألهمه لصفات نفسه ولما أجراه عليه ليشهد له من نفسه بكمال الاقتدار ، وما أطلعه على ما أطلعه أو بلغه مما أجراه على الوسائط بينه وبينه إلا ليتدرج منهم إليه . [m] ويعلم أن ما أجراه الحق سبحانه عليهم ، قادر على إجرائه على غيرهم ، وأنه لا فعل لغيره ؛ ويعلم أن ما أجراه سبحانه على لسان رسوله وما ذكره فى كتابه العزيز مما يدل على كمال ذاته (ليس) إلا معالم ليقتدى بها الخلق ويعرفوا كماله * وجلاله ممن يقطعون بصدقه ولا يشكون فى خبره . [n] وإذا آمنوا به وصدقوه وتحسسوا لآثار اقتداره فى أنفسهم وفى غيرهم ، انتقلوا من معرفة الخبر إلى

* fol. 132 b

* fol. 133 a

العيان. " فاذا أرسلوا كل معنى مما ذكرناه على مقصوده ، وصرفوا هممهم إلى الحق مجريه وناصبه ، والعالم بكيفية وجوده ، اجتمعت هممهم عليه وتمكنوا فى معرفة الذات ، الموصوفة بأكمل الصفات. " وهذه معرفة الخاصة التى تؤنس من أفق الحقيقة من قوله تعالى : ﴿آنس من جانب الطور ناراً﴾ أى أدرك ، فالعبد يدرك هذه المعرفة إذا علق همته بأفق الحقائق ، وأعرض عن الأسباب والوسائط إعراض شغل عنها لا إعراض انتقاص لها وازدرائها ، فيعمى بذلك عن الإبصار ، ويصير من أهل النار.

434 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة معرفة مستغرقة فى بحر التعريف ، لا يوصل إليها الاستدلال ، ولا يدل عليها شاهد ، ولا تستحقها وسيلة. " وهى على ثلاثة أركان : مشاهدة القرب ، والصعود عن العلم ، ومطالعة الجمع. وهى معرفة خاصة الخاصة. " قلت : وهذه المعرفة أبلغ مما قبلها ، فان ما قبلها معرفة متعلقة بالوسائل والشواهد طمعاً فى الوصول إلى بلوغ * المأمول ، وهذه معرفة فى عين المقصود غالبة على أحوال العارفين وطاقتهم ، قد استغرق من بلغه الحق إليها فى إدراكه لما هو فيه ، حتى غاب عن مطالبه وأسباب قربه شغلاً بمعروفه وموجوده ، فهو فى حاله معرف عارف مكشوف له كاشف. " وإنما كانت أركانه ثلاثة لأن صاحب هذا المقام مشاهد للقرب صاعد عن العلم لغلبة حال الجمع ، وهو رؤية الواحد خاصة.

* fol. 133 b

[٩٢]. باب الفنـاء

435 " قال الله عز وجل : ﴿كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو

435 : a b. C LV 26-27.

الجلال والإكرام﴾. " قلت : ووجه الإشارة بالآية أن الفناء ذهاب عن هذا العالم ، و﴿يبقى وجه ربك﴾ أى لا يبقى فى القلب سواه.

436 " قال الشيخ رحمه الله : الفناء فى هذا الباب اضمحلال ما دون الحق علماً ، ثم جحداً ، ثم حقاً. " قلت : الفناء عند أهل الحق يضادد البقاء ، فان العبد باقٍ بخلق الحق أعراض البقاء فيه ، فاذا لم يخلق له ذلك اضمحل وذهب ففنى ؛ فلذلك قال الشيخ : الفناء اسم لاضمحلال ما دون الحق يعنى عن القلب. " علماً أى لا يبقى عنده علم بغير الله ؛ ثم يرتقى فى مقام الفناء عنهم حتى يصيروا فى حقه كالمعدومين وهو المراد بقوله ثم جحداً أى إنكاراً ؛ ثم يغيب عنهم وجوداً للحق وذوقاً ، حتى يكلَّم * ولا يسمع ويُمر به ولا يرى. " فالفناء الأول فناء العلماء بالله والعمال ، والفناء الثانى فناء السالكين وأرباب الأحوال ، والفناء الثالث فناء العارفين المستغرقين فى الله المحبين له.

* fol. 134 a

437 " قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى فناء المعرفة فى المعروف ، وهو الفناء علماً ، وفناء العيان فى المعاين ، وهو الفناء جحداً ، وفناء الطلب فى الوجود ، وهو الفناء حقاً. " قلت : وهذه الدرجة الأولى هى ما ذكرناه من فناء العالم عن غير الله حتى عن علمه بكونه عالماً ، وهو قوله فناء المعرفة بالمعروف. " والثانى فناء العيان فى المعاين ، وهو تمكن فى الحال إلى أن يصير المعلوم كالمعاين ، ثم يفنى المعاين عن كونه معايناً شغلاً بالمعايَن. " ثم ينتهى به الشغل بموجوده ، حتى لا يبقى فى نفسه طلب لزيادة فى حاله ولا تشوف له يناله شغلاً بموجوده.

438 " فصل. ولا ينبغى لمن سمع هذه الإشارات من هذه العبارات أن

438 : d. C XII 31.

يستبعدها فضلاً عن استنكارها ، فان أمثالها كبار فى الدنيا على من تمكن فى خوفه أو رجائه أو محبته . [b] فمن أحضره سلطان شديد السطوة والأخذ بالكظم ، وقد عظم جرمه عند نفسه وغلب على قلبه قلقه ، فأحواله فى حضوره بين يديه تختلف بالإضافة إلى ما يلقاه به السلطان من الأنفة عليه * والإعراض عنه . [c] فتارةً يذكر جرمه وحضوره للقصاص ۞ وتارة يقهره الحال حتى لا يذكر ما له أحضر لغلبة الخوف على نفسه ويأسه من الخلاص ۞ وتارة يغيب قلبه بالكلية فلا يشعر بما يجرى على لسانه ۞ ولا بأحد من جلساء سلطانه وخدامه . [d] وكذلك يجرى مثله على من قويت محبته واستغرق فى محبوبه ، كما فعل النسوة اللاتى جمعتهن امرأة العزيز وأخرجت عليهن يوسف عليه السلام ﴿فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن﴾ ، فلم يجدن ألم قطع الأيدى حتى غاب عنهن يوسف ، وذلك لما هجم على قلوبهن من جماله وكماله ومحبته واستغراق ذلك لهن وإذهابه بشعورهن وإحساسهن بأنفسهن وجراحهن . [e] هذا رحمة الله فى جمال مخلوق محدث ، له أمثال وأقران ومن يقاربه ويدانيه فى الجمال ، وإنما خرج عن أبناء جنسه ببعض الصفات ۞ وامتاز ببعض المعالى المخلوقات . [f] فكيف لا تستغرق الأفهام وتذهب العقول وتتلاشى الأحساس بما يجرى على الأبدان فى التعجب والاستعظام والإجلال ، لكمال المعرفة والمحبة للمنزه عن المقاربة والمداناة فضلاً عن المماثلة فى شىء من الصفات ۞ المنزه عن التقديرات ۞ المقدس عن الجهات ۞ القريب من كل مخلوق من غير مداناة ۞ البعيد حتى حارت قلوب من لم يهده ويدله على حسن النظر السديد فى الآيات الواضحات ۞ فنسأله * الثبات ۞ على الحق حتى الممات .

(* fol. 134 b — * fol. 135 a)

439 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية فناء شهود الطلب لإسقاطه ،

439 : a. العلم لإسقاطه : المعرفة لإسقاطها (corr. marg.).

وفناء شهود المعرفة لإسقاطها ، وفناء شهود العيان لإسقاطه . [b] قلت : وهذه الدرجة فى الفناء أمكن من جهة إعراضهم عن فنائهم عما تقدم ذكره ، قد سقط عن قلوبهم ذكر أحوالهم ومقاماتهم لما هم فيه من الشغل بربهم تعالى .

440 [a] قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة الفناء عن شهود الفناء وهو الفناء حقاً ، شائماً برق العين ، راكباً بحر الجمع ، سالكاً سبيل البقاء . [b] قلت : وإنما كانت حقاً لغلبة الحق على القلب لما ناله من شيم برق المعاينة ، قد تمكن فى بحر الجمع وركبه ۞ وسلك سبيل البقاء مع الحق وطلبه ۞ لاحت له غين من الحقيقة فشمر إليها وسلك فى تحصيلها مسلك حفظ حاله فى البقاء مع الحق بحسن الهمة طلباً لدوام اللقاء .

[٩٣] . باب البقاء

441 [a] قال الله عز وجل : ﴿والله خير وأبقى .﴾ [b] قلت : ووجه الإشارة بالآية قوله ﴿أبقى﴾ وهو لفظ يدل على المبالغة ، والحق سبحانه لا غاية لبقائه ولا نهاية .

442 [a] قال الشيخ رحمه الله : البقاء اسم لما بقى قائماً بعد فناء الشواهد وسقوطها . [b] قلت : قوله : اسم لما بقى قائماً بعد فناء الشواهد يعنى فى اصطلاح أهل هذا الشأن ما يشهده العبد * ويدركه ، وهو عام فى سائر أنواع ما بقى العبد متصفاً به مدركاً له بعد فناء الشواهد يعنى الأدلة والآثار لاختلاف أحوال السالكين وما يفنيهم الحق عنه ويبقيهم معه .

(* fol. 135 b)

441 : a. C xx 75/73.

443 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عيناً لا علماً ٭ وبقاء المشهود بعد سقوط الشهود وجوداً لا نعتاً ٭ وبقاء ما لم يزل حقاً باسقاط ما لم يكن محواً . [b] قلت : أما بقاء المعلوم مع سقوط العلم فمعناه سقوطه عن قلبه ذكراً لا ذاتاً ، فان كل معلوم لا بد له من علم يتعلق به حتى يصح كونه معلوماً . [c] وقوله عيناً حال لإدراك المعلوم وبقائه معايناً بالقلب حاضراً فيه كالمشاهد بالعين لا علماً مذكوراً خاصة . [d] وكذلك يسقط عن قلبه التفاته لحال مشاهدته وذكر شهوده بقاءً مع مشهوده وجوداً لا نعتاً ، والنعت حال صاحب الوجد والوجود عين الموجود وإدراكه تحقيقاً لا حالاً ونعتاً وشوقاً . [e] وكذلك قوله : بقاء ما لم يزل حقاً بإسقاط ما لم يكن محواً هو أن يغلب على القلب سلطان الحقيقة ونور الجمع ، حتى يمحى عنه ذكر كل مخلوق مما لم يكن ثم كان ، ويبقى فيه تعظيم من لم يزل مشغولاً به عن غيره حتى عن نفسه .

[٩٤] . باب التحقيق

444 *[a] قال الله عز وجل : ﴿قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى .﴾ [b] قلت : ووجه الإشارة بهذه الآية أنه صلى الله على نبينا وعليه وسلم طلب رؤية ذلك وقوعاً وتحقيقاً ، لا أن إبراهيم الخليل عليه السلام يشك فى أن الله سبحانه قادر على أن يحيي الموتى ، تحاشى جميع الأنبياء عن ذلك . [c] وقد نبه سيد العرب والعجم على ذلك فى الخبر الصحيح بقوله : ﴿نحن أحق بالشك * fol. 136 a

443 : *a.* محوا : marg. موجوداً حتى يمحو بالفناء فيه (semble être une glose plutôt qu'une correction qui serait fautive).
444 : *a.* C ɪɪ 262/260.

من إبراهيم فاذا كنا نحن لا نشك فهو أولى ألا يشك .﴾ [d] وقال الدينورى : طلب تحقيق وعد ربه بأنه يتخذه خليلاً فأجله الشوق لذلك حتى طلب أمارة من الحق عليه ليطمئن فيسكن لتنجيز الوعد . ﻫ

445 [a] قال الشيخ رحمه الله : التحقيق تلخيص مصحوبك من الحق ٭ ثم بالحق ٭ ثم فى الحق . [b] قلت : قوله تلخيص مصحوبك من الحق بالغ فى بيان المقصود ، فان التحقيق مبالغة فى الحق ، والمبالغة فيه تكون بتحصينه من المخالطات ٭ وتخليصه من المفسدات ٭ وتلخيصه من المشوشات . [c] ومصحوب العبد من الحق ما هو محتاج إليه فى دينه ودنياه ٭ مما يستعين به فى أمر أخراه ٭ فيعرف العبد الحق جميعه ويميز بينه وبين الباطل ويأخذ منه ما هو محتاج إليه فى سلوكه . [d] فهذه رتبة ؛ ثم يتبرأ من حوله وقوته فى ذلك فيصير بالحق ٭ ثم يتمكن فى ذلك المقام فيصير فى الحق .

446 [a] قال الشيخ رحمه الله : * فهذه أسماء درجاته الثلاث . أما درجة تلخيص مصحوبك من الحق فان لا يخالج علمك علمه ٭ وأما الدرجة الثانية فأن لا ينازع شهودك شهوده ٭ وأما الدرجة الثالثة فأن يناسم رسمك سبقه . فتسقط الشهادات ٭ وتبطل العبارات ٭ وتفنى الإشارات . [b] قلت : وهذه الدرجات الثلاث هى التى تقدم الكلام عليها ، فان آداب الصحبة مع الحق إنما تتلقى من رسوله صلى الله عليه وسلم وتتعلم منه . [c] فلا يخالج تدبير العبد نفسه بعلمه علمَ مولاه وتدبيره إياه ٭ فيكون فى سائر حركاته وسكونه جارياً على أمر الحق ونهيه . [d] وإذا تراقت درجته ، رأى فضل مولاه عليه فى توفيقه لما أولاه ووفقه له من طاعته فى دنياه ٭ ولم يشاهد نفسه ذكراً لما هو فيه من غلبة التفات قلبه إلى فضل الحق * fol. 136 b

445 : *a.* تلخيص : marg. تخليص .

وعطاياه ۞ وهى الدرجة الثانية . [e] وإذا تمكن فى نجواه ۞ وغلب على قلبه تعظيم من اختصه واجتباه ۞ غاب عن إدراك رسمه فضلاً عمن سواه . [f] وإذا وصل إلى هذا الحد من الاصطلام سقطت الشهادات وبطلت العبارات ۞ وفنيت الإشارات ۞ للاستغراق فى حقيقة عظمة خالق الأرضيين والسموات .

[٩٥] . باب التلبيس

447 * [a] قال الله عز وجل : ﴿ وللبسنا عليهم ما يلبسون . ﴾ التلبيس تورية بشاهد معار عن موجود قائم . [b] قلت : وهذا الحد فى معنى التلبيس بالغ ، فانه إظهار خلاف المراد وهذا معنى التورية . [c] وقد قيل : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزاة ورى بغيرها ليأخذ أهل تلك الجهة من الكفار على غرة . [d] والشاهد المعار هو ظاهر الملبس ، والموجود القائم هو المعنى الذى ستره ولبس على غيره فيه ؛ ولولا ذلك لم يكن تلبيساً ، فان التلبيس لا بد له من شىء يستر به ويلبس فيه .

*fol. 137 a

448 [a] قال الشيخ رحمه الله : وهو اسم لثلاثة معان . أولها تلبيس الحق سبحانه بالكون على أهل التفرقة ، وهو تعليقه الكوائن بالأسباب والأماكن والأحايين وتعليقه المعارف بالوسائط والقضايا بالحجج والأحكام بالعلل والانتقام بالجنايات والمثوبة بالطاعات ، وأخفى الرضى والسخط الذين يوجبان الوصل والفصل ويظهران السعادة والشقاوة . [b] قلت : وإضافة هذا التلبيس إلى الحق سبحانه لا نقص فيه ، فانه راجع إلى صفات فعله ، وله سبحانه أن يضل ويهدى ويبصر ويعمى .

447 : *a*. C vi 9.
448 : *c*. C vi 9.

[c] ولذلك استدل الشيخ بالآية وهو قوله : ﴿ وللبسنا عليهم ما يلبسون . ﴾ * فأضافه إلى نفسه تعالى . [d] وقوله : أولها تلبيس الحق بالكون يعنى بالموجودات الكائنة بعد أن لم تكن ؛ وأهل التفرقة هم الذين غلب عليهم النظر إلى الأسباب حتى غفلوا عن المسبب ، وذلك لإضافة الحق الأفعال الكائنة بقدرته إلى أسباب وأزمنة وأمكنة . [e] وكذلك تعليقه تعالى المعارف بالوسائط وهى الأدلة العقلية وبالحواس من المسموعات والمبصرات والملموسات ، مع قدرته على أن يخلق هذه المعارف بغير هذه الوسائط ، فحجب أكثر الخلق بها عنه . [f] وكذلك القضايا ، وهى الوقائع بين العباد من الحدود والتعزيرات ، بالحجج الموجبة لها . [g] وكذلك تعليقه الأحكام بالعلل وهى المعانى التى لأجلها ثبتت الأحكام ، وهو واضع العلل ومضيف الأحكام إليها . وكذلك ترتيب الانتقام على الجنايات وربطه الثواب بالطاعات ، وكل ذلك من فضله أو عدله . [h] وأخفى عن عباده ما سبق لهم عنده من سخطه عمن سخط عليه ورضاه عمن رضى عنه الموجبان لوصل مَن وصله وقطع مَن قطعه . [i] فان ذلك أمر مغيب عن عباده وإنما يتصفحه فى العالم مَن فتح الحق بصيرتَه وكفاه إعراضَه عنه وغفلته .

*fol. 137 b

449 [a] قال الشيخ رحمه الله : والتلبيس الثانى تلبيس أهل الغيرة على الأوقات باخفائها * وعلى الكرامات بكتمانها ، والتلبيس بالمكاسب والأسباب ، وتعليق الظاهر بالشواهد والمكاسب ، تلبيساً على العيون الكليلة والعقول العليلة ، مع تصحيح التحقيق عقداً وسلوكا ومعاينةً . وهذه الطائفة رحمة من الله على أهل التفرقة والأسباب فى ملابستهم . [b] قلت : وهذه الدرجة فى التلبيس كسب العبد وما قبلها أفعال الله تعالى ، وبهذا التلبيس يقوى فى حاله وإخلاصه . [c] فصاحب هذا

*fol. 138 a

449 : *c*. بقلبه : بقلبهم ; بعلمه وحاله : بعلمهم وحالهم ; بروحه وهمته : بروحهم وهمتهم — *h*. C xiii 10/9.

المقام يخفى أحواله غيرةً عليها من المشاركة وأنفاسه خوفاً عليها من المداخلة ، فظواهرهم ظواهر غيرهم من الناس فى المكاسب والمعاملات * وقلوبهم مع الحق فى أعلى المراتب والدرجات * عقداً بقلبهم * وسلوكا بعلمهم وحالهم * ومعاينةً بروحهم وهمتهم . [d] فهذه الطائفة إنما كانت رحمة على أهل التفرقة والأسباب فى ملابستهم وخلطتهم من وجهين : أحدهما أنهم ذاكرون الله فى وسط الغافلين فيرحمهم الحق بهم ، فانهم القوم لا يشقى بهم جليسهم . [e] والوجه الثانى أنهم لا يتركونهم فى غفلاتهم ، بل ينصحونهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، فيُرحَمون بهم . [f] فهم بين العباد يتصرفون على مقتضى العلم ، ويكرمون مَن أمرهم الحق باكرامه من أهل الطاعة * والإيمان * ويهجرون ويهينون مَن أمرهم الحق بهجرانه * fol. 138 b
أو إهانته من أهل المخالفة والعصيان * فهم مع الحق لامع غيره . [g] كما قال قائلهم :

وظنــونى مدحتهم جميعــاً * وأنت بمــا مدحتهم مــرادى

[h] ولا يعرفهم إلا مَن قرب من درجاتهم ، فانه يعرف بعض ما عندهم بما عنده من ذلك ؛ أما من عميت عيناه عنهم بالأنس بالمعتاد * ولم يعرف من الخير إلا ما لا يجهله أحد من العباد * ولم يجوز عقله وصول أحد إلى ما أشرنا إليه من سنى الأحوال * فى معاملة ﴿ الكبير المتعال ﴾ * فهو بعيد عنهم ، محجوب عن رؤيتهم .

450 [a] قال الشيخ رحمه الله : والتلبيس الثالث تلبيس أهل التمكن على العالم ، ترحماً عليهم بملابسة الأسباب وتوسعاً على العالم لا على أنفسهم . [b] وهذه درجة الأنبياء عليهم السلام ؛ ثم هى للأئمة الربانيين ، الصادرين عن وادى الجمع ، المشيرين عن عينه . [c] قلت : وهذه الدرجة أتم مما قبلها ، فان ما قبلها دخول فى أحوال التفرقة لستر حاله ، وهذه الدرجة رجوع إلى الأسباب مع كمال

الشغل بالحق بقصد التوسعة على الخلق والرفق بهم * من غير منفعة ترجع لأنفسهم * لا ستراً لأحوالهم * والتلبيس على غيرهم * فهؤلاء لزم التلبيس على الخلق من أحوالهم من غير * قصد له . [d] وهو حال الأنبياء ، مع كمال قوتهم وشغلهم بالله ، * fol. 139 a
يداخلون الخلق فيما هم فيه رحمةً لهم وعوناً ، وبواطنهم خافية عنهم . [e] وكذلك الأئمة الربانيون الذين غلبت عليهم أحوال المعارف والشغل بجلال الحق وكماله ، ولكن دعاهم الحق إلى مخالطة الخلق لتعليمهم وإرشادهم ، فيعيدون عن وادى الجمع مع الحق إلى نظر فى أمر الخلق ليدلوهم عليه * ويشيرون إليه .

[٩٦] . باب الوجود

451 [a] قال الله عز وجل : ﴿ ووجد الله عنده ﴾ فأطلق تعالى اسم الوجود فى القرآن على نفسه صريحاً فى مواضع فقال : ﴿ يجد الله غفوراً رحيما ﴾ ﴿ ولوجدوا الله تواباً رحيما . ﴾ [b] قلت : الوجود عند أهل الحق هو الموجود بعينه ؛ فالحق سبحانه موجود ثابت لم يزل ، والعالم موجود حادث بعد أن لم يكن ؛ وليس للعالم ثبوت ثم طرا عليه حال الوجود ، بل لم يكن شيئاً فأوجده الحق سبحانه لا من شىء فهو عين الموجود .

452 [a] قال الشيخ رحمه الله : الوجود اسم للظفر بحقيقة الشىء ؛ وهو اسم لثلاثة معان : أولها وجود علم لدنى يقطع علوم الشواهد فى صحة مكاشفة الحق إياك . [b] قلت : وهذا المعنى هو معرفة الحق سبحانه * يجده العبد بعد طلبه وبحثه * fol. 139 b
بعقله ، فيسدد الحق عقله فى معرفته حتّى يتحقق العبد أن جميع ما هو فيه فضل من ربه ومعرفته به من جملة فضله عليه .

451 : a. C xxiv 39; iv 110; iv 67/64.

453 " قال الشيخ رحمه الله : والثانى وجود الحق وجود عين منقطعاً عن مساغ الإشارة . " قلت : وهذه الدرجة فى الكشف أبلغ مما قبلها ، ولذلك نعتها بوجود عين والأولى وجود علم . ' فان العلم قد يكون ضرورياً وغير ضرورى ؛ والضرورى أبعد عن الالتفات ٭ وطروق الآفات ٭ وقلة الغفلات ٭ فهو يشاهد معروفه بنور البصيرة ، كما يشاهد المبصرات بنور البصر ، فانقطع لذلك بكليته قلبه إليه ٭ وامتنعت عليه الإشارة عما لديه .

454 " قال الشيخ رحمه الله : والمعنى الثالث وجود مقام اضمحلال رسم الوجود فيه بالاستغراق فى الأولية . " قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها ، فانها شغل عن إدراك كونه واجداً بالموجود . ' فلم تبق فيه بقية يتفطن بها لكونه مدركا لوجوده ٭ قد استولى على قلبه قهر الحق ومحقه له عن شعوره بكونه واجداً لموجوده ٭ فهو حاضر مع الحق غائب عن غيره متصرف بأمره .

[٩٧] . باب التجريد

455 " قال الله عز وجل : ﴿ فاخلع نعليك ﴾ " قلت : ووجه الإشارة بالآية * وليس تفسيراً لها : إطرح عنك كل ما لا يكون صالحاً لقربنا ٭ ولا يليق ببساطنا . * fol. 140 a

456 " قال الشيخ رحمه الله : التجريد الانخلاع عن شهود الشواهد ، وهو على ثلاث درجات : الدرجة الأولى تجريد عين الكشف عن كسب اليقين . " قلت : وقوله : تجريد الكشف أى تخليصه وتعريه عن الالتفات إلى تكلف حفظه بتذكر أسباب اليقين . ' واليقين هو توالى الإيمان فى القلب ودوام ذكره ، والعبد

455 : a. C xx 12.

يكتسبه ويتعلمه كما قال عليه السلام : ﴿ تعلموا اليقين . الحديث . ﴾ " فاذا تمكن العبد فيه وقويت بصيرته ودام كشفه وتوالى علمه ، تجرد كشفه للحق واطلاعه عليه عن ذكر اكتسابه له بأدلته ٭ وتكلفه بالبعد عن أسباب غفلته .

457 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثانية تجريد عين الجمع عن درك العلم . " قلت : وهذه الدرجة أبلغ مما قبلها ، فان ما قبلها تجريد عن رؤية كسب العبد وتكلفه لكمال ما فتح على قلبه من الكشف ونور البصيرة ، وهذه الدرجة تجريد عن رؤية حاله مع كمال كشفه بمعلومه لما غلب من ذكر الفضل لمجريه على قلبه ، فلا تفرقة فى قلبه ولا التفات له لكمال * حاله لشغله بالله عز وجل . * fol. 140 b
وهو المراد بعين الجمع أى حقيقته وروحه .

458 " قال الشيخ رحمه الله : والدرجة الثالثة تجريد الخلاص عن شهود التجريد . " قلت : وهذه الحالة أبلغ ، فان صاحبها فى أكمل التجريد عن الأسباب وهو فى عين الجمع بالهمة على الحق ، مشغول به عن ذكر جمعه ، قد استغرق قلبه فيما هو فيه من الجلال والكمال ٭ حتى لا يمكنه عنه زوال . ' ولم يبق لقلبه التفات إلى تجريده ، إذ لو بقى له التفات إليه لم يكمل تجريده .

[٩٨] . باب التفريد

459 " قال الله عز وجل : ﴿ ويعلمون أن الله هو الحق المبين . ﴾ التفريد اسم لتخليص الإشارة إلى الحق ٭ ثم بالحق ٭ ثم عن الحق . " قلت : وإنما كان التفريد بعد التجريد من حيث كان التجريد انقطاعاً عن الأغيار ٭ والتفريد إفراد

458 : a. شهود : interl. تجريد.
459 : a. C xxiv 25.

الحق سبحانه بالإيثار . فمن كانت إشارته إلى الحق تفريداً كان من المُخْلِصين ، ومن كانت إشارته بالحق تفريداً كان من المُخلَصين ، ومن كانت إشارته عن الحق تفريداً كان من الناطقين عنه المبلغين . فالأولى إخلاص فى الأعمال والأحوال ، والثانية رؤية الفضل للكبير المتعال ، والثالثة غيبة عن النفس بكل حال ، لكمال الحضور واستغراق البال .

460 قال الشيخ رحمه الله : * فأما تفريد الإشارة إلى الحق فعلى ثلاث درجات : تفريد القصد عطشاً ، ثم تفريد المحبة تلفاً ، ثم تفريد الشهود اتصالاً . قلت : وهذه الثلاث مراتب بداية ووسطى ونهاية ، وإن كان الجميع فى مقام النهاية . فتفريد القصد عطشاً حال الطالب الراغب ، وتفريد المحبة تلفاً حال الواجد لمطلوبه الفاقد لنفسه ، وتفريد الشهود اتصالاً حال المتمكن الثابت ، الفانى عن غير موجوده الفائت . * fol. 141 a

461 قال الشيخ رحمه الله : وأما تفريد الإشارة بالحق فعلى ثلاث درجات : تفريد الإشارة بالافتخار بوحاً ، وتفريد الإشارة بالسلوك مطالعةً ، وتفريد الإشارة بالقبض غيرةً . قلت : وهذه الدرجة أيضاً مراتب كذلك : فتارةً يفرد إشارته بما أولاه الحق افتخاراً ظاهراً لا يخفيه ، وتارةً يفرد إشارته بوجود مولاه مطالعةً بعين مفتوحة فيه ، وتارةً يفرد إشارته عن قبض وإمساك عن الإخبار بالإشارة لما هو فيه .

462 قال الشيخ رحمه الله : وأما تفريد الإشارة عن الحق فانبساط ببسط ظاهر يتضمن قبضاً خالصاً للهداية إلى الحق والدعوة إليه . قلت : وهذه الدرجة إنما كانت عن الحق وإن كان كل ما تقدم كائن بقدرته ، فهو * من حيث غلبة ذلك على قلب صاحبها ؛ فهو فى باطنه مقبوض لما هو فيه من غلبة التوحيد ، * fol. 141 b

وفى ظاهره مبسوط مع الخلق بسطاً ظاهراً لكمال قوته ، قصداً لهدايتهم إلى الحق ودعوتهم إليه .

[٩٩] . باب الجمع

463 قال الله عز وجل : ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى . ﴾ الجمع ما أسقط التفرقة وقطع الإشارة وشخص عن الماء والطين ، بعد صحة التمكين والبراءة من التلوين والخلاص من شهود الثنوية والتناقى من إحساس الاعتلال والتنافى من شهود شهودها . قلت : وما ذكره الشيخ بالغ فى الجمع ، شامل لسائر معانيه التى تجمع القلب عن التفرقة وتسقطها عنه ، حتى تصير كالمعدومة عنه ، حتى يغيب عن ذكر نفسه ؛ ولذلك قال : وشخص عن الماء والطين يعنى بنى آدم مطلقاً ونفسه من جملتهم . وقوله : بعد صحة التمكين والبراءة من التلوين والخلاص من شهود الثنوية إلى آخر كلامه ، معناه أن العبد لا يمكنه أن يرتقى عن السكون إلى جنسه من الآدميين إلا بعد صحة تمكينه فى المعرفة ، وبراءته من التلوين والالتفات إلى الأسباب ، والخلاص من رؤية اثنين عبد ورب ؛ بل لا يغلب على قلبه إلا رؤية الحق خاصةً وبه يكون نافياً عن قلبه شهود شهوده .

* fol. 142 a 464 * قال الشيخ رحمه الله : وهو على ثلاث درجات : جمع علم ، ثم جمع وجود ، ثم جمع عين . فأما جمع العلم فهو تلاشى علوم الشواهد فى العلم اللدنى صرفاً . قلت : يعنى أنه يغيب عن ذكر سائر العلوم المتعلقة بالمحسوسات المشاهدة بشاهده لاستيلاء علمه بالحق على قلبه صرفاً .

465 قال الشيخ رحمه الله : وأما جمع الوجود فهو تلاشى نهاية الاتصال

463 : a. C VIII 17.

فى عين الوجود محقاً . " قلت : وذلك أن الاتصال فيما نحن فيه إنما يكون بالإضافة إلى ذكر شيئين يكون أحدهما متصلاً بالآخر . ° وإذا أدرك العبد كونه متصلا كان حاله التفرقة ، وإذا تلاشى ذلك محقاً منه ، بحيث لا يبقى له أثر ، كان جمعاً .

466 " قال الشيخ رحمه الله : وأما جمع العين فهو تلاشى كل ما تقله الإشارة فى ذات الحق حقاً . " قلت : وهذه الدرجة أبلغ فى الجمع ، فان تلاشى ما تقله الإشارة ، أى تحمله وتبلغه لمن يفهمه مما يجده العبد من مواهب الحق ، دليل على غلبة حكم الحقيقة عليه ، ولذلك قال : فى ذات الحق حقاً .

467 " قال الشيخ رحمه الله : والجمع غاية مقامات السالكين وهو طرف بحر التوحيد . * " قلت : وإنما كان كذلك من حيث أن السالك ما دام فى سلوكه فهو فى تفرقة الاستدلال والطلب والإقبال . ° فاذا وصل إلى مقام المعرفة وصارت الأشواق له مسالفة وهمه هماً واحداً بالحق وفيه وغلب حاله إدراك كونه مدركا ، فقد خاض بحر التوحيد الذى تغرق فيه القلوب ∘ وتتلاشى فيه الفهوم ∘ وتتلف فيه الهمم حيرةً ودهشاً ∘ أو فرحاً وطيشاً . * fol. 142 b

[١٠٠] . باب التوحيد

468 " قال الله عز وجل : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو. ﴾ التوحيد تنزيه الله تعالى عن الحدث ؛ وإنما نطق العلماء بما نطقوا به وأشار المحققون بما أشاروا إليه فى هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد ، وما عداه من حال أو مقام فكله مصحوب العلل . " قلت : ومعنى الإشارة بالآية أن الحق سبحانه هو الشاهد لنفسه بالوحدانية ، وإنما ينطق من ينطق بلسان التوحيد ويشير من أهل التوحيد من

468 : a. C III 16/18.

يشير لتعريف التوحيد وتصحيحه فى نفسه ؛ وإلا فمن ادعاه حالاً ∘ أو نسبه لنفسه مقاماً ∘ فدعواه غير مقبول ∘ عند أهل التحقيق معلول ∘ بل كماله غيبته فى توحيده ∘ عن رؤية توحيده .

* fol. 143 a 469 " قال الشيخ رحمه الله : والتوحيد * على ثلاثة أوجه : الوجه الأول توحيد العامة الذى يصح بالشواهد ، والوجه الثانى توحيد الخاصة وهو الذى يثبت بالحقائق ، والوجه الثالث توحيد قائم بالقدم وهو توحيد خاصة الخاصة . " فأما التوحيد الأول فهو شهادة أن ﴿ لا إله إلا الله ﴾ وحده لا شريك له ، الأحد الصمد ﴿ الذى لم يلد ولم يولد ∘ ولم يكن له كفواً أحد . ﴾ ° فهذا هو التوحيد الظاهر الجلى الذى نفى الشرك الأعظم ؛ وعليه نصبت القبلة ، وبه وجبت الذمة ، وبه حقنت الدماء والأموال وانفصلت دار الإسلام عن دار الكفر ؛ وصحت به الملة للعامة ، وإن لم يقوموا بحق الاستدلال ، بعد أن سلموا من الشبه والحيرة والريبة بصدق شهادة صححها قبول القلب . " هذا توحيد العامة الذى يصح بالشواهد ، والشواهد هى الرسالة والصنائع ، تجب بالسمع وتوجد بتبصير الحق وتنمو على مشاهدة الشواهد .

470 " قلت : الموحدون لله تعالى على ثلاثة أقسام : موحد بالنطق باللسان مع صحة الاعتقاد والانقياد ، وهذا هو الأول ؛ وموحد بالاستدلال بالآثار والاعتبار ∘ ووضوع العلم المخلص من آفة التعرض لقبول * أقوال الأشرار ∘ وهذا توحيد الخاصة ؛ وموحد بالحال وكمال البصيرة بحقيقة القدم ∘ والفرق بينه وبين من يجوز عليه العدم ∘ هو فى حال وجوده دائم الحاجة والفقر فى كل نفَس ، لا يملك لنفسه * fol. 143 b

469 : b. C XLVII 21/19, XXXVII 34/35; CXII 3-4.
470 : a. C CXII 3-4.

حبة من خردل ولا ذرة منها ؛ فهم فى حال الوجود فى عين العدم ۞ فكيف بما تقدم ۞ فلا وجود على الحقيقة إلا للواحد الفرد الصمد ۞ ﴿الذى لم يلد ولم يولد ۞ ولم يكن له كفواً أحد .﴾ ″ فالوجه الأول صحة الاعتقاد والسكون إلى ما ثبت بالكتاب العزيز ومن سنة النبى عليه السلام ، وظواهر الأفعال وأنواع الموجودات المتجددة فى العالم والحركات الكائنة فى البر والبحر ، من غير تحقيق لوجوه الاستدلال والفرق بينها وبين الشبه . ′ فهذا التوحيد هو الشرط فى صحة الإيمان وثبوت الأعمال ، وهذا هو الصحيح بخلاف من يزعم أن شرط قبول الإيمان ۞ المعرفة بواضح البرهان .

471 ″ قال الشيخ رحمه الله : والوجه الثانى التوحيد الذى يثبت بالحقائق فهو توحيد الخاصة ؛ وهو إسقاط الأسباب الظاهرة ، والصعود عن منازعات العقول وعن التعلق بالشواهد . ″ وهو أن لا يشهد فى التوحيد دليلاً ۞ ولا فى التوكل سبباً ۞ ولا للنجاة وسيلة ؛ فيكون مشاهداً سبق الحق بحكمه وعلمه ووضعه الأشياء مواضعها ۞ وتعليقه إياها بأحايينها ۞ وإخفائه إياها * فى رسومها ۞ ويحقق معرفة * fol. 144 a العلل ويسلك سبيل إسقاط الحدث . ′ هذا توحيد الخاصة الذى يصح بعلم الفناء ، ويصفو فى علم الجمع ، ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع .

472 ″ قلت : وأول هذا التوحيد هو النظر والاستدلال ۞ وتحقيق العلم بانفراد الحق سبحانه بالأفعال . ″ فاذا تمكن العبد فيه استغنى عن الدليل والاستدلال ، فلا يشهد فى توحيده دليلا ۞ ولا فى توكله على الحق سبيلا فان السبيل سبب ۞ والمتوكل معرض عن الأسباب مشغول بالمسبب ۞ ولا فى النجاة وسيلة وإن كان متعاطيها للأمر بل يكون ناظراً فيما يجريه ۞ ويقدره ويقضيه ۞ ويمنعه ويعطيه ۞ بتصفح ما سبق فى القدم ۞ جارياً على المنعوتين حقاً بالعدم . ′ وهذا سلوك سبيل إسقاط رؤية المحدَثين عن القلب ، ويصح بعلم الفناء عن غير الحق ، ويصفو

فى علم الجمع وهو علم الأدب فى حال الجمع ، ويجذب المتخلق به إلى عين الجمع يعنى حقيقته والاتصاف به .

473 ″ قال الشيخ رحمه الله : وأما التوحيد الثالث فهو توحيد اختصه الحق لنفسه ولا يستحقه لغيره ۞ وألاح منه لائحاً إلى أسرار طائفة من صفوته ۞ وأخرسهم عن نعته وأعجزهم عن بثه . ″ والذى يشار به إليه على ألسن المشيرين أنه إسقاط الحدث وإثبات القدم ، على أن هذا الرمز فى ذلك * التوحيد علة لا يصح إلا * fol. 144 b باسقاطها . ′ هذا قطب الإشارة إليه على ألسن علماء هذا الطريق ، وإن زخرفوا له نعوتاً ۞ وفصلوه فصولا ۞ فان ذلك التوحيد تزيده العبارة خفاءً ۞ والصفة نفوراً ۞ والبسط صعوبةً . ″ وإلى هذا التوحيد شخص أهل الرياضات ۞ وأرباب الأحوال والمقامات ۞ وله قصد أهل التعظيم ، وإياه عنى المتكلمون فى عين الجمع . ′ وعليه تصطلم الإشارات ، ثم لم ينطق عنه لسان ولم تشر إليه عبارة ؛ فان التوحيد وراء ما يشير إليه مكون ، أو يتعاطاه حين ، أو يقله سبب . ′ وقد أجبت فى سالف الزمان سائلا سألنى عن توحيد الصوفية بهذه القوافى الثلاث :

1 ما وحّد الواحدَ من واحد ۞ إذ كل من وحّده جاحد
2 توحيد من ينطق عن نعته ۞ عارية أبطلها الواحد
3 توحيده إياه توحيده ۞ ونعت من ينعته لاحد

474 قلت : وهذا التوحيد الثالث قد أشار الشيخ رحمه الله إلى روحه وسره وقطبه الذى عليه مداره ، وهو إسقاط الحدث عن القلب ذكراً ۞ وإثبات القدم فى القلب وجوداً . ″ فاذا منّ الله تعالى على أحد بالوصول إلى هذا المقام وأسقط الحوادث عن ذكره ، فلمن يشير ومع مَن يتكلم وإلى من يلتفت ؟ فيخرس لسانه وهو ناطق ، وتعمى عينه وهو ناظر ، وهو فى عين الجمع . ′ فان أشار لم يفهم ولم يفهَم

* fol. 145 a لعزة المعنى وعدم المحل ، فان وصفه *لم يقبَل وحصل النفور عنه لكونه لم يُعهد . [d] وعلى الجملة فالحق سبحانه موصوف بالوحدانية فى الذات والصفات والأفعال ، وكل ما يدركه العبد هى المعانى القائمة بالعبد وهى نعوته التى بها يدرك الوجدانية . [e] فنعوت الحق مختصة به قديمة ، ونعوت العبد مواهب من مولاه حادثة ، والعبد لا يعرف إلا ما عُرف ودعواه أنه عارف مع كونه محلا نقص فى معرفته . [f] وإليه أشار الشيخ بالقوافى الثلاث فى الجواب عن توحيد الصوفية بقوله : توحيد من ينطق عن نعته عارية . [g] فالله تعالى يبلغنا هذه الأحوال ، ولا يجعل حظنا منها المقال !

[h] ولقد خطر لى قوافى فى المعنى ، إلا أنها فى مقصودى أجلى وأولى ، وهى هذه :

[1] ما وحّد الواحد من واحد ، حقاً فغاب الخلق عن ذكره

[2] إلا بفضل من لدن واهب ، يعجز كل الخلق عن شكره

[3] فكن فقيراً وقت إفضاله ، تنل جميل الخير من بره

[4] ولا ترى نفسك فيما ترى ، يحجبك المنعم عن سره

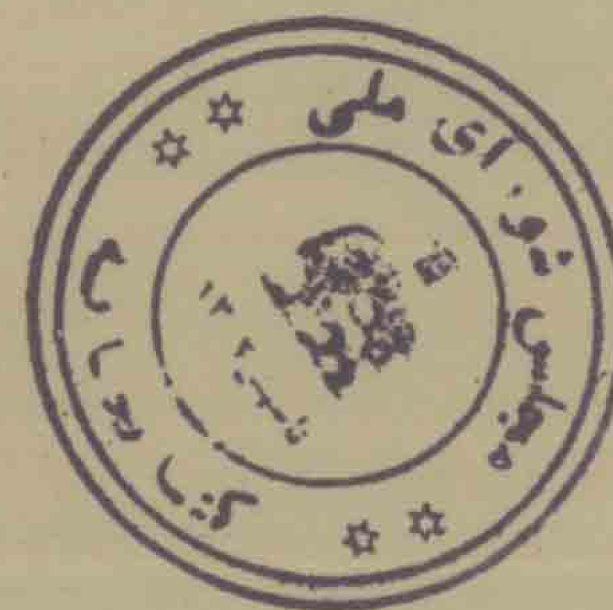
475 [a] تم الكتاب بحمد الله وعونه ، وذلك فى الثامن من شعبان سنة ثمان وثلاثين وستمائة . [b] كتبه لنفسه بخط يده الواثق بالجواد ، محمد بن عبد الله بن يوسف بن حماد ، نفعه الله به وفهمه ما فيه من تعليق العالم العامل المعلم المخلص آمين . صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

475 : b. من تعليق : incert.



ʿABD AL-MUʿṬĪ
AL-LAḪMĪ AL-ISKANDARĪ

COMMENTAIRE
DU LIVRE DES ÉTAPES



PUBLICATIONS DE L'INSTITUT FRANÇAIS D'ARCHÉOLOGIE ORIENTALE DU CAIRE
SOUS LA DIRECTION DE JEAN SAINTE FARE GARNOT

TEXTES ET TRADUCTIONS D'AUTEURS ORIENTAUX

TOME XVIII

ANṢĀRĪYĀT

(1re SÉRIE, TOME II)

ʿABD AL-MUʿṬĪ AL-LAḪMĪ AL-ISKANDARĪ

COMMENTAIRE DU LIVRE DES ÉTAPES

(*composé au début du* VII^e^/XIII^e^ *siècle*)

ÉDITÉ AVEC UNE INTRODUCTION PAR
S. DE LAUGIER DE BEAURECUEIL O. P.



LE CAIRE
IMPRIMERIE DE L'INSTITUT FRANÇAIS D'ARCHÉOLOGIE ORIENTALE
1954

INTRODUCTION

L'ouvrage dont nous présentons ici l'édition est le plus ancien commentaire du *Livre des Étapes* qui soit parvenu jusqu'à nous. Si tant est que le chef-d'œuvre de ʿAbdallah Anṣārī ait été commenté au début du VIe/XIIe siècle par Yūsuf Hamadānī, disciple immédiat du Maître, nous ne possédons plus son commentaire [1]. D'autre part, c'est par erreur que Zain ad-Dīn Ḫwāfī nous déclare à propos de ʿAfīf ad-Dīn Tilimsānī : « Il est le plus ancien que nous connaissions parmi les commentateurs des paroles du Cheikh» [2]. Né en 613/1216, il n'avait que vingt-cinq ans au moment où fut rédigé notre manuscrit de ʿAbd al-Muʿṭī dont le commentaire existait déjà, peut-être depuis plusieurs années.

A l'intérêt de l'ancienneté vient s'ajouter la valeur intrinsèque de l'ouvrage. Sa brièveté, sa clarté, la manière fort personnelle dont l'auteur s'acquitte de la mission qu'il s'est assignée en abordant son commentaire, son humilité devant les passages difficiles, la franchise avec laquelle il critique ici ou là l'exposé d'Anṣārī, tout nous invite à apprécier comme il se doit l'œuvre de ʿAbd al-Muʿṭī, et à lui donner une place de choix dans l'histoire du *Livre des Étapes*.

(1) M. Massignon nous avait indiqué la référence à un ouvrage du siècle dernier où l'auteur signalait un manuscrit de ce commentaire qu'il aurait vu en Perse. Nous l'avons malheureusement perdue. Mais ne s'agirait-il pas d'une erreur de l'auteur en question ? Si Y. Hamadānī avait commenté les *Manāzil*, il serait étonnant de n'en pas trouver trace dans le commentaire de Zain ad-Dīn qui cite tous les commentateurs importants qui l'ont précédé ; or, il ne le mentionne même pas.

(2) Zain ad-Dīn Ḫwāfī, *Šarḥ manāzil as-sā'irīn*, ms. Carullah 1054 (271 fol. 0 m. 22 × 0 m. 164, 21 l. par page), fol. 167 *b*.

DESCRIPTION DU MANUSCRIT

Un seul manuscrit nous est parvenu du commentaire de ʿAbd al-Muʿṭī. Il se trouve à la bibliothèque Ẓahirīya de Damas (*taṣauwuf* 36, 145 fol. 0 m. 20 × 0 m. 14, 19 lignes par page)[1]. L'écriture, de style naskhi, est très claire sauf au § 3 rédigé très rapidement et sans points diacritiques. Ces derniers d'ailleurs vont se raréfiant au fur et à mesure que l'on se rapproche de la fin du manuscrit. On notera quelques endroits où le texte est effacé (§ 53 *b*, 58 *b*, 61 *c*, 289 *bch*) sans qu'on puisse dire d'après les photographies l'origine de ces lacunes.

Le scribe a signé son manuscrit à trois reprises (§ 3 *a*, 3 *f* et 475 *b*). Il se nomme Muḥammad b. ʿAbdallah b. Yūsuf b. Ḥammād Ṣanhāǧī, ce qui dénote son origine berbère. Il l'a écrit pour lui-même (§ 3 *a*, 475 *b*), sous la dictée de l'auteur (§ 3 *d*) dont il semble avoir été le disciple de prédilection, puisque ce dernier lui transmit toutes ses œuvres (§ 3 *c*) et lui donna licence de rapporter tous ses dires (§ 3 *e*). La première rédaction fut terminée le 8 šaʿbān 638/22 février 1241 (§ 475 *a*). Un certain nombre de notations marginales nous assurent que le texte a été contrôlé par l'auteur auquel il a été lu (fol. 36 *b*, 76 *b*, 78 *a*, 79 *a*, 98 *a*, 98 *b*) ce qui a donné lieu à un certain nombre de retouches. Le 13 šaʿbān, soit cinq jours après avoir terminé la rédaction, le scribe pouvait sceller son travail en ajoutant sur la première page le texte du § 3 qui, signalant ses rapports avec l'auteur, devait lui conférer son autorité.

Ces précisions nous permettent d'apprécier la valeur du manuscrit, qui se présente à nous avec toutes les garanties désirables.

L'AUTEUR

Son nom nous est donné de façon complète au § 3. Il s'agit de Sadīd ad-Dīn a. Muḥammad ʿAbd al-Muʿṭī b. a. ṯ-ṯanā' Maḥmūd b. ʿAbd al-Muʿṭī al-Laḫmī al-Iskandarī. Ces deux qualificatifs laissent à penser

[1] Le manuscrit a été filmé par la section culturelle de la Ligue Arabe. Le microfilm se trouve à la filmothèque de la Ligue au Caire sous la référence : *taṣauwuf* 149.

qu'il s'agit d'un originaire de l'Afrique du Nord qui se fixa sans doute à Alexandrie au retour du pèlerinage à la Mecque. Le scribe dont nous avons parlé était sans doute un de ses compagnons de voyage qui, en disciple fidèle, demeura près de lui dans sa nouvelle patrie. Le cas de pèlerins berbères se fixant en Orient sur le chemin du retour était fréquent. Après des recherches infructueuses dans les divers ouvrages biographiques susceptibles de le mentionner, nous devons nous résoudre pour le moment à ne rien savoir de plus sur la vie du personnage. Nous souhaitons au Dr Abou l-ʿEla ʿAfifi, qui a entrepris le long travail consistant à publier le vaste commentaire de ʿAbd al-Muʿṭī sur la *Risālat al-Qušairiya*, de parvenir à des résultats plus heureux, peut-être en tirant parti des allusions à divers personnages qu'au cours de son ouvrage l'auteur déclare avoir rencontrés.

Les titres pompeux qui lui sont décernés aux § 2 *b*, et 3 *b* laissent clairement entendre qu'au moment où fut rédigé notre manuscrit le commentateur était déjà un maître vénéré, auteur de plusieurs ouvrages ; il devait donc avoir un certain âge à cette époque. On peut donc affirmer sans trop s'avancer que ʿAbd al-Muʿṭī dût naître aux environs de l'année 575/1179 et mourir vers le milieu du VIIe/XIIIe siècle.

Si nous ne connaissons rien de la vie du personnage, ni d'après les recueils de biographies ni d'après le contenu de son commentaire, nous possédons quelques indications concernant ses œuvres. A part le commentaire du *Livre des Étapes*, le § 3 *c* nous en indique trois : un commentaire de la *Risāla* de Qušairī, un commentaire de la *Riʿāya* de Muḥāsibī et un certain *Kitāb al-ḥudūd*. Nous n'avons plus trace de ces deux derniers ouvrages ; par contre, le commentaire du célèbre traîté de Qušairī nous a été conservé en deux manuscrits incomplets qui semblent bien n'avoir fait qu'un à l'origine[1]. Le docteur Abou l-ʿEla ʿAfifi, Professeur à l'Université d'Alexandrie, en a entrepris l'étude et la publication ; nous souhaitons vivement le voir bientôt en librairie. Nous ne pensons pas être indiscret en signalant une conclusion importante à laquelle ont abouti les recherches de l'éminent spécialiste d'Ibn ʿArabī :

[1] Carullah 999 et Bibl. Nat. du Caire *taṣauwuf* 3013.

le commentaire de ʿAbd al-Muʿṭī a été littéralement pillé par Zakarīya Anṣārī qui n'a guère fait que le démarquer en le publiant sous son nom.

Il existe enfin un manuscrit d'un quatrième ouvrage de notre auteur. Il est intitulé : *Iršād as-sālikīn ilā l-ǧamʿ bain ṭuruq al-muḥaqqiqīn min al-fuqahāʾ wal-murīdīn*. Ce manuscrit était récemment mis en vente par une librairie (ou une bibliothèque ?) de Tanger [1]. Il comprend deux gros volumes rédigés en écriture orientale. La Bibliothèque Nationale du Caire a engagé des négociations pour l'acquérir à un prix plus abordable que celui qui était proposé ; il semble que jusqu'ici elles n'aient pas abouti. Nous n'avons donc pas pu le consulter ; son titre suffit cependant à nous indiquer le souci qu'a l'auteur de diriger ses disciples dans les voies d'un soufisme parfaitement conforme à l'orthodoxie musulmane.

BUT ET DESTINATAIRES DU COMMENTAIRE

C'est à la demande réitérée d'un ami, ou probablement d'un disciple, dont il ne nous dit pas le nom (ne serait-ce pas celui qui rédigea notre manuscrit et que l'auteur constitua légataire de sa pensée ?), que ʿAbd al-Muʿṭī entreprit de commenter le *Livre des Étapes*. Le disciple en question, engagé dans les voies spirituelles, avait rencontré quelques difficultés en lisant l'ouvrage d'Anṣārī ; d'une part les allusions (*išārāt*) qu'il contient lui semblaient obscures et exigeaient des explications permettant d'en saisir plus aisément le sens ; d'autre part la différence entre les divers degrés des demeures et leur répartition selon les trois catégories de spirituels, ceux du commun, les privilégiés et les Proches, lui paraissaient devoir être mises en valeur (§ 5 *a*).

Bien que se sentant indigne d'une telle entreprise, ʿAbd al-Muʿṭī se décida à acquiescer à la requête qui lui était présentée, après avoir dûment imploré le secours divin (§ 5 *b*). Son premier but fut donc de mettre le *Livre des Étapes* à la portée des novices et d'en élucider les divisions afin de les encourager et de faciliter leurs progrès (§ 5 *c-d*).

[1] Dār al-kutub lil-ǧamiʿ, 35, rue d'Angleterre, Tanger.

A ce souci pédagogique viennent s'ajouter des préoccupations apologétiques. Les destinataires du commentaire ne seront pas seulement les débutants désireux de s'instruire, mais aussi les adversaires du soufisme d'Anṣārī qui, le traitant de rêveur, déclarent que l'obtention des états spirituels décrits dans son ouvrage est par trop lointaine si elle n'est pas tout à fait impossible. Leurs critiques s'expliquent par la fausse idée qu'ils se font de l'anéantissement (*fanāʾ*) entendu par eux selon son acception la plus matérielle (§ 6 *b*). De là les questions qu'ils se posent : « Comment l'homme peut-il ne plus saisir les sciences par souci exclusif de l'objet connu ? » Ou bien : « Comment peut-il ne plus se saisir lui-même ni les apparences, tout en continuant à saisir la Majesté de Dieu ? » Et encore : « Comment cesse-t-il de se saisir lui-même au moment où il saisit un autre que lui, et ne meurt-il à sa perception que par la présence d'une perception en lui ? Comment peut subsister en lui ce qu'il ne perçoit pas ? » ʿAbd al-Muʿṭī se propose de répondre à de telles questions en faisant comprendre l'anéantissement, tel qu'on doit l'entendre, par des exemples évoquant l'état de tous ceux qui se laissent entièrement absorber par une occupation (§ 6 *d*).

MÉTHODE DU COMMENTAIRE

Le commentateur va s'efforcer de réaliser son ouvrage selon les exigences du but qu'il s'est ainsi proposé. Il va reproduire *in extenso* le texte d'Anṣārī, le commentant pas-à-pas, éveillant l'attention sur ses étapes majeures et sur les rapports qui existent entre les degrés indiqués à l'intérieur de chaque chapitre (§ 7 *a*).

Il nous décrit lui-même l'état d'esprit dans lequel il a abordé son étude : avec le désir de comprendre, de s'exprimer ensuite pour faire comprendre et de ne pas parler de ce qu'il ne connaît pas (§ 6 *a*). Une dernière remarque qu'il fait avant de commencer le commentaire nous montre son humilité d'esprit devant le texte qu'il va expliquer : « Avant chacun de mes commentaires je dirai : « Dieu en sait davantage ! » car il se peut que l'auteur ait voulu dire quelque chose que je n'ai pas compris » (§ 8). En fait, il ne manquera pas d'employer cette formule chaque

fois que son interprétation d'un passage ou d'une expression difficile ne lui apparaîtra pas décisive (§ 13 *a*, 88 *b*, 183 *d*, 190 *c*, 206 *g*, 213 *g*, 236 *e*, 239 *d*, 278 *f*, 326 *b*, 362 *c*, 375 *d*, 393 *b c*, 417 *b*; cf. la remarque du § 362 *d*).

L'ITINÉRAIRE SPIRITUEL

Il y a lieu de relever tout d'abord quelques remarques intéressantes du commentaire de l'introduction qui concernent l'itinéraire spirituel en général.

Anṣārī avait cité la parole de Kittānī : « Entre le Réel (c'est-à-dire Dieu) et le serviteur se trouvent mille demeures de lumière et de ténèbres ». ʿAbd al-Muʿṭī se demande comment on peut parler de ténèbres à propos des demeures spirituelles. L'explication, qu'il donne d'ailleurs sous toute réserve, serait la suivante : de soi, les demeures sont toutes lumière ; mais toutes elles peuvent devenir ténèbres lorsqu'on les prend pour fins et qu'on s'y attache ; elles empêchent alors de voir ce qui leur est supérieur, à plus forte raison de faire effort pour y parvenir (§ 13 *c d*).

A propos du passage d'une demeure à l'autre, Ǧunaid avait fait la remarque suivante : « Souvent le serviteur est transféré d'un état à un état plus élevé tout en conservant un reste de l'état duquel il a été transféré ; du second état il domine alors ce reste et le rectifie ». Anṣārī avait renchéri en faisant de cette possibilité une règle générale. ʿAbd al-Muʿṭī préfère l'opinion de Ǧunaid, Dieu pouvant fort bien accorder à l'homme la parfaite possession d'une demeure avant de le faire passer à une demeure supérieure (§ 16 *c d*). Il donne néanmoins plusieurs exemples illustrant le cas où une demeure n'atteint sa perfection que lorsqu'elle a été dépassée (§ 16 *e f g h i*). Il explique enfin l'assertion d'Anṣārī en disant que le Cheikh n'a voulu mentionner que ce qui arrive de façon habituelle chez la plupart des progressants (§ 16 *j*).

Notons encore le § 24 *b c* où le commentateur semble identifier les trois *rutab* dont parle la préface avec les degrés selon lesquels sera étudié chaque chapitre.

Ces remarques étant faites, il convient de s'arrêter à l'interprétation originale de l'organisation systématique du *Livre des Étapes*. Au § 29, ʿAbd al-Muʿṭī nous expose le sens de la division de l'ouvrage en dix parties qui correspondent aux étapes majeures de l'itinéraire spirituel. Chacun aborde cet itinéraire avec son tempérament propre et sa vocation particulière. Il y connaîtra d'abord un début (*bidāya*) qui constituera pour lui une première étape. Pour s'engager sur la Voie, il lui faudra ensuite passer par un portique (*bāb*), puis adopter un comportement (*muʿāmala*) qui lui convienne dans sa marche en avant (§ 29 *c*). Se comportant ainsi envers Dieu avec sincérité, il acquérera peu à peu des mœurs vertueuses (*aḫlāq*), qui lui feront désirer être attaché à Lui ; pour réaliser ce vœu, il lui faudra choisir un principe (*aṣl*) sur quoi baser son progrès (§ 29 *d*). Ceci fait, il sera en mesure de poursuivre son itinéraire sur lequel il rencontrera nécessairement des difficultés terrifiantes, ces vallées (*audiya*) dont parle le Cheikh, qui coupent la montée vers les cimes ; s'il les franchit, il connaîtra des états (*aḥwāl*) qui fondront successivement sur lui ; peu à peu il se revêtira de belles qualités tandis que son attention se concentrera de plus en plus sur Dieu qui exercera sur lui des emprises (*wilāyāt*) de plus en plus fortes (§ 29 *e*). S'il s'oublie lui-même à cause de l'unique préoccupation de Dieu qui sera sienne, n'ayant plus de regards que pour Lui, il atteindra aux réalités (*ḥaqāʾiq*) et finira par arriver aux termes de la vie mystique (*nihāyāt*, 29 *f*).

Cette vue générale de l'itinéraire spirituel se trouve reprise en détail dans le commentaire à propos de l'énumération des demeures qui introduit chacune des dix parties. Dans le cas des débuts (*bidāyāt*, § 30 *b*), la répétition constante de *ṯumma*, ensuite, pourrait faire croire à la nécessité pour le novice de passer successivement par les dix demeures mentionnées ; en réalité, l'adverbe marque un enchaînement logique plutôt qu'une succession temporelle dans l'expérience ; d'autre part, les candidats à la vie spirituelle n'abordent pas la Voie avec les mêmes dispositions ni avec les mêmes antécédents : pour certains une conversion totale sera nécessaire qui exigera la découverte et la pratique des dix demeures, alors que d'autres pourront commencer leur itinéraire à partir de l'une ou l'autre d'entre elles, la méditation par exemple ou l'attention

donnée à la parole de Dieu. A propos des portiques (*abwāb*, § 84) ʿAbd al-Muʿṭī précise d'ailleurs sa pensée : à chaque itinérant revient un portique qui domine son cœur et devient le point de départ de sa renaissance spirituelle et de son entrée dans la Voie (§ 84 *b*) ; il n'a donc pas à les franchir tous successivement, et le commentateur décrit la diversité de ces vocations personnelles (§ 84 *c-i*). A l'inverse, on aurait tort de considérer ces points de départ comme exclusifs les uns des autres ; certains novices, aimés de Dieu, peuvent en effet réunir en eux les dix demeures, en ce sens que la richesse de leur vocation leur permet d'aborder l'itinéraire indifféremment par l'une ou l'autre d'entre elles (§ 84 *j*). On remarque une même souplesse et un même respect de la ligne spirituelle de chacun à propos des comportements (*muʿāmalāt*, § 127) en notant la proximité qui existe entre les trois dernières demeures quant à la réalité qu'elles décrivent. L'énumération des mœurs vertueuses (*aḫlāq*, § 171) ne comporte pas de commentaire ; par contre, les principes (*uṣūl*, § 219) donnent lieu à l'affirmation de la diversité qui continue de régner entre les individus selon leur vocation. Les introductions aux cinq dernières parties ne sont pas commentées (§ 262, 304, 352, 394 et 429) : rien cependant ne porte à croire qu'il faille en interpréter l'organisation autrement que pour les parties précédentes.

Répondant à la demande de son disciple concernant la systématisation des *Manāzil*, ʿAbd al-Muʿṭī dégage donc les grandes lignes de l'itinéraire tout en refusant de voir dans la succession des cent demeures le cheminement précis et invariable de ceux qui tendent à l'Unification. Sa pensée est fort intéressante et permet de situer à leur vraie place les analyses d'Anṣārī ; elles ne s'opposent en rien à la diversité de l'expérience qu'elles ne prétendent pas codifier mais veulent étudier et éclairer.

Si tels sont les rapports qui existent entre les parties et les demeures, il fallait encore mettre en valeur la distinction des trois degrés mentionnés par Anṣārī dans sa préface (§ 28) et dans chacun des cent chapitres de son ouvrage. ʿAbd al-Muʿṭī va s'y appliquer avec beaucoup de soin et ce sera là une des principales caractéristiques de son commentaire.

Notons tout d'abord les quelques cas où il ne s'attarde pas à montrer la supériorité d'un degré sur le précédent (§ 49 *b*, 83, 204, 259,

366, 393, 440) et le cas où il s'applique au contraire à justifier la hiérarchie selon deux aspects (§ 334 *b-e*). Ce ne sont là que des exceptions. En règle générale, l'étude du deuxième et du troisième degrés de chaque demeure commence toujours par la mise en valeur de sa supériorité par rapport à celui qui le précède.

Cette supériorité est démontrée en se référant à des considérations diverses qu'il nous faut signaler en les énumérant par ordre de fréquence : Le plus souvent la hiérarchie se fonde sur la valeur de l'objet lié à l'activité en question ; c'est le cas typique de la pauvreté (*faqr*) dont le premier degré porte sur les biens de ce monde et le second sur les actes et les états qui engagent l'obtention des biens de l'au-delà (§ 253 *b*), alors que le troisième consiste à s'affranchir du moi, source de l'attachement aux uns et aux autres (§ 254 *b*). Ici, la considération de l'objet permet de justifier la hiérarchie entre les trois degrés ; cette unité de principe n'est pas toujours réalisée et nombreux sont les cas où le commentateur a recours à des principes différents pour prouver la supériorité du deuxième degré sur le premier et du troisième sur le deuxième. A part celle de l'objet, les deux considérations les plus fréquentes, très proches à vrai dire l'une de l'autre, sont celles de l'anéantissement (*fanāʾ*) qui s'oppose à la conscience que l'on a de soi et de l'état spirituel dans lequel on se trouve, et celle de la concentration en Dieu (*ǧamʿ*) qui s'oppose à la dispersion de l'attention sur de multiples objets (*tafriqa*). On trouvera encore la perfection relative des divers degrés estimée d'après le domaine subjectif dans lequel ils s'exercent (science, actions, états spirituels), d'après leur origine ou la cause qui les produit, d'après le rôle que tient Dieu dans leur réalisation (agir pour Dieu, par son aide ou enfin par une communion à l'agir divin), d'après leur caractère positif ou négatif, leur permanence, leur intensité ou la maîtrise qui s'y exerce, d'après l'obligation ou la surérogation, la nécessité ou la gratuité, d'après leurs effets ou leurs conséquences comme d'après la fin que l'on y poursuit, d'après la qualité du savoir auquel ils sont liés (science, dévoilement, contemplation), etc. [1].

[1] Hiérarchie fondée sur la valeur de l'objet § 49 *b*, 95 *b*, 96 *b*, 108 *b*, 112 *b*, 113 *b*, 116 *b*, 117 *b*, 121 *b*, 122 *b*, 139 *b*, 166 *b*, 170 *b*, 174 *b*, 181 *b*, 198 *b*,

De ces diverses considérations on peut dégager l'idée que se fait ʿAbd al-Muʿṭī de la perfection spirituelle et le sens du progrès qui y fait accéder. Elle consiste essentiellement dans l'emprise que Dieu exerce sur l'âme, qui l'amène à se perdre en Lui en concentrant sur Lui toutes ses puissances et en perdant conscience de ce qui n'est pas Lui, y compris de son propre moi. Pour l'obtenir, une certaine science acquise des choses spirituelles est nécessaire qui devra engendrer et diriger l'action, puis faire place aux états où Dieu prendra l'initiative. Enfin, à chaque étape de l'itinéraire, l'âme passera progressivement des résultats timides et passagers (ou des éclairs, *burūq*, venant de Dieu) à la possession parfaite et durable d'une demeure.

C'est ainsi que le commentateur comprend l'itinéraire du *Livre des Étapes* et en expose les nuances à son disciple que la systématisation apparemment forcée et parfois obscure d'Anṣārī devait rebuter.

Il convient enfin de signaler les passages du commentaire où l'attention est attirée sur les rapports qui existent entre certaines demeures. C'est d'abord leur place réciproque dans la succession des étapes qui est mise en question, soit pour justifier l'ordre établi par Anṣārī (*taǧrīd* et *tafrīd*, § 459 *b*), soit au contraire pour le critiquer (*zuhd* et *waraʿ*, § 110 *b* cf. 16 *g*) tout en proposant d'ailleurs une explication de la position du Cheikh (§ 110 *c d*). Ailleurs, ʿAbd al-Muʿṭī remarque qu'une demeure n'est en fait que l'épanouissement de la précédente (*ṭumaʾnīna*

203 *b*, 208 *b*, 212 *b*, 226 *b-c*, 227 *b*, 235 *b-c-d*, 244 *c*, 253 *b*, 254 *b*, 272 *b*, 275 *b*, 290 *b*, 295 *b*, 317 *b*, 318 *b*, 321 *b*, 341 *c*, 342 *b*, 343 *b*, 350 *b*, 351 *b*, 355 *b*, 356 *b*, 407 *b*, 408 *c*, 433 *c*, 434 *c*, 457 *b*, 458 *b* ; sur l'anéantissement : 142 *b-c*, 143 *b*, 236 *b-c*, 245 *b*, 325 *b*, 371 *c*, 375 *c*, 454 *b* ; sur la concentration en Dieu : 78 *b*, 89 *b*, 200 *b*, 231 *b*, 266 *b*, 285 *b*, 322 *b*, 335 *b*, 356 *b*, 385 *b*, 403 *b* ; sur le domaine dans lequel l'activité s'exerce : 59 *b*, 87 *b*, 148 *b*, 258 *b*, 265 *b*, 380 *c*, 392 *b*, 414 *b* ; sur l'origine ou la cause : 92 *b-c*, 144 *b*, 161 *b*, 165 *b*, 189 *b*, 190 *b*, 240 *b-d*, 311 *b*, 312 *b*, 330 *b*, 331 *b*, 365 *b* ; sur le rôle de Dieu : 153 *b*, 217 *b*, 218 *b*, 295 *b* ; sur le caractère positif ou négatif : 82 *b*, 117 *b*, 230 *b* ; sur la permanence : 398 *b* ; sur l'intensité : 103 *b*, 152 *b*, 157 *b*, 277 *b*, 280 *b*, 453 *b* ; sur la maîtrise qui s'y exerce : 280 *b*, 359 *b* ; d'après l'obligation : 180 *c*, 207 *b* ; sur la nécessité : 261 *a*, 369 *b* ; d'après les effets : 125 *b*, 334 *e*, 347 *b*, etc.

et *sakīna*, § 296 *e*), le goût spirituel et l'expérience étant seuls capables de faire apprécier la réalité profonde de leur distinction (§ 296 *c*), ou encore que l'une est le fruit de l'autre (*qalaq* engendré par le *šauq*, § 323 *b*) ou sa condition *sine qua non* (*zuhd* condition de la *futūwa*, § 210 *b*). Il note aussi que les paroles d'Anṣārī concernant un degré (§ 271 *b*, 293 *d*) ou une demeure (§ 227 *e*) peuvent s'appliquer à l'ensemble de l'itinéraire spirituel. Signalons enfin la remarque concernant le *qabḍ* faisant partie des Réalités qu'il ne faut pas confondre avec le *qabḍ* qui relève des États (§ 410 *a*), la description de ce dernier correspondant exactement à l'analyse du *ḥuzn* et de ses motifs (§ 85 *b-c*).

LES RÉFÉRENCES CORANIQUES

Chacun des cent chapitres de l'ouvrage d'Anṣārī commence par une citation coranique qui confère à la demeure étudiée sa valeur religieuse et en fonde l'authenticité. ʿAbd al-Muʿṭī va s'y intéresser dans son commentaire, chaque fois du moins qu'il jugera opportun d'expliquer le verset cité ou de montrer l'à-propos de la référence qui lui est faite. Ce sera le cas d'à peu près la moitié des citations [1].

Notons tout d'abord les cas où le commentaire concerne le verset coranique indépendamment de sa relation avec la demeure étudiée. Au chapitre de la fuite (*firār*), ʿAbd al-Muʿṭī va développer quelque peu l'exégèse ébauchée par Anṣārī dans sa définition de la demeure en question (§ 71 *b-c*). Dans six autres cas, il s'efforcera de dégager, d'après le contexte de la sourate qui la contient, l'état d'esprit suggéré par les faits que rapporte une citation ainsi que les motifs qui les ont inspirés (§ 314 *b*, 340 *b*, 381 *b*, 386 *b*, 416 *b*, 420 *b*). Enfin, à plusieurs reprises, le commentaire aura pour but d'écarter des interprétations fautives ou dangereuses. Ainsi la parole adressée à Dieu par Moïse : ⁂ Ce n'est

[1] Citations non commentées : § 56, 60, 80, 85, 90, 94, 97, 101, 110, 118, 123, 128, 133, 137, 141, 150, 154, 159, 163, 167, 172, 177, 182, 187, 191, 195, 201, 205, 209, 220, 224, 242, 260, 263, 267, 270, 274, 278, 282, 291, 296, 300, 305, 319, 323, 344, 351, 360, 400, 404, 406, 430, 447, 451, 459, 463.

que tentation de Toi. C vii 154/155 ﴾ n'exprime de sa part que la reconnaissance de la manière dont Dieu éprouve ses créatures pour manifester leur prédestination ; elle n'est en rien l'expression d'un manque de respect, ni ne signifie que Moïse ait rejeté la crainte révérentielle qui convient lorsqu'on s'adresse à Dieu comme certains se l'imaginent (§ 214 *c*). De même à propos du verset : ﴿ Ne te trouva-t-il point pauvre si bien qu'il t'enrichit ? C xciii 8 ﴾, cité en exergue du chapitre de la richesse, ʿAbd al-Muʿṭī souligne l'exactitude de l'exégèse qui y voit une allusion à l'enrichissement spirituel du Prophète ; faisant appel au hadith, il montre qu'il ne peut s'agir d'un enrichissement matériel et qu'on ne saurait donc se prévaloir de ce verset en faveur de la richesse contre la précellence de la pauvreté (§ 255 *b-c*). C'est encore le cas du verset où Abraham demande à Dieu de lui faire voir comment il fera revivre les morts (C ii 262/260) ; le commentaire refuse de voir dans cette question l'expression d'un doute quelconque concernant la toute-puissance divine, ce qui serait parfaitement indigne d'un prophète (§ 444 *b-d*). Enfin, à propos du fameux verset : ﴿ Puis il s'approcha et demeura suspendu ✻ et fut à deux arcs ou moins. C liii 8-9 ﴾, il écarte l'exégèse selon laquelle il s'agirait de la proximité entre le Prophète et l'ange Gabriel ; si l'on comprend qu'il existe une proximité spirituelle, on peut fort bien l'appliquer à Dieu sans attenter à son immatérialité (§ 423 *c*).

Les cas où le commentaire porte sur la relation mise par Anṣārī entre tel verset coranique et telle demeure de son itinéraire sont beaucoup plus nombreux et plus intéressants.

Parfois ʿAbd al-Muʿṭī va s'appliquer à montrer que la référence est parfaitement choisie et à mettre en valeur la manière dont l'auteur l'a utilisée pour son propos (§ 31 *c*, 39 *b-c*, 52 *b*, 114 *b*, 395 *b*, 411 *b*). Parfois la relation entre citation et demeure ne lui semblera pas évidente ; il proposera alors sa manière de concevoir leur lien, mais toujours avec réserve (§ 75 *a*, 348 *b*). Lorsqu'il le jugera nécessaire, il indiquera la partie de la citation qui doit être mise en relation avec la demeure (§ 332 *b*, 336 *b*), en expliquant pourquoi (§ 353 *b*, 441 *b*) quitte à rappeler pour ce faire le contexte du verset (§ 286 *b-c*) ; si ce n'est

qu'une conjecture, il n'hésitera pas à le noter, se conformant en cela à la ligne de conduite qu'il s'est fixée dans la préface (§ 214 *b*). Signalons la manière originale avec laquelle il montre l'à-propos de la citation que fait Anṣārī au chapitre de la volonté (*irāda*) et qui peut sembler déroutante : ﴿ Dis : chacun agit selon son mouvement. C xvii 86/84 ﴾ ; il va donner une description assez détaillée du *murīd* qui suffira à manifester le bien-fondé de la référence (§ 228 *b-c*). Dans certains cas, le verset mis en exergue contient déjà un enseignement précis sur tel ou tel aspect de la demeure étudiée ; ʿAbd al-Muʿṭī en signalera la teneur (§ 372 *b*, 423 *b*, 435 *b*, 468 *b*). Au chapitre de l'éducation (*tahḏīb*), il estimera même que la citation remplace avantageusement la définition omise par l'auteur (§ 146 *b*). Il lui arrive enfin de relever que l'utilisation d'un verset par Anṣārī ne correspond pas à son sens littéral ; c'est le cas du dépouillement (*taǧrīd*) où la parole que Dieu adressa à Moïse : ﴿ Ôte tes sandales ! C xx 12 ﴾ est prise au sens spirituel (§ 455 *b*), et surtout du *ḏikr* dont l'étude se trouve introduite par la citation du verset suivant : ﴿ Invoque ton Seigneur quand tu es oublieux. C xviii 23/24 ﴾ ; « le sens du verset, dit le commentaire, est que le Serviteur doit pratiquer le *ḏikr* s'il lui arrive d'être oublieux ou négligent. Ce qu'a signalé le Cheikh en disant : « si tu es oublieux, c'est-à-dire, si tu es oublieux de ce qui n'est pas Lui » relève de l'avertissement concernant la diversité des degrés de ceux qui pratiquent le *ḏikr* et non du sens littéral. » (§ 246 *b-c*). A propos du verset dont les trois expressions correspondent d'après Anṣārī aux trois degrés de la patience (*ṣabr*), ʿAbd al-Muʿṭī note que le Cheikh n'a pas voulu dire que ce soit là le but pour lequel il a été révélé, et il avance avec réserve une explication de la relation possible entre les degrés et les expressions en question (§ 175 *f-j*). Dans le même sens, on peut signaler le § 105 *b-c* où le commentateur remarque que la citation n'a qu'un rapport lointain avec la demeure étudiée, tout en proposant deux manières d'expliquer le lien mis par Anṣārī entre l'une et l'autre.

Notons enfin quatre citations d'exégètes : trois de Ṭabarī (§ 246 *e*, 411 *c*, 420 *c*) et une de Dīnawarī (§ 444 *d*).

Ces quelques indications permettent d'apprécier l'intérêt du commentaire de ʿAbd al-Muʿṭī pour une étude d'un problème important que

pose le *Livre des Étapes* : celui des références coraniques de l'œuvre d'Anṣārī et de la valeur exacte qu'il convient de leur reconnaître dans l'élaboration de sa doctrine spirituelle.

DÉFINITIONS ET DESCRIPTIONS

Chacun des chapitres des *Manāzil*, après en avoir indiqué la référence coranique, commence par une définition de la demeure étudiée. Si le commentateur donne parfois de ces définitions une justification admirative (c'est par exemple le cas de l'amour, *maḥabba*, § 306), il lui arrive aussi d'y apporter des mises-au-point et de les critiquer. C'est ainsi qu'il signale que la définition de la conversion (*ināba*) comme un retour (*ruǧūʿ*) n'est qu'approximative ; en effet, dans la langue du Coran, les termes *tauba*, *auba* et *ināba* signifient tous trois un retour (§ 56 *b-c*). De même la définition de la connaissance (*maʿrifa*) est valable mais trop générale, étant donné la réalité très déterminée que les mystiques ont coutume de désigner par ce terme (§ 430 *b-c*). A deux reprises, ʿAbd al-Muʿṭī nous signale des définitions insuffisantes parce que négatives : c'est le cas du *ḏikr* défini par Anṣārī comme l'acte par lequel on se délivre de la négligence et de l'oubli ; or ces deux déficiences possèdent d'autres contraires que le *ḏikr* : la science, la croyance, l'opinion, le doute, l'ignorance par exemple ; mieux vaut donc une définition positive ne prêtant pas à équivoque, et le commentateur d'en proposer une : « proférer avec le cœur le nom de l'objet mentionné » la langue se faisant l'interprète du cœur (§ 247). De même pour la clairvoyance (*baṣīra*) dont la définition, « ce qui te délivre de la perplexité », est négative et très générale ; ʿAbd al-Muʿṭī semble douter qu'elle constitue une demeure particulière, et c'est avec réserve qu'il indique ce que le Cheikh a voulu désigner ici : le dévoilement et la science (§ 274 *c-e*). Deux autres définitions sont critiquées : l'une, celle de l'action de grâces (*šukr*) définie comme la connaissance du bienfait, parce qu'elle exprime l'origine et la cause de la demeure plutôt que son essence (§ 182 *b-d*), l'autre, celle de la *ḥurma*, parce qu'elle n'indique que l'effet de la révérence du cœur en quoi consiste cette étape (§ 137 *b*). Notons enfin la définition de la

véracité (*ṣidq*) qui « désigne la réalité de la chose en ce qu'elle a d'essentiel, dans sa production et dans son existence » ; prise à la lettre, sans les discernements qu'elle requiert, elle pourrait faire croire que tout être existant ou venant à l'existence peut être appelé *ṣidq*, ce qui est absurde. Mieux vaut donc dire que la véracité est « un état intérieur du serviteur qui le pousse à réaliser son action telle qu'elle doit être réalisée d'après sa nature, avec sérieux et sans tiédeur », en précisant d'ailleurs son application particulière aux domaines de la parole et de l'intention (§ 191 *b-f*).

A part ces mises-au-point concernant les définitions d'Anṣārī, le commentaire contient un certain nombre de définitions par lesquelles ʿAbd al-Muʿṭī explique la signification de termes techniques employés dans le *Livre des Étapes*.

Certaines d'entre elles ont rapport aux diverses catégories de gens rencontrées au cours de l'itinéraire spirituel ; on a ainsi : les gens de la dispersion (*ahl at-tafriqa*, § 448 *d*), les gens du commun (*al-ʿāmma*, § 28 *c*, 72 *b*, 308 *a*), le dévot (*ʿābid*, § 316 *b*), le débutant (*mubtadi'*, § 338 *b*), le novice (*murīd*, § 317 *b*), le progressant (*sālik*, § 28 *d*, 338 *b*), les privilégiés (*al-ḫāṣṣa*, § 308 *b*), le réalisateur (*muḥaqqiq*, § 28 *e*). Ces définitions répondent au souci de mettre au clair le cheminement de la vie spirituelle conformément au désir du disciple dont les instances suscitèrent la rédaction du commentaire (v. § 5 *a*).

D'autres définitions concernent des termes techniques qui figurent parmi les cent demeures étudiées par Anṣārī : la tristesse (*ḥuzn*, § 85 *b*), la volonté (*irāda*, § 350 *b*), la certitude (*yaqīn*, § 456 *c*), la science (*ʿilm*, § 267 *c*), le moment (*waqt*, § 357 *c-d*), l'existence (*wuǧūd*, § 451 *b*), la concentration (*ǧamʿ*, 359 *f*), la demeure de l'Unification (*maqām at-tauḥīd*, § 51 *b*).

Citons enfin quelques autres définitions : le *talwīn* (§ 11 *f*), la locution théopathique (*šaṭḥ*, § 21 *b*), la réalité d'une chose (*ḥaqīqat aš-šai'*, § 42 *b*), la témérité (*ǧur'a*, § 49 *c*), l'impudence (*mubāraza*, § 49 *c*), le monde (*ʿālam*, § 115 *b*), la réalité en tant qu'état mystique (*ḥaqīqa*, § 123 *c*), les patries (*auṭān*, § 229 *e*), la résolution (*izmāʿ*, § 220 *b*), la confidence intime (*musāmara*, § 249 *c*), les attestations (*šawāhid*, § 431 *f*, 442 *b*).

Outre les définitions proprement dites, on notera quelques descriptions intéressantes : celle du détachement des Connaissants (*zuhd al-ʿārifīn*, § 105 *g*) qui diffère du détachement objet du seizième chapitre et consiste à être détaché de tout ce qui n'est pas Dieu à cause de la connaissance intime qu'on a de Lui et de la révérence qu'on a pour Lui ; celle de l'homme détaché (*zāhid*, § 210 *c-d*) et du novice (*murīd*, § 228 *b*) ; enfin celle de la concentration en Dieu (*ǧamʿ*, § 298 *f*).

LE COMMENTAIRE

Ce que nous venons de dire des définitions nous donne déjà une idée de la manière dont use ʿAbd al-Muʿṭī dans son commentaire. Il convient maintenant d'en signaler les points importants en achevant de mettre en valeur sa méthode ainsi que sa doctrine théologique et mystique.

Sauf dans trois cas (*iʿtiṣām*, § 70, *muʿāyana*, § 405 et *qabḍ*, § 410) où il commente en un seul paragraphe l'ensemble d'une demeure, son commentaire suit degré par degré le texte d'Anṣārī. Son admiration pour ce dernier, dont il souligne constamment les expressions heureuses, unie aux préoccupations pédagogiques que nous lui connaissons, va le pousser tout d'abord à mettre en valeur les articulations logiques de la pensée du Maître (§ 23 *b-d*, 94 *b-c*) ; il va s'appliquer à en donner une interprétation fidèle (par exemple au § 281 *b*), n'hésitant pas à en résumer l'idée maîtresse en quelques mots faciles à comprendre et à retenir (§ 213 *f*). Rien dans son texte ne le laisse indifférent : il essaie de préciser, bien qu'avec réserve, certains passages du Coran ou du hadith auxquels il y est fait allusion (§ 363 *f*, 367 *b*) ; s'il remarque une omission, il s'efforce d'en saisir le pourquoi (§ 196 *e-g*). Afin de mettre la doctrine à la portée de ses disciples, il a recours à des comparaisons allégoriques (§ 48 *e*) ou simplement explicatives (§ 74 *c*, 143 *c*, 438) ; pour faire admettre une assertion qui peut paraître choquante au premier abord, il fait appel à des exemples empruntés à l'expérience quotidienne (§ 161 *e*), et c'est aux mêmes fins qu'il cite diverses anecdotes (§ 43 *f*, 216 *f*, 278 *e-f*, 422 *c*).

Lorsqu'un passage fait difficulté, il arrive au commentateur d'en proposer deux interprétations possibles (§ 107 *d*, 172 *g*, 201 *g*, 244 *d-e*). Certaines expressions d'Anṣārī lui paraissent exiger quelques précisions : c'est ainsi qu'au chapitre de la pureté d'intention (*iḫlāṣ*) il va distinguer parmi les défauts qui peuvent entacher un acte ceux qui lui enlèvent toute valeur religieuse et ceux qui le laissent légalement valable (§ 141 *b-c*). De même, au deuxième degré de la *ḥurma*, il précise avec réserve le domaine de la révélation où le Cheikh interdit d'appliquer l'exégèse allégorique : il s'agit sans doute des attributs corporels ; échappant aux positions de certains imâms qui veulent soit les prendre au pied de la lettre dans leur matérialité, soit les prendre littérallement mais en niant leur mode matériel, il préfère qu'on se taise à leur sujet tant que l'interprétation n'est pas nécessaire et que ce silence ne trouble pas les simples croyants (§ 139 *c-e*). A propos de la pauvreté (*faqr*), il distingue soigneusement celle que l'on subit malgré soi et celle que l'on choisit volontairement, la seconde étant seule digne de louange (§ 251 *b*) ; lorsqu'il s'agit des biens spirituels, la pauvreté ne consiste pas à s'en défaire mais à en être détaché et à ne plus se les attribuer à soi-même (§ 253 *c-d*). L'inspiration (*ilhām*) donne lieu également à certaines distinctions : la révélation peut avoir lieu directement ou par un intermédiaire, durant le sommeil ou à l'état de veille, avec ou sans audition de paroles (§ 288 *c-d*) ; seuls les Prophètes peuvent recevoir révélation des lois divines fixant ce qui est licite et ce qui ne l'est pas, or Mahomet est le dernier d'entre eux (§ 289 *f-g*) ; pour la même raison, ces lois échapperont au domaine du dévoilement (*kašf*) bien que Dieu puisse faire saisir à ceux qui lisent le Coran et le hadith avec piété des sens qui échappent aux autres hommes (§ 398 *c-e*). Enfin, si la simplicité (*inbisāṭ*) exige que l'on ne s'écarte pas des hommes par égoïsme, l'expression d'Anṣārī laisse entendre qu'il est des cas où il est légitime de vivre à l'écart, par exemple lorsque la fréquentation d'autrui mettrait en péril la vie spirituelle, bien qu'il soit en soi préférable de vivre en société pour ceux qui sont suffisamment forts (§ 216 *c-d*). On peut aussi noter le développement apporté sur un point particulier comme l'objet de la soif (*ʿaṭaš*, 328) dont on nous précise toutes les conditions.

Si certaines expressions du Cheikh donnent lieu à des précisions de la part du commentateur, d'autres demandent de plus amples explications et prêtent à un discernement indispensable. ʿAbd al-Muʿṭī ne manquera pas de les signaler et s'y arrêtera dans la mesure du possible. En voici quelques exemples : le troisième degré du détachement (*zuhd*) est défini par Anṣārī comme étant « le détachement du détachement » ; d'où le problème : comment peut-on se détacher d'une noble demeure ? La réponse est la suivante : il s'agit ici d'écarter son cœur d'un état spirituel et de le considérer comme peu important à cause de l'attention parfaite accordée au seul Seigneur ; l'existence du monde ou sa non-existence n'ont plus d'importance aux yeux du parfait tant il est dominé par l'unique pensée que Dieu le regarde et qu'Il est seul à agir (§ 109 *b-c*). La manière dont le Cheikh analyse la complaisance (*riḍā*) pose également des problèmes. Dans la définition de cette demeure il est dit que l'homme ne désire pas avoir davantage que ce qu'il a et ne cherche pas à changer d'état ; comment concilier cela avec le désir légitime, voire obligatoire, de s'élever et de se rapprocher de Dieu ? Ce que dit Anṣārī est exact, nous explique le commentaire, si on l'entend des biens de ce monde ou des évènements spirituels dont la valeur est indifférente à la Loi divine ; s'il s'agit du progrès spirituel, on peut l'accepter à un certain point de vue : la complaisance ne peut vraiment s'exercer qu'une fois que la décision divine est manifeste ; mais on peut être résolu à s'y complaire avant qu'elle soit manifestée, ce qui n'exclut d'ailleurs pas la prière de demande, la complaisance ne concernant que ce qui existe et non ce qui est à venir (§ 178 *b-g*). Ce dernier point est repris au deuxième degré où l'on doit « s'affranchir de la demande et de l'insistance » ; on peut l'entendre de la prière adressée aux hommes pour obtenir ce dont on a besoin, et en ce domaine on doit recommander la discrétion et l'abandon à Dieu ; si on l'entend de la prière adressée à Dieu, l'assertion est fausse, car la prière de demande est un devoir qui, nous l'avons vu, ne s'oppose en rien au *riḍā*. S'il arrive que, dans certains cas, l'homme abandonne la prière de demande à cause du sens qu'il a de la grandeur de Dieu et de Sa connaissance de tous nos besoins ou à cause des bienfaits dont Dieu le comble continuellement, cela n'a rien à faire avec la demeure étudiée (§ 180 *f-h*).

D'autres expressions sont dangereuses, en ce sens qu'elles peuvent prêter à confusion. Ainsi la troisième subtilité du repentir (*tauba*) où il nous est dit que la considération de la prédestination amène l'homme à ne plus estimer aucune œuvre bonne et à ne plus condamner aucune œuvre mauvaise, tant il est pris par l'idée que c'est Dieu qui a décidé les unes et les autres. ʿAbd al-Muʿṭī commence par rappeler qu'on doit toujours juger bon ou mauvais ce que Dieu considère comme tel ; ceci dit, l'expression d'Anṣārī peut être comprise de deux manières : ou bien l'homme ne s'arrête pas à une chose bonne ou mauvaise, dans un cas par détachement et dans l'autre par espoir du pardon ; ou bien l'homme sent que c'est Dieu seul qui peut permettre de faire le bien et qu'il n'y a donc pas lieu d'apprécier ses bonnes œuvres, de même qu'il sait que le mal est le fait du moi, crée faillible par Dieu (§ 47 *b-e*). De même au deuxième degré du *tafwīḍ*, le serviteur de Dieu « ne voit plus aucune œuvre comme devant amener son salut ni aucune faute comme devant causer sa damnation ». Bien qu'il existe un lien objectif entre les bonnes actions et le salut d'une part, et entre les fautes et la damnation d'autre part, un certain nombre d'exemples empruntés à l'expérience nous montrent qu'en fait les conséquences d'un acte sont souvent contraires à ce que l'on escomptait en le faisant. Il faut comprendre ainsi les paroles du Cheikh : aucune œuvre n'est de soi salvatrice, mais uniquement par la grâce de Dieu, et aucune faute n'est damnatrice, car on peut toujours se convertir après l'avoir commise (§ 161 *c-f*). Le deuxième degré de la clairvoyance (*baṣīra*) donne l'occasion de préciser comment le péché n'entraîne pas la damnation chez les prédestinés : Dieu prévoit à la fois leur faute et leur conversion, ceci contre ceux qui s'imagineraient qu'au moment où ils commettent le péché les prédestinés ne se mettent pas en état d'inimitié avec Dieu ; ʿAbd al-Muʿṭī note à ce sujet que l'amendement du pécheur n'amène aucun changement dans la science divine (§ 275 *e-j*). Enfin, au troisième degré de la complaisance (*riḍā*), où l'homme abandonne toute volonté propre et toute préférence pour un état quelconque « même si on le mettait en enfer », le commentaire fait la mise-au-point nécessaire : si on le mettait en enfer bien qu'il ne l'ait pas mérité, et non si sa damnation devait n'être que la conséquence de ses actions mauvaises (§ 181 *c*).

Nous avons vu à propos des définitions que le commentateur n'hésitait pas ici ou là à critiquer Anṣarī. Son admiration pour le Maître n'a rien de la servilité et le commentaire nous en donne d'autres indices. Nous relèverons les critiques qu'il lui adresse au sujet de la pureté d'intention (*iḫlāṣ*) : le premier degré mentionné par le Cheikh n'est en réalité que le second ; il existe un degré antérieur qui a été omis et qui consiste à s'affranchir de la vaine gloire (§ 142 *b-c*). De même la division de la joie (*surūr*) d'après les tristesses auxquelles chaque degré s'oppose n'est pas satisfaisante ; il fallait définir chaque degré par son objet, de façon positive, ce qui eût été facile (§ 364 *b-c*). ʿAbd al-Muʿṭī défend contre Anṣārī la valeur de l'espérance (*raǧā'*), dont il souligne les nombreux avantages (§ 119 *b*) ; la perfection consiste à lui donner dans le cœur la même importance qu'à la crainte (*ḫauf*). Il trouve trop catégorique l'assertion selon laquelle « la déficience de la nostalgie (*šauq*) est immense » ; c'est vrai sans doute pour ceux qui sont parvenus aux sommets de la vie spirituelle, mais pour les débutants il est au contraire très bon qu'ils aient la nostalgie des demeures qu'ils n'ont pas encore atteintes (§ 319 *d-e*).

Outre les explications ou les critiques de la pensée d'Anṣārī, le commentaire contient diverses remarques qui nous font connaître les positions théologiques et mystiques de son auteur. Au point de vue théologique, ʿAbd al-Muʿṭī adopte les vues d'Anṣārī concernant les attributs divins : il se prononce à la fois contre leur négation et contre leur non-éternité (§ 432 *b*) ; les attributs subsistent par l'essence divine, on ne peut donc pas dire qu'ils sont « autres que l'essence » (*aġyār liḏ-ḏāt*), ce qui signifierait qu'ils peuvent en être séparés (§ 433 *d*). On notera le développement consacré aux relations entre l'intelligence (*ʿaql*) et la Loi divine (*šarʿ*) : en cas de contradiction entre les conclusions de l'une et l'enseignement de l'autre, la vérité étant une et la Loi ne pouvant se tromper, l'erreur vient certainement de la raison et l'on devra toujours se soumettre (§ 206 *c-e*). Un passage intéressant nous explique comment la science, dont l'essence est unique, se diversifie selon les objets considérés et les voies diverses par lesquelles on les connaît (§ 267 *b-c*). Au point de vue mystique, nous avons déjà vu à propos de la complaisance (*riḍā*) que le commentateur s'opposait à tout quiétisme. Il refuse catégoriquement toute forme de *ḥulūl* (§ 321 *d*). Relevons également sa fidélité au Prophète, seul maître en matière de convenances dans les relations avec Dieu (§ 446 *b*), le contrôle que doit exercer la science sur les états mystiques (§ 225 *a*), l'idée que les voiles et autres obstacles qui empêchent le contact avec Dieu sont toujours à prendre du côté de l'homme, non du côté de Dieu (§ 331 *b*, 396 *c*), la remarque judicieuse concernant la fierté (*faḫr*) qui ne doit pas être un sentiment de supériorité par rapport aux autres hommes mais doit avoir pour cause le souvenir des bienfaits divins dont on a été comblé (§ 347 *e*). Au point de vue psychologique, on remarquera l'affirmation de la supériorité de l'esprit (*rūḥ*) sur le cœur (*qalb*) fondée sur la hiérarchie de leurs objets respectifs : le cœur a pour objet les sciences et la connaissance des vertus et des vices, afin d'acquérir les unes et d'éviter les autres ; l'esprit a pour objet les attributs de la Perfection et de la Beauté, dont la connaissance le porte à désirer la proximité de Dieu et à fuir tout ce qui retiendrait l'attention loin de Lui (§ 298 *c*, 405 *b-c*). Notons enfin la remarque suivante : ce n'est pas par mépris que le Connaissant se détourne des causes secondes, mais parce que son attention est entièrement concentrée sur Dieu (§ 433 *p*).

L'ANÉANTISSEMENT

Dans l'introduction de son commentaire, ʿAbd al-Muʿṭī nous avait averti de ses préoccupations apologétiques. Celles-ci se manifestent à plusieurs reprises en écartant ici ou là de fausses interprétations des paroles d'Anṣārī qui pourraient faire décrier sa doctrine spirituelle. Ainsi, après avoir analysé la simplicité à l'égard des hommes, il note qu'elle n'a rien à faire avec l'idée que certains s'en font : visage épanoui, rire, sans-gêne dans la conversation et la nourriture (§ 216 *b*). Au deuxième degré de la même demeure, il écarte une interprétation qui, forçant le texte, ferait croire qu'on doit bannir du cœur la crainte comme l'espérance (§ 217 *d*). De même, au deuxième degré de la joie (*surūr*) « briser l'esclavage de la gêne qu'on s'impose » ne veut pas dire qu'on rejette les obligations de la Loi divine, ni qu'on cesse de se les imposer ou

de les imposer à autrui, mais qu'on les assume avec facilité, sans aucune gêne (§ 365 *d*). Enfin, dire que l'amour (*maḥabba*) est un penchant qui nous attire vers Dieu, et non un simple accord avec sa volonté, n'offense en rien sa transcendance (§ 306). Ce ne sont cependant là que des notations secondaires, le sujet principal des contestations étant l'anéantissement (*fanā'*) comme l'a clairement indiqué l'introduction (§ 6 *b-c*).

A plusieurs reprises, ʿAbd al-Muʿṭī précise ce qu'il faut entendre par l'anéantissement dont parle Anṣārī. Ce dernier assignait comme objet au suprême degré du propos (*qaṣd*) de « se précipiter aveuglément dans l'océan de l'anéantissement » ; voici le commentaire : « C'est le propos de concentrer l'attention sur Dieu d'une manière toute particulière, en faisant mémoire de Lui de façon parfaite, avec révérence et en coupant court à toute préoccupation qui distrairait de Lui, de telle manière que le serviteur meure à la mémoire de ce qui n'est pas Dieu, jusqu'à la mémoire de soi-même, la préoccupation de l'objet mentionné lui faisant perdre conscience de l'acte par lequel il le mentionne » (§ 233 *e*). Ce texte est l'un des plus explicites. On peut le rapprocher du commentaire concernant le *fanā' fī ḥaqq al-yaqīn* (§ 241 *d*), le dernier degré de la préférence (*īṯār*, § 200 *c*) et de la subsistance (*baqā'*, § 443 *e*). Lorsqu'Anṣārī déclare que « l'amour est la première des vallées de l'anéantissement », ʿAbd al-Muʿṭī commente : « Il n'en est ainsi que parce que le cœur qui aime est attaché à l'être aimé, le souci qu'il a de lui le distrayant de ce qui n'est pas lui ; c'est là être anéanti en lui et mourir à ce qui n'est pas lui » (§ 307 *b*). On voit ici combien sont proches les notions d'anéantissement (*fanā'*) et de concentration en Dieu (*ǧamʿ*) qui sont explicitement liées en opposition à la dispersion (*tafriqa*) au § 401 *e*.

Au chapitre de l'anéantissement (92ᵉ demeure), ʿAbd al-Muʿṭī consacre un long développement à prouver la possibilité du *fanā'* : « Il ne faut pas que celui qui entend les allusions contenues dans ces expressions cherche à les écarter, à plus forte raison à les nier, car on en a de profondes analogies en ce monde parmi ceux qui sont solidement fixés dans leur crainte, leur espérance ou leur amour. Ainsi celui qu'a fait amener un sultan impétueux et sachant se contenir, alors qu'il a conscience

de la gravité de son crime et que l'angoisse le possède ; les états qu'il éprouve en présence du sultan varient selon le dédain et l'aversion que lui témoigne celui-ci en le rencontrant : tantôt il se rappelle son crime et le talion qui l'attend, tantôt l'état qu'il éprouve le domine à tel point qu'il oublie ce pour quoi on l'a fait venir tant il a peur pour sa tête et tant il désespère d'être sauvé, tantôt son cœur est complètement absent si bien qu'il n'a plus conscience de ce qu'il dit ni des compagnons du sultan ni de ses serviteurs. Il arrive la même chose à celui qui aime avec passion et qui se trouve comme submergé dans son Bien-aimé : ce fut le cas des femmes qu'avait réunies l'épouse d'al-ʿAzīz, lorsqu'elle amena Joseph en leur présence : ❮ quand elles l'eurent aperçu, elles le trouvèrent si beau qu'elles se tailladèrent les mains dans leur émoi. C XII 54 ❯. Elles ne sentirent pas la douleur causée par ces blessures tant que Joseph fut devant elles, et cela à cause de sa beauté, de sa perfection et de l'amour qui avait envahi leurs cœurs, les submergeant et leur ôtant la conscience d'elles-mêmes et de leurs plaies. C'était là une miséricorde de Dieu concernant la beauté d'une créature contingente qui avait des semblables et des émules dont la beauté approchait la sienne, qui n'émergeait des enfants de sa race que par quelques qualités et ne se distinguait que par quelques vertus créées. Comment donc les esprits ne feraient-ils pas naufrage, les intelligences ne s'en iraient-elles pas, et les sens ne s'évanouiraient-ils pas, selon ce qui arrive aux corps dans l'admiration de quelque chose de grand et de majestueux, lorsqu'ils connaissent et aiment parfaitement Celui qui échappe à toute proximité, à plus forte raison à toute similitude, en quoi que ce soit de ses attributs... » (§ 438).

On est fort loin de la conception matérielle de l'anéantissement et aussi des arguties logiques des détracteurs d'Anṣārī. Rien ne pouvait mieux leur répondre que ces analogies prises de l'expérience, qui illustrent très heureusement la description du *fanā'* que nous avons citée plus haut.

CONCLUSION

Les remarques que nous venons de faire permettent d'apprécier l'œuvre de ʿAbd al-Muʿṭī à sa juste valeur. C'est certainement là un des meilleurs commentaires que nous possédions du *Livre des Étapes*.

Nous remercions vivement en terminant M. Nour ed-Dine Shereiba, de l'Azhar, le savant éditeur des *Ṭabaqāt* de Sulamī, qui s'est offert très amicalement à revoir notre texte; ses corrections nous ont été fort précieuses.

Serge de Laugier de Beaurecueil, o. p.

I. INDEX DES CITATIONS CORANIQUES.

Les chiffres romains se réfèrent aux sourates, les chiffres arabes aux versets. Lorsque la numérotation est double, le premier chiffre est celui de la concordance de Fluegel, le second celui de la concordance de ʿAbd al-Bāqī. Les références renvoient aux paragraphes, la lettre indiquant la phrase contenant la citation.

II. TABLE ANALYTIQUE DES MATIÈRES.

III. INDEX ALPHABÉTIQUE DES DEMEURES.

IV. INDEX DES NOMS PROPRES.

V. INDEX DES OUVRAGES CITÉS OU MENTIONNÉS.